شماره ۶۱

حکمة العرشیه لصدر المتألهین ره

ضمن کتاب

۱۸۱

انتقل الی العبد ... ۱۲۹۴

۳۸۶

حکمة العرشیه لصدر المتألهین

۱۸۱

نمره ۱۵۱

حکمة العرشیة لصدر المتألهین

قیمت کتاب ... ریال

۱۸۱

انتقل الی العبد ... مولاه ... المدرس ... ۱۲۹۴

۳۸۶

1

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعلنا ممن شرح صدره للاسلام فهو على نور من ربه
واوجدنا من عباده الذين آتاهم رحمة من عنده وعلما من لدنه وهداهم
الى صراط الله الحق باليقين وجعل لهم لسان صدق في الآخرين والصلوة
على خير من انزل اليه الكتاب واشرف من اوتي الحكمة وفصل الخطاب محمد
وآله الفائزين من ميراث النبوة والحكمة بالحظ الاوفى والقدح المعلى
عليهم السلام ولهم الدعاء من الحق الاعلى وبعد فيقول العبد الذليل

الى عفو

الى عفو ربه الجليل محمد الشيرازي المدعو بصدر الدين جعل الله قلبه
منورا بنور المعرفة واليقين هذه رسالة اذكر فيها طائفة من المسائل
الربوبية والمعالم القدسية التي انار الله بها قلبي من عالم الرحمة والنور
ولم يكن وصلت اليها ايدي افكار الجمهور ولا يوجد شيء من هذه الجواهر
الزواهر في خزانة احد من الفلاسفة المشهورين والحكماء المتأخرين المعروفين
حيث لم يؤتوا من هذه الحكمة شيئا ولم ينالوا من هذه النور الا طلا وفيئا اذ
لم يأتوا البيوت من ابوابها فحرموا من شراب المعرفة لبرابها بل هذه قوابس
مقتبسة من مشكوة النبوة والولاية مستخرجة من ينابيع الكتاب والسنة
من غير ان يكتسب من مناولة كتب المباحثين او مزاولة صحبة المعلمين ذكرتها
لتكون تبصرة للسالكين الناظرين وتذكرة للاخوان المؤمنين وان كانت
شنعة للجهال والمجادلين وغطاء لاعداء نور الحكمة واليقين واولياء ظلمات
الشياطين المطرودين ولكني اعتصمت بوجه الله القديم واوليائه من
شر عداوة المعاندين واحتجبت بملكوته العظيم وانواره من ظلمات

٢ اولهم المعطلين آلهران افتخرت فيما انعمت علی وقد امرت واما بنعمة

ربك فحدث وان اسات او ظلمت نفسی فقد استغفرت وقد قلت

ومن عمل سوءا او يظلم نفسه يجد الله غفورا رحيما وهذه المسائل المرسومة في

هذه الرسالة الموسومة بالحكمة العرشية بعضها يندرج في الايمان بالله

وبعضها يندرج في العلم باليوم الآخر وهذان العلمان لمشار اليهما في كثير من

آيات القرآن بالايمان بالله وباليوم الآخر هما اشرف العلوم الحقيقية التي بها يصير

الانسان من حزب ملائكة المقربين وبانكارهما وجحودهما يقع في ضلال مبين

ويخرج عن رتبة المؤمنين ويحتجب عن جمال رب العالمين ويحشر مع الشياطين

كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم

يومئذ لمحجوبون فهذا اوان الشروع في عرض صحايف الادلة

الافكار والحوالة الى كتبنا المبسوطة في اقامة الحجة والبرهان على كل من المسائل

والانظار الا اشارة خفية تلتقي بها القرائح اللطيفة ويهتدي بها النفوس

المتوقدة الشريفة ونوردها في مشرقين المشرق الاول في العلم بالله وصفاته

واسمائه

[illegible]

واسمائه وآياته وفيه قواعد قاعدة لدنية في تقسيم الموجود واثبات اول

الوجود ان الموجود اما حقيقة الوجود او غيرها ونعني بحقيقة الوجود ما لا يشوبه

شيء غير الوجود من عموم او خصوص وحد او نهاية او مهية او نقص او عدم وهو

المسمى بواجب الوجود فنقول لو لم يكن حقيقة الوجود موجودة لم يكن شيء من

الاشياء موجودا لكن اللازم باطل بديهة فكذا الملزوم اما بيان اللزوم

فلان غير حقيقة الوجود اما مهية من المهيات او وجود خاص مشوب بعدم او قصور

وكل مهية غير الوجود فهي بالوجود موجودة لا بنفسها كيف ولو اخذت بنفسها

مجردة عن الوجود لم يكن نفسها فضلا عن ان يكون موجودة لان ثبوت

شيء لشيء فرع على ثبوت ذلك الشيء او وجوده وذلك الوجود ان كان غير حقيقة

الوجود ففيه تركيب من الوجود بما هو وجود وخصوصية اخرى وكل خصوصية

غير الوجود فهو عدم او عدمي وكل مركب متاخر عن بسيطه مفتقر اليه والعدم

لا دخل له في موجودية الشيء او تحصله وان دخل في حده ومفهومه وثبوت مفهوم

لشيء وحمله عليه سواء كان مهية او صفة اخرى ثبوتية او سلبية فهو فرع

[illegible]

٣ على وجود ذلك الشيء والكلام عايد اليه فيتسلسل او ينتهي الى وجود بحت لا يشوبه

شيء فظهر ان اصل موجودية كل موجود هو محض حقيقة الوجود الذي لا يشوبه

شيء فظهر ان اصل موجودية كل موجود هو محض حقيقة الوجود الذي لا يشوبه شيء

غير الوجود فهذه الحقيقة لا يعتريها حد ولا نهاية ولا نقص ولا قوة امكانية ولا مهية

ولا يشوبها عموم جنسي او نوعي او فصلي او عرضي عامي او خاصي لان الوجود متقدم

على هذه الاوصاف العارضة للمهية وما لا مهية له غير الوجود ولا يلحقه عموم

ولا خصوص فلا فصل له ولا تشخص له بغير ذاته ولا صورة له كما لا فاعل له و

لا غاية بل هو صورة ذاته ومصور كل شيء لانه كمال ذاته وهو كمال كل شيء

لان ذاته بالفعل من جميع الوجوه فلا معرف له ولا كاشف له الا هو ولا برهان

عليه الا ذاته فشهد بذاته على ذاته وعلى وحدانية ذاته كما قال شهد الله

انه لا اله الا هو لان وحدته ليست وحدة شخصية توجد لفرد من طبيعة

ولا نوعية ولا جنسية توجد لكلي طبيعي كلي من المعاني ومهية من المهيات ولا اتصالية

وحدة اجتماعية توجد لعدة من الاشياء وقد صارت بالاتحاد في الوجود

او الاجتماع

او الاجتماع شيئا واحدا ولا ايضا اتصالية كما للمقادير والمتقدرات ولا غير ذلك

من الوحدات النسبية كالتماثل والتجانس والتشابه والتطابق والتضايف

ايضا كما ستعلم وان جوزته الفلاسفة والتوافق وغير ذلك من اقسام الوحدات

الغير الحقيقية بل وحدته وحدة اخرى مجهولة الكنه كذاته لان وحدته اصل كل

الوحدات كما ان وجوده اصل الوجودات فلا ثاني له وكذا علمه الوحداني بنفس

حقيقته للعلم الذي لا يشوبه جهل فيكون علما بكل شيء من جميع الوجوه وهكذا القول

في جميع صفاته الكمالية قاعدة عرشية كل ما هو بسيط الحقيقة فهو بوحدته كل

الاشياء لا يعوزه شيء منها الا ما هو من باب النقايص والاعدام والامكانات

فانك اذا قلت ج ليس ب فحيثية كونه ج ان كانت بعينها حيثية انه ليس ب

حتى تكون ج بعينه مصداقا لهذا السلب بنفس ذاته فكانت ذاته امرا عدميا ولكان

كل من عقل ج عقل ليس ب لكن التالي باطل فالمقدم كذلك فثبت ان موضوع

الحيثية مركب الذات ولو بحسب الذهن من معنى وجودي به يكون ج ومن معنى عدمي به

يكون ليس ب وغيره من الاشياء المسلوبة عنه فعلم ان كل ما يسلب عنه امر وجودي

فهو غير بسيط الحقيقة مطلقا فينعكس نقيضه كل بسيط الحقيقة فغير مسلوب عنه امر
وجودي فثبت ان البسيط كل الموجودات من حيث الوجود والتمام لا من حيث
النقايص والاعدام وبهذا ثبت علمه بالموجودات علما بسيطا وحضورها عنده
على وجه اعلى واتم لان العلم عبارة عن الوجود بشرط ان لا يكون مخلوطا بمادة
فافهم يا حبيبي واغتنم **قاعدة مشرقية** واجب الوجود واحد لا شريك له لانه
تام الحقيقة كامل الذات غير متناهي القوة والشدة لانه محض حقيقة الوجود
بلا حد ونهاية كما علمت اذ لو كان لوجوده حد وتخصص بوجه من الوجوه لكان
تحدده وتخصصه بغير الوجود فكان له محدد وقاهر عليه ومخصص محيط به وذلك
محال فما من كمال وجودي وخير الا ومنه اصله وفيه نشوه وهذا هو البرهان على
توحيده فلا يمكن تعدد الواجب لانه لو تعدد لكان المفروض واجبا [illegible]
ثاني الاثنين فلا يكون بين متعدد محيطا بكل وجود حيث تحقق وجود لم يكن له
ولا حاصلا منه فانضام له نه فحصلت جهة عدمية امتناعية او امكانية
فكان زوجا تركيبيا كالممكنات ولم يكن بحت حقيقة الوجود الذي لا يشوبه حد

وعدم

وعدم محض فثبت ان لا ثاني له في الوجود وان كل كمال وجودي رشح من كماله
وكل خير لمعة من لوامع نور جماله فهو اصل الوجود وما سواه تبع له مفتقر اليه في
تجوهر ذاته وهم وازاحة ان اوهن الطرق واضعف الحجج على التوحيد طريقة
بعض المتأخرين لسبيلهم الى ذوق المتألهين حاشاهم عن ذلك مبتنية على
كون مفهوم الموجود المشتق امرا شاملا عاما وكون الوجود شخصا حقيقيا مجهول الكنه
قالوا يجوز ان يكون الوجود الذي هو مبدء اشتقاق الموجود امرا قائما بذاته هو
حقيقة الواجب ووجود غيره عبارة عن انتساب ذلك الغير اليه فيكون الموجود
اعم من تلك الحقيقة ومن غيرها المنتسب اليه ومعناه احد الامرين من الوجود
القايم بذاته وما هو منتسب اليه ومعيار ذلك ان يكون مبدء الاثار ثم بالغوا
في امر سهل المؤنة وهو ان الوجود لو كان قائما بذاته يصح اطلاق الموجود عليه و
اهملوا ما هو ملاك الامر وهو ان ذاته تعالى هو عين معنى الوجود المطلق الذي يثبت
الاشياء بعض انحاده او افراده ام لا على ان هذا الباب منسد وعليهم حيث
زعموا انه ليس للوجود المطلق اثبات للموجودات معنى الا الامر الانتزاعي المصدري

٥ المعدود من المعقولات الذهنية التي لا بإزائها شيء ثم ليت شعري كيف وضع
الرجل اللغوي أو العرفي لفظا مشتقا ولم يفهم بعد مفهوم مبدء الاشتقاق
وكيف يكون المشتق أعرف المفهومات ومبدئه أخفى المجهولات بل ممتنع
التصور وكيف يكون للمشتق معنى واحدا ومبدؤه مردّدا بين أمرين أحدهما تلك
الذات المجهولة الكنه وثانيهما النسبة إليها والنسبة إلى مجهول مجهولة أيضا
بل الحق أن هذا المفهوم العام عنوان لأمر محقق حاصل في الأشياء متعدد
حسب تعددها مقول بالتشكيك عليها بالأشدية والأقدمية وتعاليهما
وأكمل الموجودات وأشدها هو الوجود الحق الذي هو محض حقيقة الوجود لا تشوبه
شيء غير الوجود وهو أظهر الموجودات وأوضحها بحسب نفسه لكن لفرط ظهوره وقهره
واستيلائه على المدارك والأذهان صار محتجبا عن العقول والأبصار فحيثية
خفائه بعينها حيثية ظهوره وعلى هذا يتبين مسألة التوحيد وبه ينفتح بابه
لا بغيره أصلا **قاعدة** صفاته تعالى عين ذاته لا كما يقوله الأشاعرة من إثبات
تعددها في الوجود ليلزم تعدد القدماء الثمانية ولا كما قالته المعتزلة من

نفی

نفی مفهوماتها رأسا وإثبات آثارها وجعل الذات نائبة منابها كما في
أصل الوجود عند بعض تعالى عن التعطيل والتشبيه بل على نحو يعلمه الراسخون
في العلم من الأئمة الوسط الذين لا يلحقهم الغالي ولا يفوتهم المقصر **قاعدة**
مشرقية علمه بجميع الأشياء حقيقة واحدة ومع وحدتها علم بكل شيء
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصيها إذ لو بقي شيء لم يكن ذلك العلم
علما به لم يكن هو حقيقة العلم بل كان علما بوجه وجهلا بوجه وحقيقة الشيء
بما هي حقيقة الشيء غير ممتزجة بغيره وإلا فلم يخرج جميعه من القوة إلى الفعل
وقد مرّ أن علمه يرجع إلى وجوده فكما أن وجوده تعالى لا يشوب بعدم شيء
من الأشياء فكذلك علمه بذاته الذي هو حضور ذاته لا يشوب بغيبة
شيء من الأشياء لأن ذاته منشئ الأشياء ومحقق الحقائق فذاته الحق
بالأشياء من الأشياء بأنفسها إذ الشيء مع نفسه بالإمكان ومع منشئه
ومحققه بالوجوب ووجوب الشيء آكد من إمكانه ومن استصعب عليه

ان يكون علمه تعالى مع وحدته علما بكل شيء فذلك لظنه ان وحدته عددية وانه
واحد بالعدد وقد سبق انه ليس كذلك بل هو واحد بالحقيقة وكذا سائر
صفاته ولا شيء غير حقيقة الحق واحدا بالحقيقة بل الاشياء الممكنة لها وحدات
اخر غير هذه الوحدة كالشخصية والنوعية والجنسية والاتصالية وما يجري
مجريها وهذا من غوامض الالهية فما عند الله هي الحقائق المحصلة المتأصلة المتأكد
التي تتنزل الاشياء منها منزلة الاشباح والاظلال فما عند الله من
الاشياء احق بالاشياء مما عند نفسها **قاعدة** علمه بالممكنات ليس صورا
مرتسمة في ذاته كما اشتهر من معلم الثلاثة والمشائين وتبعهم ابو نصر وابو علي وغيرهما الفلاسفة م
ولا كما ذهب اليه الرواقيون وتبعهم الشيخ المقتول والعلامة الطوسي والمتأخرون
من كون علمه بالممكنات عين ذوات الممكنات الخارجية لان علمه قديم والممكنات
كلها حوادث ولا ما ذهب اليه المعتزلة ببطلان شيئية المعدومات ولا ما توهمه الاتباع
من ان العلم قديم ولم يتعلق بممكن الا وقت حدوثها ولا ايضا كما نسب الى

الى افلاطن

الى افلاطن من ان علمه تعالى ذوات قائمة بانفسها وصور مفارقة عنه تعالى
وعن المواد وعلى ما المثل الذي نسب الى فرفوريوس من اتحاده تعالى بالمعقولات
على ما فهمه الجمهور من الاتحاد ولا الذي تجشمه وافتحمه بعض المتأخرين و
لم يمكنهم تحصيله من العلم الاجمالي بل على نحو ما اشرنا اليه وقررناه على وجه محصل
مشروح في كتبنا المبسوطة ثم ما اشتهر في السخافة قول من زعم ان هذه
الصورة المادية مع انغمارها في المواد وامتزاجها بالاعدام والاعشية والظلمات
اللازمة للامكنة والازمنة والاوضاع صور علمية حاضرة عنده تعالى بحضور
عليها والبرهان قائم على ان هذا النحو من الوجود المادي وجود ظلماني محتجب
بنفسه عن نفسه وهو يحجب هذا النحو حضوره لذاته عين غيبته ذاته عن ذاته
وجمعيته عين افتراقه ووحدته عين قوة كثرته واتصاله عين قبول انقسامه
وقل لي ايها الرجل العلمي اذا كان هذا الوجود بما هو هذا الوجود معلوما بالذات
للباري تعالى حاضرا عنده صورته المغمورة في المادة الوضعية التي لا ينالها
الحس فضلا عن الخيال وما فوقه الا بصورة اخرى فادراكه تعالى لها اما

احساس لها او تخيل والله سبحانه اجل من الحس والخيال او تعقل فكيف
يكون المعقول بما هو معقول بالفعل صورة مادية وقابلا للقسمة المقدارية
والاشارة الوضعية والوجود العقلي نحو من الوجود مخالف ومباين
للوجود الوضعي فمحال ان يكون التعقل تجسما والمجسم معقولا ولا تصغ
الى قول من يقول هذه المكونات الجسمانية وان كانت في حدود انفسها
جسمانية متغيرة وذلك لان نحو وجود الشيء ماديا عبارة عن خصوصية
وجوده ومادية الشيء وتجرده عنها ليسا صفتين خارجتين عن ذات الشيء
كما ان جوهرية الشيء الجوهر ووجوده امر واحد وكذا عرضية العرض ووجوده
فكما ان وجودا واحدا لا يكون جوهرا وعرضا باعتبارين كذلك لا يكون مجردا
وماديا باعتبارين نعم لو قيل هذه الصورة المادية حاضرة عنده تعالى
بصورها المفارقة بالذات وبتبعيتها هي ايضا معلومة بالعرض لكان له وجه
وقد مر ان ما عند الله تعالى هي الحقائق المتاصلة من الاشياء ونسبتها الى
ما عند الله كنسبة الظل الى الاصل **قاعدة مشرقية** الكلام ليس كما قالته في كلامه مدة

الاشاعرة

الاشاعرة صفة نفسية ومعان قائمة بذاته تعالى يسمونها الكلام النفسي لانه غير
معقول والا لكان علما لا كلاما وليس ايضا عبارة عن مجرد خلق الاصوات
والحروف الدالة على المعاني والا لكان كل كلام الله تعالى ولا يفيد التقييد بكونه كلام ظ
على قصد اعلام الغير من قبل الله او على قصد الالقاء من قبله اذ الكل من
عنده ولو اريد بلا واسطة فهو غير جائز ايضا والا لم يكن اصواتا وحروفا بل
هو عبارة عن انشاء كلمات تامات وانزال آيات محكمات واخر متشابهات
في كسوة الفاظ وعبارات والكلام قرآن وفرقان باعتبارين وهو غير الكتاب
لانه من عالم الخلق وما كنت تتلو من قبله ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب من كتاب م
اي قبل الانزال
المبطلون والكلام من عالم الامر ومنزله القلوب والصدور لقوله نزل
به الروح الامين على قلبك باذن الله وقوله بل هو آيات بينات في صدور
الذين اوتوا العلم وما يعقلها الا العالمون والكتاب يدركه كل احد وكتبنا له
في الالواح من كل شيء موعظة والكلام لا يمسه الا المطهرون من ادناس عالم
البشرية والقرآن كان خلق النبي صلى الله عليه وآله دون الكتاب والفرق

بينهما كالفرق بين آدم وعيسى عم ان مثل عيسى عم عند الله كمثل آدم خلقه من
تراب ثم قال له كن فيكون فآدم كتاب الله المكتوب بيدي قدرته وانه
الكتاب المبين الذي باياته يظهر المضمر وعيسى عم قوله اى حصل بامره وكلمته
القاها الى مريم وروح منه والمخلوق باليدين من باب التشريف ليس كالموجد
بحرفين ومن زعم خلاف ذلك فقد اخطأ قاعدة ثمينة المتكلم من قام
وهما قوله تعالى كن ...
به الكلام والكاتب من اوجد الكلام ولكل منهما مراتب فكل كتاب
كلام من وجه وكل كلام كتاب من وجه آخر اذ كل متكلم كاتب بوجه وكل
كاتب متكلم ايضا بوجه مثال ذلك في الشاهد الانسان اذا تكلم بالكلام
في المعهود فقد صدرت عن نفسه في الالواح صدره ومنازل صلاته ومخارج
حروفه صور واشكال حرفية وهيئات كلامية فنفسه ممن اوجد الكلام
فيكون كاتبا بقلم قدرته في لوح نفسه بفتح الفاء ثم في منازل اصواته وشخصه
ممن قام به الكلام فيكون متكلما فاجعل ذلك مقياسا لما فوقه وكن من
الناصحين المصلحين ولا تكن من المتخاصمين قاعدة شريفة كل معقول

الوجود

الوجود فهو عاقل ايضا بل كل صورة ادراكية سواء كانت معقولة او محسوسة
فهي متحدة الوجود مع مدركها وبرهانه الفايض من عند الله هو ان كل صورة
ادراكية لها ضرب من التجرد عن المادة ولنفرض حسية مثلا فوجودها في نفسه
وكونها محسوسة شيء واحد لا تغاير فيه اصلا ولا يمكن ان نفرض لتلك الصورة ادراكي
المخصوصة نحو من الوجود ولم يكن هي بحسبه محسوسة لان وجودها وجود
لا كوجود السماء والارض وغيرهما في الخارج فان وجودها ليس وجودا ادراكيا
ولا ينالها الحس والعقل الا بالعرض وبتبعية صورة ادراكية مطابقة لها
فاذا كان الامر كذلك فنقول تلك الصورة المحسوسة التي وجودها نفس محسوسيتها
لا يمكن ان يكون وجودها وجودا مباينا لوجود الجوهر الحاس بها حتى يكون
لها وجود وللجوهر الحاس وجود آخر وقد لحقتهما اضافة الحاسية والمحسوسية
كالاب والابن الذين لهما ذاتان وجود كل واحد منهما غير عارض الاضافة
وقد يعقلان لا من جهة الابوة والبنوة لان ذلك ممتنع مثله فيما نحن فيه
لان الصور الحسية ليست مما يتصور ان يكون لها وجود لا يكون هي بحسبه

٩

محسوسة فيكون ذاتها بذاتها غير محسوسة وبعروض اضافة لها الى الجوهر الحاس
صارت محسوسة كالانسان الذى ليس فى وجود ذاته بذاته ابا ولكن صار ابا
بعروض حالة الاضافية بعرض لوجود ذاته بل ذات الصورة الحسية بذاتها
محسوسة فاذا كانت نفس وجودها محسوسة الذات سواء وجد فى العالم جوهر
حاس مباين لها ام لا حتى انه لو قطع النظر عن غيرها او فرض ان ليس فى
العالم جوهر حاس مباين كانت هى فى تلك الحالة وفى ذلك الفرض
محسوسة الذات فيكون ذاتها محسوسة لذاتها فيكون ذاتها بذاتها حاسة
وحاسة ومحسوسة لان احد المضافين بما هو مضاف لا ينفك عن صاحبه
فى الوجود ولا فى مرتبة من مراتب ذلك الوجود وعلى هذا القياس حكم الصورة
المتخيلة والمعقولة فى كونها عين المتخيل والعاقل وقول بعض المتعصبين
من الحكماء باتحاد العاقل والمعقول لعله رام بذلك ما قررناه ومن قدح
على مذهبه وطعن فيه من الاتحاد بين العاقل والمعقول وهم اكثر المتاخرين
فلم يدرك غوره ولم ينل طوره ولم يصل الى شاؤه والذى اقيم البرهان

علا نفسه

علا نفسه من الاتحاد بين الامرين اما ان يكون هناك امران موجودان بالفعل
متعددين ثم صار الموجود واحدا وهذا مما لا شبهة فى استحالته واما صيرورة
ذات واحدة بحيث تستكمل وتقوى فى ذاتها وتشتد فى طورها الى ان
تصير بذاتها مصداق امر لم يكن مصداقا له من قبل وتنشئ امورا لم تنشأ
منها سابقا فذلك امر غير مستحيل لسعة دائرة وجودها وليس اتحاد النفس
بالعقل الفعال الا صيرورتها فى ذاتها عقلا فعالا للصور والعقل ليس يمكن
تكثره بالعدد بل له وحدة اخرى جمعية لا كوحدة عددية يكون لشخص من
اشخاص نوع واحد بالعموم فالعقل الفعال مع كونه فاعلا لهذه النفوس
المتعلقة بالابدان فهو ايضا غاية كمالية مترتبة عليها وصورة عقلية لها
محيطة بها وهذه النفوس كانها رقايق منشعبة عنه الى الابدان ثم راجعة
اليه عند استكمالها وتجردها وتحقيق هذه المباحث يستدعى كلاما
مبسوطا لا تسعه هذه الرسالة **قاعدة فى اسماء الله** قال وعلم ادم
الاسماء كلها الاية وقال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها الاسماء ٢

الآية اعلم ان عالم الاسماء الالهية عالم عظيم الفسحة جدا فيه جميع الحقايق
مفصلة وهي مفاتيح الغيب ومناط علمه التفصيلي بجميع الموجودات
لقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو اذ ما من
شيء الا يوجد في اسمائه تعالى الموجهة باعيانها بوجود ذاته على وجه اشرف
واعلى الواجبة بوجوب ذاته كما ان ماهية الممكن موجهة بوجود ذلك
الممكن مجعولة بجعل الوجود بالعرض الا ان الواجب بالذات لا ماهية له لانه
محض حقيقة الوجود بلا شوب مرتبة لم يكن الوجب بها غير موجه وهذا من
الحكمة المضنون بها على غير اهلها المحقق بدركها الكمل من اهل الكشف
والعرفان وهذه الاسماء ليست الفاظا وحروفا مسموعة وهذه المسموعات
اللفظية هي اسماء الاسماء والمعتنون بهذا العلم حققوا وذوقوا مسائل
كثيرة فيه على النظم الحكمي على ترتيب الحكمة الرسمية المبتني على مبادي وموضوعات
واقسام اصلية وفرعية ومطالب وغايات كانقسام اسمائه العظام
الى جواهر واعراض واعراضها الى مقولات تسعة من كم وكيف واين

ووضع

ووضع ومتى واضافة وجدة وفعل وانفعال على ان الجميع لسا لا عقلية موجهة
بوجه واحد واجب لذاته وهذا من عجايب اسرار عظمته تعالى **قاعدة**
فاعلية كل فاعل اما بالطبع او بالقسر او بالتسخير او بالقصد او بالرضا
او بالعناية او بالتجلي وما سوى الثلثة الاول ارادي والقسمان الاولان
خاليان عن الارادة واما الثالث فيجمعهما الامرين وصانع العالم فاعل
بالطبع عند الدهرية والطباعية بالقصد مع الداعي عند بعض المتكلمين
وبالقصد الخالي عنه عند الاكثرين منهم وبالرضا عند الاشراقيين و
بالعناية عند المشائين وبالتجلي عند الصوفيين ولكل وجهة هو موليها
فاستبقوا الخيرات **قاعدة مشرقية** في حدوث العالم العالم كله حادث زماني
اذ كل ما فيه مسبوق الوجود بالعدم زماني متجدد بمعنى ان لا هوية من الهويات
ولا شخص من الاشخاص فلكا كان او عنصريا بسيطا كان او مركبا جوهرا كان
او عرضا الا وقد سبق عدمه وجوده او وجوده عدمه سبقا زمانيا وبالجملة
كل جسم وجسماني متعلق الوجود بالمادة بوجه من الوجوه فهو متجدد الهوية

غير ثابت الوجود والتشخصية برهان لاح لنا من عند الله لاجل التدبر في 11
بعض آيات كتابه العزيز مثل قوله تعالى بل هم في لبس من خلق جديد وقوله
وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وغير ذلك من الآيات
المشيرة الى تجدد هذا العالم ودثوره والدالة على زوال الدنيا وانقطاعها
كقوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال
والاكرام وقوله والسموات مطويات بيمينه وقوله ان
يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وقوله انا نحن نرث الارض ومن وبآيات م
عليها والينا يرجعون وهذا البرهان مأخوذ من اثبات تجدد الطبيعة
مأخوذ من اثبات تجدد الطبيعة التي هي صورة جوهرية سارية في الجسم وهي مبدأ
قريب لحركته وسكونه وما من جسم الا وفيه هذا الجوهر الصوري الساري في
جميع اجزائه وهو مبدأ قريب لميله سواء كان ذا ميل بالفعل او بالقوة مستديرا او
مستقيما والمستقيم الى المركز او من المركز وهو ابدا في التحول والتبدل والسيلان
بحسب جوهر ذاته وحركته الذاتية الجوهرية اصل جميع الحركات في الاعراض

الاينية

الاينية والكمية والوضعية والاستحالات الكمية والكيفية وبها يرتبط الحادث
بالقديم لا بغيرها من الحركات العرضية لان تلك الطبيعة هويتها الاتية التجدد
والانقضاء والحدوث بالقديم والانصرام والانسلاخ ونحوها وتجددها لم لان
الذاتي غير معلل بعلة غير الذات والا علة له اذ الجاعل جعل ذاتها المتجددة
واما تجددها فليس بجعل جاعل وتأثير مؤثر فاعل وهذا بعينه مثل ما قالته
الفلاسفة في باب الزمان من ان هويته لذاتها متجددة متقضية سيالة
لكنا نقول ان الزمان مقدار التجدد والتبدل والحركة معناها تجدد حال الشيء
وخروجه من القوة الى الفعل تدريجا وهي امر نسبي عقلي مصدري انتزاعي
لانها نفس ~~التجدد وتدريجا وهي امر نسبي عقلي مصدري~~ التجدد والخروج المذكور الانتزاعي
لا ما به التجدد والخروج منها اليه والفرق بينهما كالفرق بين الوجود بالمعنى
الذي هو من المعقولات الذهنية وبين الوجود بمعنى ما به يوجد الشيء ويطرد
العدم عنه وما به الخروج من القوة الى الفعل هو الفرد التدريجي من المقولة
كما جاز ان يكون كيفا او غيره من الاعراض فجاز ان يكون جوهرا صوريا

ماديا متجددا الوجود تدريجي الهوية لا الماهية وبرهان كون الطبيعة الجسمانية جوهرا
سيال الوجود متجدد الذات والهوية مذكور في الاسفار الاربعة وفي رسالة
عليحده على وجه مفصل مشروح ونقلنا اتفاق الفلاسفة الاقدمين في
هذا الباب من دثور العالم وزواله وتجدد كل من الهيولى والصورة
وان كل شخص من الاجسام الطبيعية فلكية كانت او عنصرية حادث
زماني واما الكلي الطبيعي فليس عندنا موجودا بالذات خلافا للمشهور من
راي الحكماء بل بالعرض خلافا لجمهور المتكلمين فالكلي الطبيعي اعني الماهية بلا شرط
ليس بقديم ولا حادث وحدوثه تابع لحدوث افراده وكذا قدمه لقدمها
اذ ليس هو في حد ذاته واحدا شخصيا محصل الوجود فلا دوام له في ذاته و
اذا كانت الافراد كلها حادثة فلا دوام له لا بالذات ولا بالعرض الا
في علم الله تعالى واما النفوس بما هي نفوس فوجوداتها ايضا متبدلة حادثة
اذ حكمها حكم سائر المنطبعات في المواد اذ نحو وجودها تعلقي والوجود
التعلقي يتبدل بتبدل ما يتعلق به من الاجسام والنفس ما دامت نفسا

متحدة بالبدن بجنبها الاسير وجهتها السفلى هي الطبيعة ولها بالقوة
جهة عقلية وجنبة عالية اذا خرجت بجنبها من القوة الى الفعل تصير
عقلا محضا هو صورة نوعها واما المفارقات المحضة والصور المجردة
ففيها كلام اخر يعرفه الموحدون المكاشفون من ان لا وجود لها بحسب انفسها
وذواتها مطموسة منغمسة في بحر الاحدية وهي صور ما في علم الله تعالى ثابتات
واما النفوس بما هي نفوس فوجوداتها ايضا متبدلة حادثة اذ حكمها حكم سائر المنطبعات
في المواد اذ نحو وجودها تعلقي والوجود التعلقي يتبدل بتبدل ما يتعلق به من
الاجسام والنفس ما دامت نفسا متحدة بالبدن بجنبها الاسير وجهتها السفلى
هي الطبيعة ولها بالقوة جهة عقلية وجنبة عالية اذا خرجت بجنبها من
القوة الى الفعل يصير عقلا محضا هو صورة نوعها واما المفارقات المحضة
والصور المجردة ففيها كلام اخر يعرفه الموحدون المكاشفون من ان لا وجود
بحسب انفسها وذواتها مطموسة منغمسة في بحر الاحدية وهي صور ما في علم الله
تعالى وحجب الهية وسرادقات عظمته ولو لم يكن هذه الحجب النورية لاحرقت
سبحات وجهه كل ما في السموات والارضين كما ورد في الحديث فلله سبحات.

شئون الهية ومراتب نورية ليست هي من افراد العالم ولا من جملة ما سوى الله وانما
صورها في القضاء الالهي والعالم الربوبي وتلك الصدور هم المهيمون الذين
لم ينظروا الى ذواتهم قط لفنائهم عن ذواتهم واندكاك جبل انياتهم مع
كونهم اشعة واضواء عقلية للنور الاول باقية ببقائه لا بابقائه وليست
هذه الرسالة مما يسع فيه بيان هذا المطلب الغامض الشريف والمقصود ههنا
الاشارة الى حدوث الاجسام وصورها وقواها واما العقل فلم يثبت وجوده
عندنا والمتكلمون انكروه فلا حاجة بنا الى ان نتكلم في حدوثه **قاعدة** الفاعل
المباشر للتحريك في جميع اقسام الحركة ليس الا الطبيعة وهي مبدء كل حركة بالذات
سواء كان باستخدام النفس اياها كما في الحركة الارادية او بقسر قاسر كما في القسرية
كالحركة بالحجر الى فوق او بغيرهما كما في المسماة بالطبيعة فالحركة بمنزلة شخص روحه
الطبيعة والذي استشكله بهمنيار موافقا لاستاده في الشفا نيه من انه
كيف استحالة الطبيعة بحركة الاعضاء خلاف ما يوجبه ذاتها طاعة للنفس والوجع
ذلك لوجب الا يحصل اعياء عند تكليف النفس خلاف مقتضاها ولا رعشة
عند تجاذب مقتضى النفس ومقتضى الطبيعة انما ينحل اشكاله بان الطبيعة المسخرة

للنفس

للنفس طوعا التي هي قوة من قواها يستخدمها ويفعل بتوسطها افاعيل البدن
غير الطبيعة الموجبة في عناصر البدن واعضائه بالبدن بالعدد بل تلك مرتبة
من مقامات النفس والتي تبقى في البدن بعد انقطاع علاقة النفس غيرها ذكرنا
وانما يقع الاعياء والرعشة والمرض والفساد وغير ذلك بسبب تعصي الثانية
عن طاعة النفس دون الاولى فللنفس طبيعتان مقهورتان احديهما منبعثة
عن ذاتها والثانية لعنصر البدن تخدم احديهما لها طوعا والثانية كرها
تفريع فعلى هذا يظهر صحة كلام الفيلسوف الاول ان حركة الفلك طبيعية
وان نفسه منطبعة والذي ظهر لنا بالبرهان الكاشف النيران ذات الفلك
وطبيعته ونفسه الحيوانية شيء واحد بالوجود والتشخص متفاوت في النشآت
الثلث وليست للفلك نفس مجردة بل له نفس حيوانية خيالية حاكية لصورة
عقلية متشبهة بها متصلة بها كاتصال الشعاع بالنور كما ان طبيعة الفلك
متصلة بنفسه الخيالية كاتصال الظل بالشخص لكن طبيعة الفلك ونفسه الحيوانية
بقوتها العملية واثرتان هالكتان لتجددهما وسيلانهما وله كلمة باقية عند الله

ثابتة فی علمه لقوله ما عندکم ینفد وما عند الله باق **توضیح** الکمالی
اذا علمت ان لکل فلک محرکا مزاولا ومحرکا مفارقا هو الغایة فی الحرکة
وان مباشر التحریک السماوی امر متجدد الهویة سیال الذات ظهر لک ان
الدنیا دار فناء وزوال وانتقال والاخرة دار قرار وان هذه الدار
وما فیها منقلبة الی الدار الاخرة وان السموات مطویات والکواکب ساقطة
وحرکاتها واقفة وانوارها مطموسة فاذا قامت القیمة کورت الشمس وانکدرت
النجوم ووقف الفلک عن الدوار والفلک الکواکب عن السیار وذلک لا محالة
کاین لا ریب فیه ولکن علم الساعة عند الله **المشرق الثانی فی علم المعاد**
وفیه اشراقات **الاشراق الاول فی معرفة النفس** وفیه قواعد اعلم ان معرفة
النفس من العلوم الغامضة التی ذهلت عنها الفلاسفة فهم لا شدیدا مع طول
بحثهم وقوة فکرهم وکثرة خوضهم فیها فضلا عن غیرهم من المجادلین اذ
لا یستفاد هذا العلم الا بالاقتباس من مشکوة النبوة والتتبع لانوار الوحی
والرسالة ومصابیح الکتاب والسنة الواردة فی طریق ائمتنا اصحاب

الهدایة

الهدایة والعصمة عن جدهم خاتم الانبیاء علیه وآله افضل صلوات المصلین
وعلی سایر الانبیاء والمرسلین **قاعدة** ان للنفس الانسانیة مقامات
ودرجات کثیرة من اول تکونها الی اخر غایتها ولها نشآت ذاتیة و
اطوار وجودیة وهی فی اول النشأة التعلقیة جوهر جسمانی ثم یتدرج شیئا
فشیئا فی الاشتداد ویتطور فی اطوار الخلقة الی ان تقوم بذاتها وتنفصل عن
هذه الدار الی الدار الآخرة وترجع الی ربها فهی جسمانیة الحدوث روحانیة
البقاء واول ما یتکون من نشآتها قوة جسمانیة ثم صورة طبیعیة ثم نفس
حساسة علی مراتبها ثم مصورة ثم مفکرة ذاکرة ناطقة ثم یحصل لها العقل
النظری بعد العملی علی درجاته من حد العقل بالقوة الی حد العقل بالفعل والعقل الفعال
وهو الروح الامری المضاف الی الله تعالی فی قوله قل الروح من امر ربی
وهو کاین فی عدد قلیل من افراد البشر ولا بد فی حصوله من جذبة ربانیة
لا یکفیه فیه العمل والکسب کما ورد جذبة من جذبات الحق توازی عمل
الثقلین **قاعدة** اول ما نشأ من روایح عالم الغیب ونسایم الملکوت فی ذار

الروح من القوى النفسانية قوة اللمس وهي تعم الحيوانات وتسري في الاعضاء
من جهة الروح البخاري ومدركاتها صورا وائل الكيفيات الاربع و
ما يجري مجريها ثم قوة الذوق لادراك صور المطعومات التسعة وما تركب
منها ثم الشم المدرك لصور الروايح وهي الطف من الاولين والطف الخمس
واشرفها قوتا السمع والبصر وقوة البصر للمبصرات بالفاعل اشبه بينهما
بالقابل والسمع بالعكس بالقياس الى المسموعات ومدركاتها الخمس كما اشرنا
في اللمس مثل نورية غيبية موجودة في عالم اخر كالكيفيات المسماة بالمحسوسات
الا بالعرض فهي من جنس الكيفيات النفسانية وان سلكت الحق فهذه القوى
ليست قائمات بالاعضاء بل الاعضاء متقوم بامرها لان البرهان ناهض
على ان الحال بالشيء الذي وجوده في نفسه هو وجوده لمحله لا يمكن ان يكون
وجوده في عالم ووجود المحل في عالم آخر فالحال والمحل في عالم واحد والمدرك
والمدرك من نحو واحد فالحرارة الملموسة بالذات مثلا ليست التي وجدت
في الجسم المجاور للعضو كالنار ولا التي في العضو المتسخن المسمى باللامس بل صورة

اخرى

اخرى غائبة عن هذا العالم حاصلة في نشأة النفس تدركها بقوة اللمسية
وكذا القياس في ساير المحسوسات وما فوقها وفيه سر **قاعدة** للنفس في
ذاتها سمع وبصر وشم وذوق ولمس غير هذه المكشوفة وقد تعطل هذه
بمرض ونوم او اغماء او زمانة او موت وتلك الحواس غير منعزلة عن
فعلها وهذه الظواهر حجب وغشية عليها وهي اصل هذه الداثرات وفيه
سر **قاعدة** الابصار ليس بخروج الشعاع من البصر كما ذهب اليه الرياضيون
ولا بانطباع شبح المرئي في العضو الجليدي كما ذهب اليه الطبيعيون
لضعف كل واحد منها بوجوه عديدة مذكورة في الكتب ولا ايضا بمشاهدة النفس
للصورة الخارجية القائمة بالمادة كما ذهب اليه الاشراقيون جميعا او المشهور
واستحسنه جمع من المتاخرين كابي نصر الفارابي وشهاب الدين المقتول
لانه باطل من وجوه ذكرناها في حواشينا على حكمة الاشراق منها ان
البرهان قائم على ان ما في المواد الخارجية ليس مما يتعلق به ادراك بالذات
ولا من شانه الحضور الادراكي والوجود الشعوري ومنها ان تلك الاضافة

غير صحيحة اذ النسبة بين ما لا وضع له وبين ذوات الاوضاع المادية ممتنعة
الا بواسطة ما له وضع وعلى تقدير صحتها بالواسطة لم يكن اضافة علمية
اشراقية بل وضعية مادية اذ جميع افاعيل القوى المادية وانفعالاتها
بمشاركة الوضع بل الحق في الابصار كما افاده الله لنا بالالهام ان
النفس ينشأ منها بعد حصول هذه الشرائط المخصوصة باذن الله صور
معلقة قائمة بها حاضرة عندها متمثلة في عالمها لا في هذا العالم والناس في
غفلة عن هذا ويزعمون ان هذه الصور المنغمرة في المواد مما يتعلق به الادراك
والذي حققناه من كيفية الابصار احق بان يسمى الاضافة الاشراقية لان
المضاف اليه كالمضاف موجود بوجود نوري بالذات وقد علمت ايضا ان
الصور الادراكية كلها موجودة في عالم آخر ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين

قاعدة ان القوة الخيالية للانسان جوهر مجرد عن هذا العالم اعني عالم
الاكوان الطبيعية والمواد المستحيلة والحركات وعليه براهين قطعية
اوردتها في الاسفار الاربعة وهي ليست مجردة عن الكونين والا لكانت

عقلا

عقلا ومعقولا بل وجودها في عالم آخر بحذوه وحذو هذا العالم في كونه مشتملا على
افلاك وعناصر وانواع سائر الحيوانات والنباتات وغير ذلك باضعاف
اضعاف هذا العالم وجميع ما يدركه الانسان وليست هذه القوة خيالية وحسية
الباطنية ليست حالة في جرم الدماغ ولا في قوة حالة في تجويفه بل ولا موجودة
في اجرام الافلاك ولا في عالم منفصل عن النفس كما زعمه اتباع الاشراقيين
بل هي قائمة بالنفس لا كقيام الحال بالمحل بل كقيام الفعل بالفاعل وتلك
الصور الحاضرة في عالم النفس قد تتفاوت في الظهور والخفاء والشدة والضعف
وكلما كانت النفس الخيالية اشد قوة واقوى جوهرا واكثر رجوعا الى ذاتها
واقل التفاتا الى شواغل هذا البدن واستعمال قواه المحركة كانت الصورة
المتمثلة عندها اتم ظهورا واقوى وجودا وهذه الصور اذا قويت واشتدت
كانت النسبة فيما بينها وبين موجودات هذا العالم في تأكد الوجود و
التحصل وترتب الاثر وليست هي كما ظنه الجمهور انها اشباح مثالية
لا يترتب عليها اثار الوجود كما في المنامات غالبا لان ذلك بسبب اشتغال

17 بالبدن عند القوم ايضا وتمام ظهور تلك الصور وقوة وجودها انما يكون
بعد الموت حتى ان التي تراها الانسان بعد الموت يكون هذه الصور التي
تراها في هذا العالم كالاحلام بالنسبة اليها ولذلك قال امير المؤمنين ع
الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وح صار الغيب شهادة والعلم عيناً
وفيه سر المعاد وحشر الاجساد **قاعدة** نفسية النفس ليست اضافة عارضة
لوجه كما زعمه الجمهور من الحكماء من ان نسبتها الى البدن كنسبة الملك الى
المدينة والربان الى السفينة بل نفسية النفس انما هي نحو وجودها لا كالملك
والربان وغيرهما مما له ذات مخصوصة يعرضها اضافة الى غيره بعد وجود
الذات اذ لا يتصور للنفس ما دام كونها نفسا وجود لم يكن هي بحسبه متعلقة
بالبدن مستعملة لقواه الا ان تتقلب في وجودها وتشتد في تجوهرها حتى تستقل
بذاتها وتستغني عن التعلق بالبدن الطبيعي وتنقلب الى اهله مسرورا
او تصلى نارا ذات لهب ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين **قاعدة**
للنفس الآدمية كينونة سابقة على البدن من غير لزوم التناسخ ولا
قدم

قدم النفس كما اشتهر عن افلاطن ولا تعدد افراد نوع واحد وامتيازها
من غير مادة واستعداد ولا صيرورة النفس منقسمة بعد وحدتها كالمقادير
المتصلة ولا تعطيلها قبل الابدان كما بينا دليله واوضحنا سبيله في
حواشي حكمة الاشراق بما لا مزيد عليه واليه الاشارة في قوله تعالى واذ
اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست
بربكم قالوا بلى وقوله صلى الله عليه وآله الارواح جنود مجندة الحديث
وعن ابي عبد الله عليه السلام ان الله خلقنا من نور عظمته ثم صور خلقنا من طينة
مكنونة تحت العرش فاسكن ذلك النور فيه فكنا نحن بشرا نورانيين وخلق
ارواح شيعتنا من طينتنا وروى محمد بن بابويه قدس سره في كتاب
التوحيد مسندا عن ابي عبد الله ع انه قال ان الله عز وجل خلق المؤمنين
من طينة الجنان واجرى فيهم من روحه وعن ابي جعفر ع مثله وا..
ان الله خلق المؤمنين من طين الجنان واجرى صورهم من ريح الجنان
وعن ابي عبد الله عليهما السلام المؤمنون لان ارواحهم من روح الله ع
المؤمن اخ المؤمن

وجاء وان روح المؤمن لاشد اتصالا بروح الله من اتصال شعاع الشمس
بالشعاع والروايات في هذا الباب من طريق اصحابنا لا تحصى كثرة
حتى ان كينونة الارواح قبل الاجساد لكانها كانت من ضروريات
مذهب الامامية رضوان الله عليهم قاعدة ان في باطن هذا الانسان
المخلوق من العناصر والاركان انسانا نفسانيا وحيوانا برزخيا
بجميع اعضائه وحواسه وقواه وهو موجود الآن وليست حيوته كحيوة هذا
البدن عرضية واردة عليه من خارج بل له حيوة ذاتية وهذا الانسان
النفساني جوهر متوسط في الوجود بين الانسان العقلي والانسان الطبيعي و
هذا الشبه ما يذهب اليه معلم الفلاسفة في كتاب معرفة الربوبية فقال
ان في الانسان الجسماني الانسان النفساني والانسان العقلي ولست اعني
انه هما لكني اعني به انه متصل بهما وانه صنم لهما وذلك انه يفعل بعض
افاعيل الانسان النفسي وذلك لان في الانسان الجسماني الكلمتين
اعني النفسانية والعقلية الا انها فيه قليلة ضعيفة نزرة لانه صنم

الصنم

هو صنم الانسان الاول الحق وقال الظاهر ان قوى هذا الانسان صحيح

الصنم وقال في موضع اخر منه ان هذا الانسان اي حيوته وحالاته ضعيفة
وهي في الانسان الاول قوية جدا وللانسان الاول حواس قوية ظاهرة
اقوى وابين واظهر من حواس هذا الانسان لانه هذه انما هي اصنام
لتلك كما قلنا مرارا انتهى واعلم ان مذهب هذا العظيم اثبات
الانسان العقلي والفرس العقلي والحيوانات العقلية والنبات العقلي
بانواعه والارض العقلية والنار الحقة الالهية والسموات العلى العقلية وسائر
الصور المفارقة الالهية الطبايع الموجهة في علم الله وعالم قضائه ومظاهر
اسمائه الباقية عند الله ببقائه لانها ليست مستقلة الوجود لكنها من شئون
الذات وحجب الربوبية وهو بعينه مذهب استاديه افلاطن وسقراط في
باب الصور وصاحب الشفاء لم يتيسر له تحصيل هذا المطلب وسلوك سبيله و
ولذلك صار يطعن على القول بوجودها ويقدح في عبارات افلاطن وسقراط
قدحا عظيما وكانه لم ينظر الى كتاب اثولوجيا او كانه لم ينسبه الى ارسطاطاليس
بل الى افلاطن وبالجملة هذه المسئلة من احدى الغوامض الحكمية التي من اوتيها
فقد اوتي خيرا كثيرا ولم يتيسر لاحد من الفلاسفة بعد عصر السابقين الاولين

علينا فضله وكرمه

تحقيقها وتهذيبها عن المطاعن وليشكر الابعض من هذه الامة المرحومة
حمدا له وشكرا **قاعدة** افراد البشر متفقة النوع ههنا واقعة تحت حد
واحد نوعي مركب من جنس قريب وفصل قريب ماخوذين من مادة بدنية
وصورة نفسانية لكن النفوس الانسانية بعد اتفاقها في النوع في بداية
الامر سيصير بحسب نشاة اخرى وفطرة ثانية مخالطة الذوات كثيرة
الانواع واقعة تحت اجناس اربعة لانها في اول تكونها بالفعل صورة
كمالية لمادة محسوسة ومادة روحانية من شانها ان تقبل صورة عقلية
تتحد بها وتخرج بسببها من القوة الى الفعل او صورة وهمية شيطانية
او صورة حيوانية بهيمية او سبعية تحشر اليها وتقوم بها عند البعث في نشاة
اخرى لا في هذه النشاة والا لكان تناسخا لا جزاء والتناسخ ممتنع والحشر
الجسماني واقع فالانسان في هذا العالم بين ان يكون ملكا او شيطانا او بهيمة
او سبعا وسيصير ملكا ان غلب عليه العلم والتقوى او شيطانا مريدا ان غلب
عليه المكر والحيلة والجهل المركب او بهيمة ان غلبت عليه اثار الشهوة او سبعا

ان غلبت

[illegible]

ان غلبت عليها اثار الغضب والتهجم فان الكلب كلب بصورته الحيوانية
لا بمادته المخصوصة والخنزير خنزير بصورته لا بمادته وكذا سائر الحيوانات
التي بعضها تحت صفات النفس الشهوية على اقسامها كالبغال والحمير
والشاة والفارة والهرة والطاوس والديك وغيرها وبعضها تحت صفات
النفس الغضبية كالاسد والذئب والنمر والحية والعقرب والعقاب
والبازي وغير ذلك فبحسب ما يغلب على نفس الانسان من الاخلاق والملكات
يقوم يوم القيمة بصورة مناسبة مناسبة لها فيصير انواعا كثيرة في الاخرة
كما نطق به الكتاب الالهي كقوله ويوم يحشر اعداء الله الى النار
فهم يوزعون وقوله يومئذ يتفرقون وعلى ما ذكرنا حمل ايات
المسخ في القران كقوله ما من دابة في الارض ولا طائر يطير
بجناحيه الا امم امثالكم وايات اخر كقوله تشهد عليهم
السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وكقوله
يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وكقوله واذ

الوحوش حشرت وقول الصلعم يحشر الناس على صور اعمالهم وفي رواية
يحشر بعض الناس على صورة يحسن عندها القردة والخنازير والى هذا
يؤول كلام افلاطن وفيثاغورس وغيرهما من الاولين الذين كان كلماتهم
مرموزة وحكمتهم مقتبسة من مشكوة نبوة الانبياء عليهم السلام والذي
نذكر في الكتب الحكمة الرسمية ان شيئا واحدا لايكون صورة لشيء ومادة
لشيء اخر انما يتم بحسب نشأة واحدة وفيما لا يتعلق له اصلا بمادة جسمانية فان
النفس المتعلقة بالمادة من شأنها ان يتصور بصورة بعد صورة ويتحد بها
وايضا الصورة الحسية مع كونها صورة لمادة جسمانية بالفعل فهي معقولة
بالقوة وقد اقمنا البرهان على ثبوت الحركة الجوهرية في جميع الطبايع المادية
والنفس الانسانية اسرع المكونات استحالة وانقلابا في الاطوار الطبيعية
والنفسية والعقلية وهي في اول فطرتها التكوينية نهاية عالم المحسوسات
وبداية عالم الروحانيات وهي باب الله الاعظم الذي يؤتى منه الى الملكوت
الاعلى وفيها ايضا من كل باب من ابواب الجحيم جزء مقسوم وهي السد الواقع

على صور نياتهم وفي رواية صح

بين

بين الدنيا والاخرة لانها صورة كل قوة في هذا العالم ومادة كل صورة
في عالم آخر فهي مجمع بحري الجسمانيات والروحانيات وكونها آخر المعاني
الجسمانية دليل على كونها اول المعاني الروحانية فان نظرت الى جوهرها
في هذا العالم وجدتها مبدء جميع القوى الجسمانية ومستخدم سائر الصور الحيوانية
والنباتية وان نظرت الى جوهرها في العالم العقلي وجدتها في بداية الفطرة
قوة محضة لاصورة لها في عالم العقل لكن من شأنها ان تخرج في باب
العقل والمعقول من القوة الى الفعل ونسبتها الآن الى صور ذلك العالم
نسبة البزر الى الثمرة والنطفة الى الحيوان وكما ان النطفة نطفة بالفعل الى
حيوان بالقوة وكذا النفس بشر بالفعل عقل بالقوة واليه الاشارة في قوله
تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد
فالمماثلة المذكورة بين نفس النبي صلعم وسائر النفوس البشرية
في هذه النشأة ولما خرجت بالوحي الالهي من القوة الى الفعل صار افضل
الخلايق وخير البرية واقرب الى الله من كل نبي وملك لقوله صلعم لي

21 مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل **فائدة** اعلم ان النفوس
الخارجة من القوة الى الفعل في باب العقل والمعقول نادرة الوجود
قليلة العدد جدا في افراد الناس والغالب من افراد النفوس هي النفوس
الناقصة التي ما لا تصير عقلا بالفعل ولكن لا يلزم من ذلك بطلان تلك لم تقرر
النفوس بعد الموت كما ظنه الاسكندر الافروديسي اذ يبنى ذلك الظن
على ان العالم عالمان عالم الاجسام المادية وعالم العقول وليس كذلك بل ان
في الوجود عالما آخر حيوانيا محسوس الذات لا لهذا العالم يدرك بحواس حقيقية
لا بهذه الحواس الداثرة وذلك العالم منقسم الى جنة محسوسة فيها نعيم
السعداء من اكل وشرب ونكاح وشهوة ووقاع وكل ما تشتهيه الانفس
وتلذ الاعين ونار محسوسة فيها عذاب الاشقياء من جحيم وزقوم
وحيات وعقارب ولو لم يكن ذلك العالم الكائن كما ذكره حقا
لا مدفع له فلزم تكذيب الشرائع والكتب الالهية من اثبات البعث
للجميع وشيخ الفلاسفة ابو علي نقل ما ذهب اليه اسكندر ووافقه ورد على
في رسالة

في رسالته
الحجج العشر وغيرها على انه قد مال اليه في رسالة اخرى في سؤالات ابي الحسن العامري
عند اتصاله بالشيخ وبالجملة المنقول من امام المشائين على رواية اسكندر
ان النفوس الناقصة الهيولانية منطفية بعد الموت وعلى رواية ثامسطيوس
انها باقية وهذا مشكل على ظاهر الحكم لانها اذا كانت باقية ولم يترسخ فيها
رذيلة نفسانية تعذبها ولا فضيلة عقلية تلذها ولا امكن ان تكون معطلة
من الفعل والانفعال فقالوا ان عناية الله واسعة فلا بد ان يكون لها
سعادة وهمية ضعيفة من جنس ما يتصور من الاوليات كقول القائل الكل
اعظم من الجزء وما اشبهه ولذلك قيل النفوس الاطفال بين الجنة والنار
هذا ما قاله الشيخ وما ادري اي سعادة تكون في ادراك العمومات الاولية
واما النفوس العامية الغير الفاجرة التي لم تكتسب شوقا الى العلوم النظرية
فالفلاسفة عن آخرهم لم يتفقوا القول عن سعادتهم ومعادهم في درجتها
اذ ليست لها درجة الارتقاء الى عالم القدس العقلي ولا يصح القول برجوعها
الى ابدان الحيوانات لبطلان التناسخ ولا بفنائها راسا لما علم من استحالة

الف دعا غير المتطبعات فطائفة اضطروا الى القول بان نفوس الصلحاء و
الزهاد يتعلق في الهواء بجرم مركب من دخان وبخار يكون موضوعا لتخيلاتهم
لتحصل لهم سعادة وهمية وكذلك لبعض الاشقياء فيه وطائفة اخرى زيفوا
هذا القول في الجرم الدخاني وصوبوه في الجرم السماوي وصاحب الشفاء
نقل هذا الراى من بعض العلماء ووصفه بانه ممن لا يجازف في الكلام والظاهر
انه عنى به ابا نصر الفارابي واستصوبه قائلا يشبه ان يكون ما قاله بعض
العلماء ممن لا يجازف في الكلام حقا وكذا صاحب التلويحات استحسنه القول
بالتعلق بالجرم الفلكي في السعداء واما الاشقياء فقال انه ليت لهم قوة الارتقاء
الى عالم السماء وذات نفوس نورية واجرام شريفة قال والقوة يحوجهم الى
التخيل بجرمي وليس يمتنع ان يكون تحت فلك القمر وفوق كرة النار جرم كرى
غير منخرق هو نوع بنفسه موضوعا لتخيلاتهم من نيران وحيات ملسع وعقارب
ملدغ وزقوم تشرب فهذه اقوال هولاء الافاضل وهي عن مسلك حقيقة
العرفان ومنهج انوار القران بعيدة بمراحل كما بيناه في شواهد الربوبية

من وجوه المفارقة العقلية اللازمة لها الاشراق الثاني في حقيقة المعاد
وكيفية حشر الاجساد اما معاد الارواح وثبوت السعادة الحقيقية
للمقربين والشقاوة بازائها للاشقياء المردودين فهو مما بيناه في كتبنا
المبسوطة ولا خلاف بيننا وبين الفلاسفة فيه وان كان التحقيق فيه فوق ما
حصلوه وضبطوه ونحن الان في بيان حشر الابدان وفيه قواعد قاعدة في اصول
تكشف الحجاب عن كيفية حشر الاجساد وان الابدان الانسانية
الشخصية محشورة في القيمة كما وردت به الشريعة الحقة كما قال تعالى
افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون وقوله
من يحيى العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول
مرة وهو بكل خلق عليم وقوله قل كونوا حجارة او حديدا
او خلقا مما يكبر في صدوركم الاية وهي سبعة اصول الاصل
الاول ان تقوم كل شخص بصورته لا بمادته وهي عين ماهيته وتمام حقيقته
ومبدء فصله الاخير فهو هو بصورته لا بمادته حتى لو فرض تجرد صورته عن

عن مادته الكافى هو بعينه باقيا عنده ذلك التجرد وانما الحاجة الى المادة
لقصور بعض افراد الصور عن التقرر بذاته دون التعلق الوجودى بما
يحمل لوازم تشخصه ويحمل امكان وقوعه وتقربه باستعداده الى جاعله
ويرجح وقت حدوثه على سائر الاوقات ولنسبة المادة الى الصورة نسبة
النقص الى التمام والتربيع تامه واجب الحصول بالفعل ومع نقصه ممكن
بالقوة ولهذا ذهب بعض باتحاد المادة بالصورة وهذا حق عندنا لا شبهة فيه
كما اوضحنا سبيله فى الاسفار الاربعة لان هذا المطلب لا يتوقف عليه **الاصل**
الثانى ان تشخص الشئ عبارة عن نحو وجوده الخاص مجردا كان او ماديا واما
المسمى بالعوارض المشخصة فمن امارات وجود التشخص ولوازمه لا من مقوماته
ويجوز تبدلها شخصا الى شخص او صنفا الى صنف مع بقاء هذا المتشخص
بهويته العينية كحالات هذين تبدل اوضاع زيد وكمياته وكيفياته
واينه واوقاته وزيد زيد بعينه **الاصل الثالث** ان الوجود المتشخص مما
يجوز ان يشتد ويتقوى وان الهوية الجوهرية مما يشتد ويتحرك فى جوهريته

حركة متصلة على نعت الوحدة الاتصالية والواحد بالاتصال واحد بالوجود
والتشخص وقول المث بين ان كل مرتبة وحد من الاشد والاضعف نوع آخر
وان كان حقا لكن بشرط ان يكون ذلك احد حدا بالفعل لا من الحدود المفروضة
فى الاشتداد فانها غير موجودة بالفعل والا يلزم حصول انواع غير متناهية
بالفعل محصورة بين حاصرين فى كل اشتداد بل الموجود بالفعل هو الامر المتشخص
المتوسط بين هذه الحدود المفروضة فى كل حركة واستحالة سواء كانت
فى الجوهر او فى الكيف وغيره بل والذى يكشف عن ذلك ويدفع به الاشكال
ان الوجود هو الاصل والمقدم فى الموجودية والمهية تبع له كالاتباع الظل
للشخص والمتصل الواحد له وجود واحد وله حدود مفروضة ومتى كان الوجود
واحدا كانت المهية واحدة ومتى كانت متكثرا كانت المهية متكثرة لكن
اذا انتهى الى حد ووقف كانت متعين المهية التابعة لذلك الحد وبالجملة
كلما كان الوجود اشد واقوى كان اكمل ذاتا واتم جمعية للمعانى والمهيات واكثر
آثارا وافعالا الا ترى ان نفس الحيوان لكونها اقوى وجودا من سائر النفوس

النباتيه والصور العنصريه يفعل افاعيل النبات والجماد والعناصر وما يزيد
عليها ويفعل نفس الانسان افاعيلها كلها مع النطق والعقل ويفعل العقل الكل
بالالات والبارى يفيض على كل شى بالذات **الاصل الرابع** ان الصور
المقداريه والاشكال وهيأتها كما تحصل من الفاعل لاجل استعداد
المواد ومشاركة القوابل فقد تحصل ايضا بالابداع بمجرد تصورات
الفاعل وجهاته الفاعليه وعلمه تعالى بالنظام الاتم من غير سابقه قابليه
واستحقاق ومن هذا القبيل ايضا انشاء الصور الخياليه القائمة
لا فى محل بمحض الاراده من القوه الخياليه التى قد علمت انها مجرده عن هذا
العالم وان تلك الصور ليست قائمة بالجرم الدماغى ولا بالاجرام الفلكيه
كما زعمه قوم ولا فى عالم مثالى شبحى كلى غير قايم بهذه النفس بل هى قائمة بالنفس
موجوده فى صقع نفسانى لكن الان ضعيفه الوجود ومن شانها ان تصير
اعيانا موجوده بوجود اقوى من وجود الصور الماديه وليس من شرط حصول
الشى فى شى قيامه به وحلوله فيه فان صور الموجودات حاصله لذاته تعالى قائمة به

من غير

[illegible] والافلاك والكواكب
[illegible]

من غير حلولها فيه بل حصولها لفاعلها اكد من حصولها لقابلها قال
بعض المحققين كل انسان يخلق بالوهم ما لا وجود له فى خارج محل همته
ولكن لا يزال الهمة بحفظه ولا يؤده حفظه اياه فمتى طرءت غفلة عليه
عدم ذلك المخلوق انتهى **الاصل الخامس** ان القوه الخياليه من الانسان
اعنى مرتبة نفسه الخياليه منفصل الوجود ذاتا وفعلا عن هذا البدن المحسوس
والهيكل الملموس كما مر ذكره فعند تلاشى هذا القالب باقيه لا تتطرق
الدثور والخلل الى ذاتها وادراكاتها وعند الموت يصل اليها سكرات
الموت ومراراته لاستغراقها فى هذا البدن وبعد الموت يتصور
ذاتها انسانا مقدارا متشكلا على الهيئة التى كانت عليها فى الدنيا ويتصور
بدنها ميتا مقبورا **الاصل السادس** ان جميع ما يتصوره الانسان
بالحقيقه ويدركه باى ادراك كان عقليا او حسيا فى الدنيا او فى الاخره
ليست بامور منفصله عن ذاته مباينه لهويته بل المدرك بالذات
له انما هو موجود فى ذاته لا فى غيره وقد مر ان المبصر بالذات من السموات

والارض وغيرها ليست هي الصور الخارجية الموجودة في المواد الهيولانية
الموجودة في جهات هذا العالم وانما الحاجة لادراكها الى مشاركة المواد
ولنسبتها الخاصة الوضعية في اول الامر لكون الحس من الانسان امرا بالقوة
فلكونه حاسا فاحتاج الى وضع خاص وشرائط مخصوصة للآلة الادراكية
بالنسبة الى مادة ما هو المدرك بالعرض وهو الصورة الخارجية المماثلة
لما هو الحاضر عند النفس المدرك بالذات فاذا وقع الادراك على هذا الوجه
مرة ومرات فكثيرا ما يشاهد النفس صورة من الشيء في عالمها من غير توسط
مادة خارجية كما في المبرسم والنائم وغيرهما ففي حالة الموت لا مانع
من ان يدرك النفس جميع ما يدركه ويحبه من غير مشاركة مادة خارجية
او آلة بدنية منفصلة عن عالم النفس وحقيقتها **الاصل السابع**
ان التصورات والاخلاق والملكات النفسانية مما يستتبع آثارا خارجية
وهذا كثير الوقوع كحمرة الخجل وصفرة الوجل وانتشار آلة الوقاع عند تصور
الجماع وانزال المني في النوم وقد يحدث المرض الشديد من التوهم فينصب

الخلط

الخلط الردي الفاسد في البدن من غير سبب خارجي وقد جرب هذا وامثاله
ومن شاهد الرجل الغضبان عند حدوث غضبه وهو كيفية نفسانية
كيف ينتشر الدم في عروقه وتشتد حمرة وجهه ثم يسود ويتحرك اوداجه
ويضطرب اعضاؤه ويطلع على قلبه نار يحرق اخلاط بدنه وينفش رطوباته
وقد يعمي بصره عند ذلك لامتلاء تجويف دماغه من سواد الادخنة المتولدة
فيه وربما يموت غيظا لفرط خروج الروح وانقطاع مادة حيوته من الدم الصالح
ليكون روحه البخاري فبعد تمهيد هذه الاصول نقول ان شاء الله تعالى

قاعدة

ان المعاد في يوم المعاد هذا الشخص الان في المحسوس الملموس المركب من
الاضداد الممتزج من الاعضاء والاجزاء الكائنة من المواد مع انه
تتبدل عليه في كل وقت اعضاؤه واجزاؤه وجواهره واعراضه حتى قلبه
ودماغه سيما روحه البخاري الذي هو اقرب جسم طبيعي الى ذاته اول منزل
من منازل نفسه في هذا العالم وهو كرسي ذاته وعرش استوائه ومعقل قواه
وجنوده وهو مع ذلك دائم الاستحالة والتبدل والتجدد والحشر والانقطاع

فان العبرة في بقاء البدن بما هو بدن شخص انما هي بوحدة النفس فما دامت نفس زيد
هذه النفس كان بدنه هذا البدن لان نفس الشخص تمام حقيقته وهويته وهذا
كما يقال ان هذا الطفل ممن يشيب وهذا الرجل الشايب كان طفلا وعند
الشيب قد زال عنه جميع ما كان له عند الطفولية من الاجزاء والاعضاء
بل اصبعه هذا صدق انه الاصبع الذي كان له في الطفولية مع انه قد عدم في
ذاته مادة وصورة ولم يبق بما هو جسم معين في ذاته من نوع معين وانما
بقي بما هو اصبع لذاته لهذا الانسان لبقاء نفسه فهذا ذاك بعينه من وجه
وهذا ليس ذاك بعينه من وجه وكلا الوجهين صحيحان بلا تناقض فالانسان
الشخص المعاد بعد الموت هو هذا الانسان بعينه ولا يقدح في ذلك ان
هذا البدن الدنيوي مضمحل كائن فاسد مركب من الاضداد والاخلاط العفنية الكثيفة
وان البدن الاخروي لاهل الجنة نوراني باق شريف حي لذاته غير قابل للغذاء
والموت والمرض والهرم وان بدن الكافر ضرسه كجبل احد وصورته صورة
الكلب والخنزير او غير ذلك يذوب في النار التي تطلع على الافئدة ثم يبدل

عليهم

عليهم جلودهم واعضاؤهم كما قال تعالى كلما نضجت جلودهم الآية
وقد روي انه يكلف بالصعود الى عقبة في النار في سبعين خريفا كلما
وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت وكذا رجله اذا وضعها ذابت
واذا رفعها عادت فقد علم ان هذا البدن محشور في القيمة مع انه بحسب المادة
غير هذا البدن وذلك بحكم الاصل الاول والثاني وهو ان الشيء بصورته
هو ما هو لا بمادته وان بقاء الروح بتشخصه لا ينافيه تبدل العوارض ونفس
المادة من حيث خصوصها من العوارض ثم ان كل ما يشاهده الانسان
في الآخرة ويراه من انواع النعيم من الحور والقصور والجنات والاشجار
والانهار واضداد هذه من انواع العذاب التي في النار ليست بامور خارجة
عن ذات النفس مباينة لوجودها بحكم الاصل الرابع فليس لاحد ان يسأل عن
مكانها ووضعها وجهتها هل هي في داخل هذا العالم او خارجه او هل هي
فوق محدد الجهات او فيما بين اطباق السموات او داخل تحتها لما علمت انها
نشأة اخرى لا نسبة بينها وبين هذا العالم من جهة الوضع والمقدار وما ورد

في الحديث ان ارض الجنة الكرسي وسقفها عرش الرحمن ليس المراد الفضاء
المكاني الذي لجهات هذا العالم بين فلك وفلك بل المراد ما هو بحسب مرتبته
باطنها وغيبها فان الجنة من داخل غيب السماء وكذا ما ورد ان الجنة في
السماء لست بعد والنار في الارض السفلى ليس المراد الا ما هو داخل حجب هذا
العالم وان الدار الآخرة دائمة مخلدة ونعيمها غير زائلة وفواكهها غير مقطوعة
ولا ممنوعة بحكم الاصل الخامس وان كل ما يشتاق اليه الانسان ويشتهيه يحضر
عنده دفعة بل نفس تصوره نفس حضوره ذلك وان اللذات والنعيم
والتنعمات بقدر الشهوات هذا بحكم الاصل السادس وان منشأ ما يصل
اليه الانسان ويجازى في الآخرة من خير او شر او جنة او نار انما يكون
في ذاته من باب النيات والاعتقادات والاخلاق وليس مبادي تلك
الامور باشياء المباينة الخارجية والوضع له بحكم الاصل السابع وان بعض افراد
البشر في كمال ذاته بحيث يصير من الملائكة المقربين الذين لا يلتفتون
الى ما سواه الى شيء من لذات الجنة وطبقات نعيمها وذلك بحكم الاصل الثالث

قاعدة

قاعدة في وجوه الفرق بين الاجساد والابدان الدنيوية والاخروية
في نحو الوجود الجسماني وهي كثيرة منها ان كل جسد في الآخرة ذو روح يدركه
بالذات ولا يتصور هناك بدن لا حيوة له بخلاف الدنيا فانها توجد فيها
اجسام غير ذوات حيوة وشعور والذي فيه الحيوة فان حيوته عارضة له
زائدة عليه ومنها ان اجسام هذا العالم قابلة لنفوسها على سبيل الاستعداد
ونفوس الآخرة فاعلة لابدانها على وجه الايجاب فههنا يرتقي الابدان والمواد
بحسب استعداداتها وحركاتها الى ان يبلغ الى حدود النفوس وفي الآخرة ينزل
الامر من النفوس الى الابدان ومنها ان القوة ههنا متقدمة على الفعل زمانا
والفعل متقدم عليها ذاتا وهناك القوة متقدمة على الفعل ذاتا ووجودا
ومنها ان الفعل ههنا اشرف من القوة لانه غاية لها وهناك القوة اشرف
من الفعل لانها فاعلة له ومنها ان ابدان الآخرة واجرامها غير متناهية
على حسب اعداد تصورات النفوس وادراكاتها لان براهين تناهي الابعاد
غير جارية فيها بل في جهات واحيازها دنيوية وليس ايضا فيها تزاحم وتضايق

ولا بعضها من بعض في جهة خارجة ولا داخلة ولكل انسان سعيد عالم تام اكبر
اعظم من هذا العالم لا ينتظم مع عالم آخر في سلك واحد ولكل من اهل
السعادة ما يريده من الملك باز فسحة تريدهم والى هذا المعنى اشار ابو يزيد بقوله
لو ان العرش وما حواه داخل في زاوية من زوايا قلب ابي يزيد لما احس بها
ومنها ان اجساد الآخرة واعظمها من الجنات والانهار والغرفات
والبيوت والقصور والازواج المطهرة والحور وكل ما لاهل الجنة من الخدم
والحشم والعبيد والغلمان وغيرهم موجودة بوجود واحد هو وجود انسان واحد
من اهل السعادة لانه محيط بها تاييدا من الله ونزلا من غفور رحيم وليس
كذلك حال الشقي الجهنمي بالنسبة الى ما يصل اليه من النيران والاغلال
والسلاسل والحيات وغيرها لانها محاط بها كما قال الله تعالى وقد احاط
بهم سرادقها وقوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين ان الله
في هذا لبلاغا لقوم عابدين **قاعدة** في دفع شبهة
الجاحدين للمعاد والمنكرين لحشر الاجساد وهي اشكالات احدها طلب المكان

والجهة

والجهة للجنة والنار بان الآخرة في اي جهة من العالم ومكانها اين هو منه
حتى يلزم اما التداخل او الخلاء وهو ممتنع الاصل كما اشرنا اليه لان عالم
الآخرة عالم تام في نفسه فكما ان السؤال باين عن مجموع العالم باطل
لانه ليس فوقه فوقه شيء ولا تحت تحته شيء والمجموع لا فوق له ولا تحت ذاتا
يطلب المكان لاجزاء عالم واحد لا لمجموع وقد قلنا عالم الآخرة عالم تام
كما اومأنا اليه كيف ولو لم يكن الدنيا والآخرة عالمين تامين فليس لله سبحانه
عالمان وايضا فان الآخرة نشأة باقية لا موت فيها ولا دثور ولا فناء
وهي دار قرب الى الله والانسان يتكلم فيها مع الله والوجوه ناضرة ناظرة
اليه فيها والدنيا داثرة فانية مطرودة من جهة القدس كما ورد في الحديث
ان الدنيا ملعونة ملعون ما فيها واختلاف اللوازم دال على اختلاف
الملزومات قال الله تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون وعن ابن عباس
ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسماء فنحو وجود الآخرة غير نحو وجود الدنيا
كما علمت فالدنيا والآخرة مختلفان في جوهر الوجود ولو كانت الآخرة

بل لكل من الجنة والنار عالم تام برأسه بل لكل انسان سعيد عالم تام صح

الدثور الدروس صح

من جوهر الدنيا لم يصح ان الدنيا تخرب البتة وتضمحل ولكان القول
بالآخرة قولا بالتناسخ ولكان المعاد عبارة عن عمارة الدنيا بعد
خرابها والاتفاق من جميع الملل منعقد على ان الدنيا تضمحل وتفنى
ثم لا تعمر ابدا وثانيها ان الاعادة لو كانت حقا يلزم التناسخ واجيب
في المشهور بان هذا القسم من التناسخ مما جوزه الشارع وتسمى بالحشر
ولم يتأملوا في ان طبيعة المحال بالذات لا تصير فرد منها ممكنا بتجويز
الشارع وتبديل الاسم ومحالية التناسخ امر مبرهن عليه ولبعض الاعلام
رسالة في المعاد اجاب عن هذا الاشكال بان للنفس الناطقة ضربين
من التعلق بهذا البدن اولهما اولي وهو تعلقها بالروح الحيواني الساري
في الشرايين واخرهما ثانوي بالاعضاء الكثيفة فاذا فسد مزاج الروح وكاد
ان يخرج عن صلاحية تعلق النفس اشتد تعلق الثانوي من النفس بالاعضاء
وبهذا التعلق يتعين الاجزاء تعينا ما ثم عند الحشر اذا جمعت وتمت هيئة
البدن ثانيا وحصل الروح البخاري مرة اخرى على مزاج الاجزاء فالمعاد

علاقة التعلق النفس بها كما هي الاولى [illegible] التعلق الثانوي [illegible] صرورة تعلق اول [illegible]

من النفس الباقية لنيل الجزاء انتهى ما ذكره وهو سخيف القول
واسقط من الجواب الاول لاشتماله على وجوه من الخلل منها ان تعين
التعلق الثانوي في هذا المقام يجب ان يكون بالعرض بمعنى ان يكون
هناك تعلق واحد نسبته الى الارواح بالذات والى الاعضاء بالتبع
ومنها ان تعلق النفس بالبدن ليس بقصد واختيار حتى اذا استشعرت
بفساد مزاج الروح الذي هو الالطف تعلقه منه الى الاعضاء ومنها ان هذا
القائل لم يتفطن بانه اذا فسد روح البدن لم يبق الاعضاء على مزاجها
واعتدالها حتى تتشبث النفس بذيل التعلق بها ومدار الرابطة بين النفس
والبدن بواسطة جهة الوحدة والاعتدال الذي هو انما يكون في الالطف
فالالطف الى ان ينتهي الى الاكثف فالاكثف ولم يتأمل قليلا في انه
ان تقصد ويحصل للنفس من التعلق بمواد فاسدة المزاج والتعلق
الطبيعي للنفس فعل طبيعي لا يكون الا لغاية ذاتية طبيعية ومنها ان
الارواح والاعضاء البسيطة والمركبة كلها فائضة من جهة النفس حدوثا

وبقاء على الترتيب الاشرف فالاشرف فاذا فسد الروح الساري في العضو
لم يبق العضو عضوا وايضا ليست الاعضاء مما يعين وجود النفس حتى
انها اذا بطل مزاج البدن واضمحل تركيبه وانقطع تعلق النفس عادت
تلك النفس المجردة عن البدن لفقده مرة اخرى بواسطة اجتماع
الاجزاء التي لا جامع لها الا صورة طبيعية او قوة نفسانية تعلقت
بمادة طبيعية هي كالاصل تضيف الاجزاء الغذائية اليها بل التحقيق ان
الحافظ للاجزاء والجامع لاجزاء الغذاء للشخص انما يكون نفس المولود على
حسب درجاتها ومقاماتها التي بعد على صيرورتها نفسا كاملة وبالجملة
النفس ابدا تعين البدن واجزاؤه لا البدن تعين النفس في تعين المراتب
فما اشد سخافة قول من جعل المواد الاخيرة والقشور الكثيفة الخارجة
عن جهة الوحدة الاعتدالية مما يدعو النفس الى التعلق بالبدن بالطبع
وهذا القائل وامثاله من فضلاء الاعصار لفي غفلة عريضة عن احوال
النفس ومقاماتها وكيفية انبعاث البدن عنها في العالمين والفرق
بين

المرتبة على تشخصه والنظام ... جزاء على الاعضاء

والفرق بين الانبعاثين ومن حكم احكم هذه المقدمة وعلم تقدم النفس على
البدن يعلم ان هذا القائل وامثاله عن تحقيق علم المعاد لبعداء بمراحل
ولعل هذا القائل يتوهم ان البدن عند الموت بمنزلة خرابة عاش فيها رجل
اي كانت معمورة فيهجر منها مدة ثم اتفق له الرجوع اليها فاشتد اشتياقه
اليها لتذكر احوال السابقة ولذاتها الماضية فيها فجعل معتكفا فيها ابدا
مقصورا عليها عن البلاد المعمورة والمساكن البهجة المتنزهة ومن ذاق
المشرب الحكمي يعلم ان هذه الوساوس والخرافات لا تليق في امور
طبيعية وثالثها انه يلزم اعادة المعدوم وقد علمت انه غير لازم
واجيب في المشهور بان المادة باقية والاعضاء الاصلية باقية وهذا
فاسد لان المادة مبهمة غاية الابهام وحقيقة كل شيء وتعينه بصورته
لا بمادته كما مر ورابعها ان الاعادة لا لغرض عبث لا يليق بالحكيم و
الغرض ان كان عائدا اليه كان نقصانا له فيجب تنزيهه عن ذلك وان
كان عائدا الى العباد فهو ان كان ايلاما فهو غير لائق به وان كان

عائد الى العباد فهو ان كان ايلاما فهو غير لايق به وان كان ايصالا للذة
فاللذات سيما الحسيات لسيما انما هي دفع الالام كما بينه العلماء والاطباء
في كتبهم فيلزم ان يولمه اولا حتى يوصل اليه لذة حسية فهل يليق هذا
بالحكيم مثله مثل من يقطع عضوا ثم يضع عليه المراهم ليلينه وقوم اجابوا عن هذا
بان الله لا يسئل عما يفعل وليس لاحد ان يعترض على مالك في ما يفعل في ملكه
وتحقيق الجواب على وجه الكمال انه قد ثبت في مباحث الغايات ان لكل فعل
وحركة غاية ذاتية وان لكل عمل جزاء لازما ولكل امرء ما نوى جزاء
بما كانوا يكسبون واله الدنيا والاخرة واحد لا شريك له ولن تجد
لسنة الله تبديلا وليس فعله الخاص الا الرحمة والعناية وايصال كل حق
الى مستحقه وانما المثوبات والعقوبات نتايج وثمرات لفعل الحسنات
والسيئات ولذات الاخرة سواء كانت عقلية او حسية ليست كلذات
الدنيا امورا باطلة كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء بل لذات حقيقية واصلة
الى جوهر النفس كما علمت وخامسها انه اذا صار بدن انسان معين

غذاء لبدن انسان اخر فالمحشور لا يكون الا احدهما ثم لو فرض ان الآكل كان كافرا
والماكول مومنا يلزم اما تعذيب المومن او تنعيم الكافر او كون الآكل كل
كافرا معذبا والماكول مومنا متنعما مع كونهما جسما واحدا والجواب
الحق يعلم بتذكر ما اسلفناه ولبعض الناس كلمات عجيبة في هذا المقام حرام على كل
عاقل طالب للاشتغال بامثالها بعد عدم الاستبصار بانوار الايمان عن مجرد
التقليد لصاحب الشريعة والاكتفاء بدين العجايز الذي فيه ضرب من النجاة.
وسادسها ان جرم الارض مقدار محدود بالفراسخ والاميال وعدد
النفوس غير متناه فلا يفي جرمها لحصول الابدان الغير المتناهية والجواب
كما علمت من الاصول ثم بعد تسليم ما ذكره ان الهيولى قوة قابلة لا مقدار
لها في ذاتها ويمكن لها مقادير وانقسامات غير متناهية واعداد لكن
ولو متعاقبة وزمان الاخرة ليس كزمان الدنيا فان يوما واحدا منها كخمسين
الف سنة من ايام الدنيا وان هذه الارض ليست محشورة على هذه الصفة و
انما المحشورة صورة هذه الارض اذا مدت والقت ما فيها وتخلت واذنت

ربها وحقت وهي الابدان كلها كما دل عليه قوله تعالى قل ان الاولين
والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم في جواب
قال انا لمبعوثون اوآباؤنا الاولون التاسعة ان المعلوم من الكتاب
والسنة ان الجنة والنار مخلوقتان اليوم فلو كانتا جسمانيتين لزم من ذلك
اما تداخل الاجسام او عدم كون محدد الجهات محددا لها والجواب قد مر
مستقصى من انهما في داخل حجب السموات والارض واما الذين لم ياتوا البيوت
من ابوابها يجيبون عن الاشكال تارة بنفي كون الجنة والنار مخلوقتين بعد
وتارة بتجويز التداخل بين الاجسام وليتهم اعترفوا بالعجز واكتفوا بالتقليد
وقالوا لا ندري الله ورسوله اعلم **قاعدة** في الامر الباقي من اجزاء الانسان والاشارة
الى عذاب القبر اعلم ان الروح اذا فارقت البدن العنصري يبقى معه شيء ضعيف
الوجود وقد عبر عنه في الحديث بعجب الذنب فقد اختلفوا في معناه فقيل الاجزاء
الاصلية وقيل هو العقل الهيولاني وقيل بل الهيولى وقال ابو حامد الغزالي
لغناء والنفس عليها تنشأ الاخرة وقال ابو زيد الوقواقي هو جوهر فرد

والعجب بالفتح اصل الذنب صحاح

الثغنون لغة في الثغرة صحاح

والثغرة ... والثغرة ا(؟) الثغرة ... صحاح

يبقى

يبقى من هذه النشأة وعند صاحب الفتوحات انه الاعيان الجواهر الثابتة
والكل وجه لكن البرهان دل على بقاء القوة الخيالية التي هي جوهر منفصل
الذات عن هذا البدن وهي آخر هذه النشأة الاولى واول النشأة الاخرة
فالنفس متى فارقت البدن وحملت المصورة المدركة معها فلها ان تدرك
امورا جسمانية محسوسة وليست هذه بجسمها الباطني الجامع لانواع المحسوسات
الذي هو اصل هذه الحواس كما علمت فيتصور ذاتها لقرب اتصالها بالبدن عين
الانسان المقبور الذي مات على صورته فيجد بدنه مقبورا ويدرك الالام
الواصلة اليه على سبيل العقوبات الحسية على ما وردت عليه به الشريعة الحقة فهذا
عذاب القبر وان كانت يتصور ذاتها على صورة ملائمة وتصادف الامور
الموعودة فهذا ثواب القبر واليه الاشارة بقوله صلى القبر روضة من رياض
الجنة او حفرة من حفر النيران ثم اذا جاء وقت البعث والحشر تركب
النفس على بدن يصلح للجنة ولذاتها ان كانت من السعداء ويصلح للنار و
الامها ان كانت من الاشقياء المجرمين واياك وان تعتقد ان ما رآه

الالف في بعد موته من احوال القبر واحوال البعث امور موهومة لا وجود لها
في العين كما زعمه بعض الاسلاميين المتشبثين باذيال الفلاسفة فان من
اعتقد ذلك فهو كافر في الشريعة ضال في الحكمة بل امور القيمة واحوال الآخرة
اقوى وجودا واشد تحصلا من هذه الصور الموجودة في الهيولى التي هي
الموضوعات بوسيلة الحركة والزمان فالصور الاخروية اما معلقة بذواتها
او قائمة في موضع النفس او الطف الهيوليات الاشراق الثالث
في احوال تعرض في الآخرة وفيه قواعد قاعدة في ان الموت
حق يجب ان يعلم ان عروض الموت امر طبيعي منشاه كما اشرنا اليه حركة
النفس عن عالم الطبيعة الى نشأة باقية واعراضها عن هذا البدن
وخروجها عن غبار هذه الهيئات البدنية واقبالها الى دار الآخرة
وليس الامر كما زعمه الاطباء وعلماء الطبيعة ان سبب عروضه تناهي
القوى الطبيعية او نفاد الحرارة الغريزية او زيادة الرطوبة الفضلية
او غير ذلك من تاثيرات الكواكب بحسب خطوطها عند طالع المولود

او ما يشبهها

بلغ

او ما يشبهها لما بين بطلانها في موضعه بل بسببه قوة جوهر النفس واشتدادها
في الوجود ورجوعها بحركتها الذاتية الى جاعلها الذي منه بدوها واليه
منتهاها اما مسرورة منعمة او معذبة منكوسة قاعدة في الحشر حشر الخلائق
على انحاء مختلفة حسب اعمالهم ونياتهم فلقوم على سبيل الوفد يوم نحشر المتقين
الى الرحمن وفدا ولقوم على سبيل التعذيب ويوم يحشر اعداء
الله الى النار فهم يوزعون لاختلاف انواع الملكات
السيئة فيهم الموجبة لاختلاف صورهم الحيوانية فلقوم منهم مفاد قوله تعالى
ونحشرهم يوم القيمة اعمى ولقوم اذ الاغلال في اعناقهم
والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون
ولقوم يوم يسحبون في النار على وجوههم ولقوم
ويحشر المجرمون يومئذ زرقا ولقوم لهم فيها زفير و
شهيق ولقوم اخسئوا فيها ولا يكلمون ولقوم فطمسنا
على اعينهم وبالجملة يحشر كل احد على صورة باطنه وليساق الى غايته

وقد قال علي الامير اي ورد ركوبا فهو وافد والجمع وفد
صح

سجرت التنور اسجره سجرا اذا احميته وسجرت النهر ملأته صح

والزفير اول صوت الحمار والشهيق آخره لان الزفير ادخال النفس والشهيق اخراجه صح

شزرة الهرة ... صح

سعيه وعمله كما قال قل كل يعمل على شاكلته وربكم اعلم
بمن هو اهدى سبيلا وفي الحديث يحشر المرء مع من احبه
حتى لو احب احدكم حجرا لحشر معه فان تكررالافاعيل توجب حدوث
الملكات والملكات النفسانية تؤدي الى تغير الصور والاشكال
فكل ملكة تغلب على الانسان في الدنيا تتصور في الآخرة بصورة تناسبها
وهذا امر محقق عند اهل اليقين ثم ان سبحانه انما خلق الابدان الحيوانية على طبق
دواعيها واغراضها النفسانية وخلق الاعضاء البدنية كالقلب والدماغ
والكبد والطحال والانثيين وسائر الاعضاء والجوارح على حسب مآرب
النفس وهيئاتها الذاتية وكذا خلق لكل نوع من انواع الحيوان الآت
تناسبه لصفات نفوسها كالقرن للثور والمخلب للسبع والظلف للفرس
والجناح للطير والناب للحية والحمة للعقرب ومن نظر الى اصناف الناس من
اهل كل صنعة وعمل كالكاتب والمنجم والشاعر والزارع والطبيب وغيرهم
يجد هيئات ابدانهم مناسبة لدواعي نفوسهم فان الهيئات تردمن النفوس

الى الابدان اولا كما ترد من الابدان الى النفوس ثانيا فيتصور في الآخرة
بصورتها واليه الاشارة بقوله تعالى ولأمرنهم فليبتكن آذان الانعام
ولأمرنهم فليغيرن خلق الله قال بعض اصحاب القلوب كل من شاهد
بنور البصيرة باطنه في الدنيا لرآه مشحونا بانواع المؤذيات من الشهوة
والغضب والمكر والحسد والتكبر والعجب والرياء وغيرها الا ان اكثر
الناس محجوب العين عن مشاهدتها فاذا انكشف الغطاء بالموت فيدرك
عاينها وقد تمثلت بصورها واشكالها المحسوسة الموافقة لمعانيها
بعينه ان النفس قد تشكلت بصور السباع والبهائم وقد احدقت
به العقارب والحيات تلدغها وتلسعها والنار قد احاطت به واحرقته
وانما هي ملكاته وصفاته الحاضرة الآن ليس عنده الرحمة الالهية وينجيها
من العقاب لاجل الايمان والعمل الصالح **قاعدة** في النفختين قال الله
تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات الآية
واعلم ان النفخة نفختان نفخة تطفي النار ونفخة تشعلها والصور لسكون

الواو وقرئ بفتحها ايضاً جمع الصورة ولما سئل النبي صلى الله عليه وآله عن الصور ما هو
فقال هو قرن من نور التقمه اسرافيل فوصف بالسعة والضيق واختلف
في ان اعلاه اوسع واسفله اضيق او بالعكس ولكل منهما وجه فاذا تهيأت
الصور كانت فتيله استعدادها كالفحم للاشتعال بالنار التي تمكنت فيها
فتبرز بالنفخ والصور البرزخية مشتعلة بالارواح التي فيها فينفخ اسرافيل
نفخة واحدة فتمر عليها فيطفيها وتمر النفخة التي تليها وهي الثانية على تلك الصور
المستعدة لارواحها كالسرج للاشتعال بل الاستينار فاذا هم قيام ينظرون
واشرقت الارض بنور ربها فتقوم تلك الصور احياء ناطقة فمن ناطق
بالحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور ومن ناطق يقول من بعثنا
من مرقدنا هذا ما وعد وكل ينطق بحسب علمه وحاله **قاعدة** في القيامتين
الصغرى والكبرى اما الاولى فمعلومة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم من مات
فقد قامت قيامته واما الكبرى فلها ميعاد عند الله تعالى لا يطلع عليها الا الله
هو والراسخون في العلم وكل ما في القيمة الكبرى له نظير في الصغرى ومفتاح

العلم

العلم بيوم القيمة وميعاد الخلائق هو معرفة النفس وقواها ومنازلها
ومعارجها والموت كالولادة والقيامتان الصغرى والكبرى كالولادتين
الصغرى وهي الخروج من بطن الام الى فضاء الدنيا والكبرى وهي الخروج
من بطن الدنيا ومن مضيق البدن الى فضاء الآخرة ما خلقكم ولا بعثكم
الا كنفس واحدة فمن اراد ان يعرف معنى القيمة الكبرى ورجوع الكل الى الله
تعالى وعروج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة
وظهور الحق بالوحدة التامة وفناء الجميع حتى الافلاك والاملاك كما قال الله
فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله
وهم الذين سبقت لهم القيمة الكبرى فليتأمل الاصول التي بسطناها في الكتب
والرسائل سيما في رسالة الحدوث ومن امكن له ان يعرف كيفية حدوث
العالم بجميع اجزائه بعد ما لم يكن بعدية زمانية من غير ان يتقدم به شيء من
الاصول العقلية ولا ان يتكلم به تنزيه الله وصفاته الحقيقية عن وصمة التغير
والتكثر فقد امكن له ان يعرف خراب العالم وما فيه وزواله واضمحلاله

بالكلية ورجوعها اليه ومن انكر هذا فلانه لم يصل الى هذا المقام ولم يذق
هذا المشرب بذوق العيان او بوسيلة البرهان او لانه مغرور بعقله
الناقص والضعف ايمانه بما جاءت به الانبياء عليهم السلام ومن تنور
بيت قلبه بنور اليقين يشاهد تبدل اجزاء العالم واعيانها وطبايعها
وصورها ونفوسها في كل حين الى ان يزول تعيناتها وتضمحل تشخصاتها
ومن شاهد حشر جميع القوى الانسانية مع شتاتها في الوجود واختلاف مواضعها
في البدن الى ذات واحدة بسيطة روحانية حتى يزول وتضمحل بالكلية وتفنى
فيها راجعة اليها ثم تنبعث من تلك الذات تارة اخرى في القيمة بصورة
تحتمل الدوام والبقاء كان عليه التصديق برجوع الكل الى الواحد القهار
ثم صدورها وانتشائها منها تارة اخرى في النشاة الباقية والله اعلم
وان كانت واحدة ضربا من الوحدة من جانب الحق لاحاطته بجميع ما سواه
لكنها بالاضافة الى الخلايق متكثرة حسب كثرتها العددية والنوعية وغيرها لكنها
كما ان الازمنة والاوقات بالقياس اليه ساعة واحدة ضربا من

الوحدة

من الوحدة والساعة ايضا ماخوذة من السعي لان جميع الاشياء الكونية الطبيعية
ساعية اليها متوجهة نحوها من باب الحيوانية ثم الانسانية وتحقيق هذا المرام
يطلب من اهل الكشف بكثرة المراجعة اليهم وطول الصحبة معهم قاعدة
في ارض المحشر هي هذه الارض التي في الدنيا الا انها تبدل غير الارض
كما تمد مد الاديم وتبسط فلا ترى فيها عوجا ولا امتا تجمع فيها الخلايق
من اول الدنيا الى اخرها لانها في ذلك اليوم مبسوطة على قدر تسع الخلايق
ومعنى بسطها لا ينكشف الا لذوي الابصار النورية الذين اطلقت ذواتهم البصايرة
عن اسر الطبيعة وقيد الزمان والمكان فتعرف ان مجموع الازمنة
وما يوازيها كلمحة واحدة وما فيها ومجموع الامكنة وما يطابقها كنقطة
واحدة فكانت الاراضي كلها ارضا واحدة وللارض صورة ارضية
اخرى بيضاء نقية فيها الخلايق كلها والنبيون والشهداء والكتب
والموازين وفيها الفصل والقضاء بالحق كما في قوله تعالى واشرقت
الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين

والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون **قاعدة**
في ان الصراط حق ورد في الحديث ورواه المفضل عن ابي عبد الله
ع انه قال الصراط هو الطريق الى معرفة الله عز وجل وهما صراطان
صراط في الدنيا وصراط في الآخرة اما الصراط الذي في الدنيا فهو
الامام المفترض الطاعة من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مر على
الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه
عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم وروى الحلبي عن ابي عبد الله ع
قال الصراط المستقيم امير المؤمنين وايضا عنه عليه السلام في قول الله عز وجل
اهدنا الصراط المستقيم قال هو امير المؤمنين ع ومعرفته وفي رواية اخرى
عن واحد منهم عليهم السلام الصراط المستقيم صراطان صراط في الدنيا وصراط
في الآخرة فاما الطريق المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن
التقصير واستقام فلم يعدل الى شيء من الباطل والطريق الآخر طريق
المؤمنين الى الجنة وهو مستقيم ولا يعدلون عن الجنة الى النار ولا الى غير

النار

غير النار سوى الجنة وعنهم عليهم السلام نحن ابواب الله ونحن الصراط المستقيم
وهذه الاحاديث المروية عن ساداتنا عليهم السلام متوافقة المعاني
والبواطن يحتاج شرحها الى بسط في الكلام من اراد الاطلاع عليه فليرجع
الى تفسيرنا لفاتحة الكتاب والاشارة اليه ان للنفس الانسانية
من ابتداء حدوثها الى منتهى عمرها الدنيوي انتقالات نفسانية وحركات
جوهرية لاجلها في نشآت ذاتية فلكل نفس صراط الى الآخرة بوجه كما انها
سالكة ايضا بوجه فالمتحرك محل المسافة شيء واحد بالذات متغاير
بالاعتبار فالنفوس صراطات الى العاقبة بعضها مستقيمة وبعضها
منحرفة وبعضها منكوسة والمستقيمة بعضها واصلة وبعضها واقفة
او معطلة والواصلة بعضها سريعة وبعضها بطيئة واتم الصراطات المستقيمة
نفس امير المؤمنين ع ثم نفوس اولاده المنتقين المقدسين عليهم السلام
وذلك بحسب القوتين العملية والنظرية واليها الاشارة في الحديث بصراط
الدنيا وصراط الآخرة فالاول عبارة عن تحصيل العدالة وملكة التوسط

في استعمال العقل العملي للقوى الثلثة الشهوية والغضبية والوهمية
بين الافراط والتفريط الى ان لا يكون فاجرا ولا خاملا بل عفيفا و
لا يكون متهورا ولا جبانا بل شجاعا ولا يكون جربزا ولا ابله بل
حكيما ليتحصل من تركيب هذه الاوساط هيئة اذعانية انقيادية للقوى وهيئة
استعلائية للروح عليها والتوسط بين الاطراف الشديدة بمنزلة الخروج
عن جنبها فيصير النفس كانها لا مرتبة لها من الصفاء النفسانية التعلقية
ولا مقام لها في الدنيا يا اهل يثرب لا مقام لكم فصار كمرآة مجلوة تستعد
لان تجلى لها فيها صورة الحق وذلك لا يحصل الا بانقياد الشريعة وطاعة
الامام المفترض الطاعة وهذا معنى كون صراط الدنيا هو الامام والثاني
عبارة عن مرور النفس بقوتيه النظرية وعقله العملي على مراتب الموجودات
والاطوار الحسية والنفسية والعقلية وخروجها عن مكان الحجب والغواشي
الى فضية الانوار الالهية فللصراط المستقيم وجهان احدهما احد من
السيف من وقف عليه شقه والآخر ادق من الشعر والوقوف على الاول يوجب

القطع

القطع والفصل كقوله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحيوة الدنيا
من الآخرة وجاء في الخبر يمر المؤمن على الصراط كالبرق الخاطف والانحراف
عن الثاني يوجب الهلاك والعقاب ان الذين لا يؤمنون بالآخرة
عن الصراط لناكبون بصيرة كشفية اعلم ان الصراط المستقيم الذي
اذا سلكت اوصلك الى الجنة هو بعينه صورة هدى النفس الممدودة من
مبدء الطبيعة الحسية الى باب الرضوان فهو في هذه الدار [illegible] (?)
الغائبة عن الابصار ولك هذه صورة متعينة فاذا انكشف غطاء الطبيعة
بالموت ينكشف لك يوم القيمة جسرا ممدودا محسوسا على متن جهنم اوله في
الموقف وآخره على باب الجنة كل من يشاهده يعرف انه صنعك وبناؤك
ويعلم انه قد كان في الدنيا جسرا ممدودا على متن جهنم التي قد امتلأت
فيقول هل من مزيد ليزيد في طول طبقتك وعرضها وعمقها وتلك ظل
حقيقتك ذي ثلث شعب او ظل غير ظليل لا يغني جوهر ذاتك من اللهب
لهب جهنم بل هو الذي تعود كم الى لهب الشهوات الكامنة نارها الآن

البارزة يوم القيمة لقوله وبرزت الجحيم لمن يرى الّا ان يطفئها ويطفئها
ماء التوبة المطهرة للنفس عن المعاصي وماء العلم المطهر للقلوب عن رجس
الجاهلية الاولى والثانية قاعدة في نشر الكتب والصحائف
قال تعالى ويخرج به يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا اقرأ
كتابك كفى بنفسك اليوم حسيبا وقال واذا الصحف نشرت
اعلم ان كل ما يفعله الانسان بنفسه او يدركه بحسه يرتفع منه اثر الى ذاته ويجمع
في صحيفة نفسه وخزانة مدركاته اثار الحركات والافعال وهو كتاب منطو
اليوم غايب عن مشاهدة الابصار فيكشف له بالموت ما غيب عن البصر
في حال الحيوة مما كان مسطورا في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها وقد مر الا شارة
الى ان رسوخ الهيئات الباطنة وتاكد الصفات النفسانية وهو المسمى عند
الحكماء بالملكة وعند اهل الشريعة بالملك والشيطان مما يوجب خلود الثواب
والعقاب فكل من فعل مثقال ذرة خيرا او شرا يرى اثره مكتوبا في صحيفة
ذاته او صحيفة اعلى منها وهو عبارة عن نشر الصحايف وبسط الكتب فاذا

فان

فان وقت ان يقع بصره على وجه ذاته عند كشف الغطاء ورفع الغشاوة
والحجب فيلتفت الى صفحة باطنه وكتاب نفسه فمن كان في غفلة عن ذاته
وحساب حسناته وسيئاته يقول عند ذلك ما لهذا الكتاب لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة الا احصيها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا
وذلك لان نشاة الاخرة نشاة ادراكية حيوانية كل من فيها حديد البصر
لقوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فمن كان من اهل
السعادة واصحاب اليمين فقد اوتي كتابه بيمينه من جهة عليين لان
معلوماته امور كلية رفيعة عالية كما قال تعالى ان كتاب الابرار لفي
عليين وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون
ومن كان من الاشقياء المردودين الى اسفل سافلين واصحاب الشمال
فقد اوتي كتابه بشماله او من وراء ظهره من جهة سجين لان مدركاته
مقصورة على اغراض جزئية سفلية ولاشتمال كتابه على الكذب والبهتان
والهذيان فحري بان يلقى في النار وخليق بان يحرق في الجحيم كما قال

ان كتاب الفجار لفي سجين ويل يومئذ للمكذبين قاعدة
في كيفية ظهور احوال العرض يوم القيمة على الاجمال وتفاصيلها مستفادة
من القران والحديث على اتم تفصيل واوضحه الا انه نبأ عظيم والناس
عنه معرضون كما قال عز من قائل وكاين من اية في السموات
والارض تمرون عليها وهم عنها معرضون واعلم ان القيمة
كما اشرنا اليه من داخل حجب السموات والارض وهي نسبتها من هذا العالم
منزلة الجنين من الرحم والطير من البيضة فما لم ينهدم بناء الظاهر لم ينكشف
احوال الباطن لان الغيب والشهادة لا يجتمعان في موضع واحد فلا تقوم
الساعة الا اذا زلزلت الارض زلزالها وانشقت السماء وانتثرت الكواكب
وتساقط النجوم وكورت الشمس وخسف القمر وسيرت الجبال وعطلت العشار
وبعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور وحملت الارض والجبال فدكتا
دكة واحدة والعارف قد يشاهد هذه الاحوال والاهوال عند ظهور
سلطان الآخرة على ذاته فيسمع نداء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار

فيرى

فيرى السموات مطويات بيمينه ويرى هذه الارض عند القيمة في الزلزال والجبال
في الاندكاك حيث لا استقرار ولا جمود لها فاذا انكشف الغطاء بالقيامة يتبين
الكبرى والصغرى يرى كل شيء على اصله من غير غلط في الحس وشبهة في الوهم فيرى
ذوات الاوضاع الشخصية المركبة من مواد وصور متجددة مستحيلة مع اعراضها
المختلفة التي كان يتم بها وجود الشخص المحسوس الذي يظهر الآلات الحواس وانفعالاتها
عند القيمة ولها نحو آخر من الرؤية فليس لها في مشهد الآخرة هذا النحو من الوجود
فيشاهد الاشياء في عرصة القيمة على حقايقها الاصلية بمشعر اخروي
يتنور بنور الملكوت فيشاهد الجبال كالعهن المنقوش ويتحقق بمعنى قوله تعالى
ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها
قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا ويشاهد يومئذ
نار جهنم كيف محيطة بالكافرين ويراها كيف تحرق الابدان وينضج الجلود ويذيب
اللحوم ويقودها الناس والحجارة ويرى البحار مسجورة وهذه النار التي تحرق
الجلود والابدان غير نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة فان تلك النار

قد تحصنوا بالنوم وشبهه فيخفف ضرب من العذاب عنهم وان كان نومهم مما لا راحة
فيه قال تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا اى كلما خبت فيهم النار الباطنة
لغفلتهم عن الحسد والحقد والعداوة والبغضاء وسائر النيرانات الكامنة
تحرق القلوب لشتغلوا باعمال بدنية من قضاء شهوة البطن والفرج وغيرهما
لا على وجه المصلحة بل على منهج البهيمية والغضبية فيزيد فيهم قوة بدنية موجبة
لزيادة نار السعير فيهم ومن ههنا يعلم ان هذه النار محسوسة قابلة للزيادة
والنقصان وقال بعض اهل الكشف فى معنى الآية وجها آخر وهو قوله تعالى
كلما خبت النار المسلط على ابدانهم زدناهم سعيرا بانقلاب
العذاب من ظواهرهم الى بواطنهم وهو عذاب التفكر فى الفضيحة والهول
يوم القيمة لان عذاب حرقة القلوب بنيران القطيعة والحجاب عن الملكوت
اشد من عذاب حرقة الابدان والجلود فيكون عذاب تفكرهم وتوهمهم فى نفوسهم
من حلول العذاب المقرون بتسلط النار المحسوسة على ابدانهم ولاجل ذلك
شعر: النار دنا دان كلها لهب : ونار دمعى على الارواح تطلع
قادم
اقول

اقول وكلتاهما غير هذه النار التى فى الدنيا ولاجل ذلك وصفها بانها
كلها لهب لان هذه النار الدنيوية ليست نارا محضة بل جوهرا مركبا فيه
نار وغير نار ولهذا قد ينقلب الى هواء وماء او غير ذلك واما النار المحسوسة
الاخروية فهى صورة نارية بحتة لا يطفيها شئ الا رحمة الله ومن جملة الاحوال
يومئذ ان المرء يفر من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه
لكل امرئ يومئذ شان يغنيه وذلك لان النفس قد فارقت هذا
البدن وخرجت عن الدنيا وكل ما فيها كما قال تعالى وكلهم آتيه يوم
القيمة فردا فلا يصادف الانسان احدا من هذا العالم ولا شيئا من الاشياء تتبع
احواله وصور نياته ولوازم ملكاته وصفاته ومنها ان الملك يومئذ
لله وذلك لان الروابط المادية والاسباب الوضعية والعلل المعدة مرتفعة هناك
لان هذه الروابط مختصة بعالم الاتفاقات والحركات التى منشاها انفعالات
المواد واستحالاتها بواسطة الجهات والاوضاع السماوية كما يتبين فى مقامه
واما النشأة الثانية فالاسباب هناك ليست الا ذاتية خارجة عن ذات

الشيء مقوم وجهه وهذا العالم ايضا الملك لله اذ الكل بارادته وايجاده وتدبيره
وحكمته الا ان الوسائل العرضية والعلل المعدة موجهة ههنا والاتفاقات
واقعة بقضائه وقدره ومنها ان الملك يومئذ الحق وان ظلم اليوم لما عرفت
من ارتفاع المصادمات والمعارضات الاتفاقية والتعاقب في الحدوث
والقدم والامكنة والجهات على الحضور والغيبة في الوجود والعدم فاذا ارتفعتا
في القيمة ارتفعت الحجب بين الموجودات فيجمع الخلائق كلهم الاولون والآخرون
فهي يوم الجمع لقوله يوم يجمعكم ليوم القيمة ومنها انها يوم الفصل لان الدنيا
دار اشتباه ومخالطة يتشابك فيها الحق والباطل والخير والشر يتعالى فيها
الخصمان ويتنازع فيها المتقابلان والاخرة دار الفصل والتميز والافتراق
فيتفرق المختلفان ويتميز المتشابهان لقوله ويوم تقوم الساعة
يومئذ يتفرقون وقوله ليميز الخبيث عن الطيب الاية وقوله
ويحق الحق ويبطل الباطل ولا منافاة بين هذا الفصل وذلك الجمع
بل يقرره ويوجبه كما قال هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين

ومنها

ومنها ان المتخلصين عن البرازخ والقبور يتوجهون عند قيام الساعة
الى الحضرة الالهية بلا تراخ وانتظار كما لغيرهم من المقيدين بالدنيا
المأسورين باسر التعلقات كما قال تعالى فاذا هم من الاجداث
الى ربهم ينسلون ومنها ان الموت عبارة عن هلاك الحيوان
بواحد من طرفي التضاد ويقام بين الجنة والنار في صورة كبش املح
ويذبح بشفرة يحيى ع وهو صورة الحيوة بامر جبرئيل مبدء الارواح ومحي
الاشباح باذن الله ليظهر حقيقة البقاء والسرمد بموت الموت وحيوة الحيوة
ومنها ان الجحيم تحضر في العرصات على صورة بعير لاجل حقده ليتذكر الانسان
صفاته الذميمة الباعثة للعقاب كما في قوله وجيء يومئذ
بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى
وهي بارزة في ذلك اليوم لا كامنة كما في هذا اليوم لقوله وبرزت
الجحيم لمن يرى فيطلع الخلائق من اهل المشاهدة على قبائحهم
وعذابهم فيفزعون الى الله من شرها لولا ان حبسها الله برحمته لشردت

شردة اخترقت بها السموات والارض قاعدة في العرض والحساب
واخذ الكتب ووضع الميزان اما العرض فهو تعرض الجيش
ليعرف اعمالهم في الموقف وقد علمت صحة اجتماع الخلائق كلهم على ساهرة
واحدة فيعرف المجرمون بسيماهم كما يعرف الاخيار ههنا بزيهم وقد ورد ان
النبي صلعم سئل عن قوله تع فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال
ذلك هو العرض فان من نوقش في الحساب عذب واما الحساب فهو عبارة
عن جميع تفاريق الاعداد والمقادير ليعرف فذلكتها ومبلغها وفي قدرة
الله تع من جمع ان يكشف في لحظة واحدة للخلائق حاصل متفرقات اعمالهم
وجمع نتايج اعداد حسناتهم وسياتهم واثر كل دقيق وجليل من افعالهم
نياتهم وهو اسرع الحاسبين واما طول مدة الحساب ومكثهم في العذاب فلاجل
قصور ذواتهم عن سرعة التفطن بجميع متفرقاتهم والوصول الى حاصل حسابهم
واما اخذ الكتب قد علمت ان كتب النفوس وصحايف القلوب بعضها علوية
وبعضها سفلية وبعضها يمينية وبعضها شمالية فاما من اوتي
كتابه

كتابه بيمينه فسوف حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا
لانه المؤمن السعيد الذي قلبه منورة بنور الايمان مطهر عن الخبث الباطن ودغل
السريرة ولا حساب له مع احد من الخلق ولا اشتغال له بهمته عن التوجه الى عالم
القدس ولذلك قال واما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم
اقرأوا كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابيه فهو في عيشة
راضية في جنة عالية لانه كان عارفا بالآخرة والحشر والجزاء
عالما بانه يلاقي حسابه وكتابه اذ الظن ههنا بمعنى الجزم واليقين واما
من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر
حسابيه وذلك لكثرة اشتغاله بالدنيا ولذاتها وتلهيه عن الآخرة
وشرورها وخيراتها واما من اوتي كتابه وراء ظهره فسوف
يدعو ثبورا ويصلى سعيرا لان دعوة الثبور لتعلق نفسه بالامور
الهالكة الفانية واما صلي السعير فلكون كتاب الفجار المنافقين من جنس
الاوراق المسودة الباطلة القابلة للنسخ والتبديل والتغيير اللايقة للاحراق

بنار السعير واما الكافر المحض فلا كتاب له والمنافق سلك عنه من الايمان
ولا تقبل منه صورة الاسلام كما يقبل من العوام والضعفاء وتقال
في حقه كان لا يؤمن بالله العظيم فيدخل فيه المعطل والمشرك والجاحد لان
المنافق في باطنه واحد من هؤلاء الثلثة اذ لا ينفع له هناك صورة
الاسلام الظاهري كما مر واعلم ان هذا الكتاب غير كتاب اعمال الفجار
لانه كتاب الذين اوتوا العلم فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا
وهو كتابه المنزل عليه لا كتاب الاعمال فانه حين نبذه وراء ظهره ظن
ان يحور اي جرم كما في قوله تعالى ذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم
فارداكم فاذا كان يوم القيمة قيل له اي للمنافق خذ كتابك من وراء
ظهرك اذ من حيث نبذته في حيوتك الدنيا كما في قوله تعالى قيل ارجعوا
ورائكم فالتمسوا نورا واما وضع الموازين فالميزان عبارة
معيار صحيح يعرف به قدر الشيء ووزنه سواء كان آلة محسوسة مخصوصة او غيرها
وميزان كل موزون من جنسه وان لم ليسا وميزان الآخرة لميزان الدنيا

ولا موازين

ولا موازين العلوم والاعمال لموازين الاجرام والاثقال كما لا يساوى
ميزان الحنطة والشعير والاقط والدبس لميزان الشعر كالعروض وميزان الفكر
كالمنطق وميزان الاعراب والبناء كالنحو وميزان مقادير الساعات
كالاصطرلاب والارتفاعات والاعمدة كالشاقول والدوائر والاستدارات
كالفرجار والاضلاع والاستقامات كالمسطرة والعقل ميزان الكل و
بالجملة ميزان القيمة نوع آخر من الموازين فيوزن به الكتب والصحائف
بما فيه ومما ورد في هذا الباب عن ائمتنا عليهم السلام ما رواه محمد بن
علي بن بابويه رحمه الله انه سئل هشام بن سالم عن قول الله عز وجل و
نضع الموازين القسط ليوم القيمة قال هم الانبياء والاوصياء
عليهم السلام واعلم ان كل عمل بدني او قلبي وكل ذكر ونية توضع في الميزان
ويدخل فيه ويقابله شيء الا كلمة التوحيد من قول لا اله الا الله مخلصا لان
كل عمل له مقابل في هذا العالم عالم الاضداد وليس للتوحيد مقابل الا الشرك
وهما لا يجتمعان في ميزان احد لان اليقين الدائم لا يجامع مع نقيضه في

في قلب احد ولا يتعاقبان على موضع واحد كما اوّلنا اليه من ان نفس
المؤمن الموحّد بحسب الجوهر والذات يخالف نفس الكافر مخالفة نوعية
فضلا عن الشخصية فليست للكلمة ما يقابلها ويعادلها في الكفة الاخرى
من قول او عمل او نية فضلا عن ان يرجح عليها كما يدل عليه حديث
صاحب السجلات ولهذا روي عن ابي عبد الله ع انه قال كما لا ينفع
مع الكفر شيء لا يضر مع الايمان شيء وروى ابو الصامت عنه ايضا ع ان الله
يغفر للمؤمن وان جاء بمثل ذا وادمى بيده قال قلت وان جاء بمثل تلك
العينات فقال اي والله وان جاء بمثل تلك العينات اي والله مرتين
وفي رواية عن النبي ص وان زنى وان سرق واعلم ان اعمال الجوارح خيرها
وشرها كلها مما يدخل في الموازين واما الاعمال الباطنة فلا يدخل الميزان
المحسوس لكن يقام فيه العدل وهو الميزان الحكمي المعنوي فالمحسوس يوزن
بالمحسوس والمعنى بالمعنى فلهذا يوزن الاعمال من حيث ما هي مكتوبة واخر
ما وضع في هذا الميزان قول الانسان الحمد لله وبه يملأ الميزان ولهم
الاشارة

الاشارة فيما قال صلى الله عليه وآله الحمد لله يملأ الميزان ومن اللطائف
الكشفية ان كفة ميزان كل احد بقدر علمه من غير زيادة ولا نقصان
قاعدة في الجنة والنار يجب ان يعلم ان الجنة التي خرجت
عنها ابونا آدم وزوجته لاجل خطيئتهما غير الجنة التي وعد المتقون لان
هذه لا يكون الا بعد خراب الدنيا وبوار السموات وانتهاء
مدة عالم الحركات وان كانتا متفقتين في الحقيقة والمهية والنوع
لكونهما جميعا دار الحيوة الذاتية ودار البقاء غير متجددة ولا متبدلة و
لا داثرة ولا فانية ولا زائلة وبيان ذلك ان الغايات كالمبادي
متحاذية متقابلة وان الموت الطبيعي ابتداء حركة الرجوع الى الله تعالى
كما ان الحيوة الطبيعية انتهاء الحركة النزولية من عنده فكل درجة من درجات
النفوس الصعودية بازاء مقابلتها من درجات القوس النزولية وقد شبهت
الحكماء والعرفاء هاتين السلسلتين بالقوسين من الدائرة اشعارا بان الحركة
الثانية الرجوعية انعطافية لا استقامية واذا تقرر هذا فاعلم ان الجنة

جنتان محسوسة ومعقولة كما قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان
وقوله فيهما من كل فاكهة زوجان المحسوسة لاصحاب اليمين والمعقولة
للمقربين وهم العليون وكذا النار ناران محسوسة ومعنوية كما مر وكل
من الجنة والنار المحسوستين عالم مقدارى احديهما صورة رحمة الله والاخرى
صورة غضبية لقوله ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى وتصول
على الجبارين وتقصم المتكبرين وكما ان الرحمة ذاتية والغضب عارض
كما برهن لقوله سبقت رحمتي غضبي وقوله عذابي اصيب به
من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء فكذلك خلق الجنة بالذات
وخلق النار بالعرض وتحت هذا سر وقد علمت ان ليس لهما مكان في ظواهر
هذا العالم لا في علوه ولا في سفله لان جميع امكنة هذا العالم متجددة
داثرة مستحيلة فانية وكل ما هو كذلك فهو من الدنيا والجنة والنار من
عالم الاخرة وعقبى الدار نعم لكل منهما مكان في داخل حجب السموات
والارض ولكن لهما مظاهر في هذا العالم بحسب نشأتهما الجزئية وعليه تحمل

الاخبار

الاخبار الواردة من تعيين بعض الامكنة لاحدهما كما في قوله ص ما بين
قبري ومنبري روضة من رياض الجنة وقوله قبر المؤمن
روضة من الجنة وقبر المنافق حفرة من النار وما روي ان
جبل اروند عينان من عيون الجنة وروي عن ابي جعفر ع ان لله
جنة خلقها في المغرب وماء فراتكم هذه يخرج منها وروي ان برهوت
واد من اودية جهنم والروايات فيها كثيرة متخالفة الظواهر ذكرنا وجه التوفيق
بينها في كتاب المبدء والمعاد والعجب من عاقل يشك في النشاة الآخرة
والجنة والنار المحسوستين ولا يشك في ما يراه في المنام واليقظة الدنيا والاخرة
داخلتان تحت مقولة المضاف لان احديهما مأخوذة من الدنو والثانية
من التأخر وهما حالتان للانسان ادناهما الدنيا والاخرى الاخرة والمتضايفان
يعرفان معا فمن لم يعرف الآخرة ولم يصدق بوجودها فبالحقيقة ما عرف
الدنيا ايضا كما قال تع ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون
ولكن اني لاتعجب من اكثر الفلاسفة ومن اتباع ارسطاطاليس كابي علي

الأولى ح

٤٧

بجده وعدده حيث انكروا غاية الانكار ان للنفس كينونة اخرى قبل البدن
مع اعترافهم بان لها كينونة وبقاء بعد البدن ومن هذا القبيل من تشكك
في حشر هذه الاجساد وعودها الى الاخرة ويقول اين تذهب هذه
الاجسام بعد خراب الدنيا ولا يشك في حدوثها ولا يقول من اين
جاءت هذه الاجسام فاعلم يا حبيبي انا جئنا الى هذا العالم من جنة الله
التي هي حضرة القدس التي تقدس به المقدسون ومنها الى دار الحيوان وجنة
الابدان ومنها الى هذا العالم دار العمل بغير جزاء ونذهب من هذا العالم الى
دار الجزاء من غير عمل من هنا سلمت فطرته وحسنت اعماله فالى جنة الله ان كان
من المقربين الكاملين في العلم او الى جنة الاعمال ان كان من اصحاب اليمين ويبقى
من ساء عمله واسود قلبه تحت نار غضب الله في جهنم خالدا فيها ما دامت
السموات والارض الا ما شاء الله ان ربك فعال لما يريد قال بعض اهل الكشف
اعلم عصمنا الله واياك ان النار من اعظم المخلوقات وهي سجن الله في الاخرة
وسميت جهنم لبعد قعرها يقول بئر جهنام اذا كانت بعيدة القعر وهي تحوي

[illegible] بئر جهنام [illegible] بعيدة القعر صحاح

على الحرور

على الحرور والزمهرير ففيها الحر على اقصى درجاته والبرد على اقصى درجاته
وبين اعلاها واسفلها مسافة خمس وسبعين مائة من السنين وهي
دار حرورها هواء محرق لا جمر لها سوى بني آدم والاحجار المتخذة آلهة
والجن لهبها كما قال تعالى وقودها الناس والحجارة وقوله
فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس اجمعون
ومن اعجب ما روي عن النبي صلعم انه كان قاعدا مع اصحابه في المسجد
فسمعوا هدة عظيمة فارتاعوا فقال صلعم اتعرفون ما هذه
الهدة قالوا الله ورسوله اعلم قال حجر القي من اعلى جهنم منذ
سبعين سنة الآن وصل الى قعرها وسقوطه فيها هذه الهدة فما
فرغ من كلامه الا والصراخ في دار منافق من المنافقين قد كان
قد مات وكان عمره سبعين سنة فقال رسول الله صلعم الله اكبر
فعلمت الصحابة ان هذا الحجر هو ذاك وانه منذ خلقه الله يهوي
في جهنم فلما مات حصل في قعرها قال تعالى ان المنافقين

والوقود بالفتح الحطب صحاح

[illegible]

والهدة صوت وقع الحائط ونحوه صحاح

الصراخ الصوت صحاح

في الدرك الاسفل من النار فانظر ما اعجب كلام الله وما احسن تعريف
النبي لاصحابه قاعدة في ان اي حقيقة الهية تظهرت الجنة
والنار والاشارة الى ابوابها اعلم ان لكل معنى من المعاني
الذاتية حقيقة اصلية ومثالا ومظهرا فالانسان مثلا له حقيقة كلية
وهو الانسان العقلي مظهر اسم الله وكلمته والروح النبوية اليه اشار في قوله
وكلمته القاها الى مريم وروح منه وقوله ونفخت فيه من روحي وله
امثلة جزئية وافراد شخصية كزيد وعمرو وله ايضا مظاهر كالمثل الالواح
الذهنية فكذلك للجنة حقيقة كلية هي روح العالم مظهر الاسم الرحمن لقوله تعالى
يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وله مثال كلي هو العرش الاعظم
مستوى الرحمن وصورته كما ورد ارض الجنة الكرسي وسقفها عرش الرحمن
وامثلة جزئية كقلوب اهل الايمان كما ورد قلب المؤمن عرش الله قلب المؤمن
بيت الله ولها مظاهر كلية وجزئية هي طبقات الجنة وابوابها
وكذلك النار لها حقيقة كلية هي البعد من رحمة الله وصورة غضبية مظهرها

اسم

اسم الجبار والمنتقم الجحيم ولها مثال كلي هي نار جهنم ولها مظاهر كلية وجزئية
هي طبقات جهنم وابوابها وطبقاتها سبعة تحت الكرسي وفيه اصول السدرة
ومنها تنبت شجرة الزقوم طعام الاثيم طلعها كانه رؤوس الشياطين وهناك
منتهى اعمال الفجار والمنافقين وهي محيطة بالكافرين وكذا سرادقها
ولها امثلة جزئية هي الهاوية النفوس بل النفوس الهاوية المظلمة والصدور
الضيقة الحرجة وابوابها سبعة لقوله تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم
جزء مقسوم وهي عين ابواب الجنة لاهلها فانها على شكل الباب
الذي اذا فتح على موضع لسنة به موضع اخر فحيث غلق هذه الابواب
على الجنة عين فتحها الى النار الا باب القلب فانه ابدا مطبوع على اهل النار
لا يفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط
لان صراط الله كما مر ادق من الشعر فيحتاج من يسلكه الى كمال الدقة واللطافة
فانى يتيسر سلوكه للحمقاء الجاهلين سيما مع العناد والاستكبار فابواب
الجحيم سبعة وابواب الجنة ثمانية قاعدة في الاشارة الى عدد

الزقوم اسم طعام لهم فيه
تمر وزبد والزقم الاكل
قال ابن عباس لما نزل
قوله تعالى ان شجرة الزقوم
طعام الاثيم قال ابو جهل
التمر بالزبد نتزقمه فانزل
المتقدم انها شجرة تخرج
في اصل الجحيم طلعها كانه
رؤوس الشياطين وازقمته
الشيء ابلعته اياه فازدقم
اي ابتلعه والتزقم التلقم
قال ابن دريد لم يتزقم
فلان اللبن اذا افرط
في شربه وقال الزقوم
بالشام الحلقوم
صح

الزبانية قال الله تعالى عليها تسعة عشر وما جعلنا اصحاب
النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين
كفروا الآيات اعلم انه قد انكشف لارباب البصائر المنورة ان هذا
القالب البشري بحسب ظاهره وابوابه وروازنه ليشبه الجحيم وابوابها وانكشف
بالبصيرة انه جلس على ابواب هذا البيت الذي هو مثال الجحيم تسعة عشر
نوعا من الزبانية وهي الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة وقوتا الشهوة
والغضب والقوى السبع النباتية وكل منها يجر القلب عن اوج عالم
القدس الى حضيض عالم السفل واما الكلام في اصولها وسوابقها فاعلم
ان مدبرات الامور في برازخ عالم الظلمات وهي المشار اليها بقوله
والسابقات سبقا فالمدبرات امرا في باطن العالم الكبير الجسماني
الارواح الملكوتية للكواكب السبعة والبروج الاثني عشرية فالمجموع
تسعة عشر سرا وجهارا غيبا وشهادة وكذا في العالم الصغير الانساني
هي رؤساء القوى المباشرة لتدبير البرازخ السفلية وهي التسعة عشر
المذكورة

المذكورة سبع منها مبادي الافعال النباتية واثنا عشر منها مبادي الافعال
الحيوانية فالانسان ما دام كونه محبوسا بهذه المحابس الداخلة والخارجة
مسجونا بسجن الطبيعة ماسورا في ايدي هذه العمال الكلية والجزئية لا يمكنه
الصعود الى عالم الجنان ومنبع الرضوان ودار الحيوان فاذا لم يتخلص
عن تاثيرها وتقييدها كانت حاله كما افصح عنه قوله تعالى خذوه فغلوه ثم
الجحيم صلوه الآيات فاذا انتقل من هذا البدن بالموت ينتقل من
السجن الى السجن فيؤديه الملائك الى ايدي هذه الزبانية التي هي من
اثار تلك المدبرات فيعذب بها في الاخرة كما يعذب بها في الدنيا
من حيث لا يشعر لكثافة الحجب وغلظتها فاذا انكشف الغطاء وارتفع الحجاب
يرى شخصه معذبا بايدي سدنة الجحيم وزبانية نار الجحيم يجرونه الى جهنم
ليسلسلهم واغلالهم **قاعدة** في الاعراف واهله قال تعالى وعلى
الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم قيل هو سور بين الجنة
والنار باطنه فيه الرحمة وهو ما يلي منه الجنة وظاهره من قبله العذاب

والزبانية عند العرب الشرط وسمي بذلك بعض الملائكة لدفعهم اهل النار قال الاخفش قال بعضهم واحدهم زباني وقال بعضهم زابن وقال بعضهم زبنية مثل عفرية قال والعرب لا تكاد تعرف هذا وتجعله من الجمع الذي لا واحد له مثل ابابيل وعباديد صحاح

العذاب وهو ما يلي منه النار يكون عليه من ساوت كفتا ميزان حسناته
وسيئاته فهم ينظرون بعين الى النار وبعين اخرى الى الجنة وما لهم
رجحان بان يدخلهم الله في احدى الدارين هذا ما قيل وعندي ان الاعراف
غير السور الواقع بين الجنة والنار والذي ذكروه انما يصح ويليق
في تفسير قوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه
الرحمة وظاهره من قبله العذاب واما الاعراف فاصله مأخوذا من
العرفان كما يعرفون كلا بسيماهم واما من عرف الفرس وهو شعر عنقه والموضع
المرتفع منه والعرفة ايضا الرمل المرتفع كناية عن ارتفاع مكانهم وعلو ذواتهم
واهل الاعراف هم الكاملون هم الكاملون في العلم والمعرفة الذين يعرفون
كل طائفة من الناس بسيماهم ويرون بنور بصيرتهم الباطنة اهل الجنة
واهل النار لا حالهما في الاخرة كما قال النبي ص اتقوا فراسة المؤمن
فانه ينظر بنور الله لكنهم بعد في هذا العالم من حيث ابدانهم كما قيل ابدانهم
في العالم الاسفل وعقولهم معلقة كالقناديل في الملاء الاعلى فهم بالاجساد

ارضيون

ارضيون ولا لتعلقهم سماويون واشباحهم فرشية وارواحهم عرشية ولم يموتوا
بالموت الطبيعي حتى يدخلوا الجنة بدنا كما دخلوها روحا كما قال لم يدخلوها
وهم يطمعون رجاء لرحمة الله واذا خرجوا عن الدنيا كان طمعهم عين
الوصول وقوتهم عين الفعلية والحصول واما قبل ذلك فحالهم كحال برزخ
بين احوال اهل الجنة واهل النار لان قلوبهم مطمئنة في نعيم الجنان من الايمان
والعرفان وابدانهم معذبة بعذاب الدنيا ومؤذياتهم فهم كما قال تعالى واذا
صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا
مع القوم الظالمين والذي يدل على صحة ما ذكرناه امور الاول
ما ورد عن ائمتنا المعصومين عليهم السلام انهم قالوا نحن الاعراف والثاني
ان الاية تدل على غاية مدحهم والمتوسطون في الرتبة الذين لا رجحان
لواحدة من كفتي موازينهم الواقفون في السنة الحاجزة بين الدارين الجنة والنار
ليسوا من المدح في هذا المحل ومن المعرفة على هذه الدرجة بان يعرفوا كلا من
الطائفتين بسيماهم ومعرفة النفوس امر عظيم الثالث ان موضع الدعاء

51 والمناجات لطلب الحاجات اما امر الدنيا قبل الموت واما الآخرة وما بعد
الموت ففيه مبدا الوصول والوجدان او حصول اليأس والحرمان **قاعدة**
في معنى الطوبى وهي مثال شجرة العلم كثيرة الفروع والشعب شريفة
النتائج والاثمار من المعارف الالهية التي الكثرة مما لا يستقل بادراكه العقول
البشرية بل يحتاج في تحصيلها وتناولها الى ان تقتبس انوارها من مشكوة خاتم
النبوة بواسطة اول اوصيائه وافضل اوليائه واشرف ابواب مدينة
علمه فان انوار العلوم الالهية والمعارف الربانية انما انتشرت في قلوب
المستعدين القابلين للهداية من بذر الولاية وشجرة الهداية ومما ورد في
هذا المعنى ما رواه اعظم المحدثين رواية وضبطا واوثقهم دراية وحفظا
الشيخ الصدوق ابو جعفر محمد بن علي بن حسين بن بابويه القمي بسنده المتصل
عن ابي بصير قال قال ابو عبد الله جعفر الصادق ع طوبى شجرة في الجنة
اصلها في دار علي بن ابي طالب ع وليس من مؤمن الا وفي داره غصن من
اغصانها وذلك لان نفسه الشريفة معدن الفضائل والعلوم وكان قلبه

المنور

المنور مفتاح خزائن المعرفة الموروثة من الانبياء عليهم السلام سيما خاتمهم واعلمهم
عليه وآله اكمل التحيات وازكيها كما افصح قوله صلى الله عليه وآله انا مدينة العلم
وعلي بابها وانما نسب موضع طوبى الى داره الاخروية من بيت قلبه المعنوي
دون دار محمد صلى الله عليه وآله لان تفاصيل العلوم الحقيقية التي جاء بمجامعها
الرسول والكتاب مستفادة من بيانه وتعليمه وهو كما اشار اليه قوله تعالى
ومن عنده علم الكتاب وبقوله انه في ام الكتاب لدينا
لعلي حكيم وبقوله فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
وبقوله انما انت منذر ولكل قوم هاد ولذلك ورد انه
قال ص لما نزلت هذه الآية يا علي انا المنذر وانت الهادي وقد تبين
بنور العقل والنقل ان مثال شجرة طوبى اعني اصل العلوم والمعارف في دار
علي عليه السلام واولاده المطهرين الذين هم ذرية بعضها من بعض لان كلا
منهم بجده وجده وابيهم المقدس وجدهم المنور المطهر صلوات الله عليهم
اجمعين وفروعها في دور صدور شيعتهم وبيوت قلوب مواليهم ذوي التفرع

ويتشعب من علم النبي والوصي عليهما السلام وآلهما علوم عقلية وفروع فقهية
في قلوب العلماء والمجتهدين من اتباعهم ومقلديهم الى يوم القيمة ونسبة
الاولياء عم الى علماء هذه الامة في الابوة المعنوية كنسبة آدم ع الى افراد
البشر في الابوة الصورية ولهذا قال النبي ص يا علي انا وانت ابوا هذه الامة
وهكذا نسبة شجرة طوبى لجميع اشجار الجنة قال العارف المحقق في الفتوحات
المكية اعلم ان شجرة طوبى لجميع شجرة الجنات كآدم ع لما ظهر عنه من
البنين قال الله لما غرسها بيده وسواها نفخ فيها من روحه كما تشرف
آدم باليدين ونفخ فيه فاورثه بعد نفخ الروح فيه علم الاسماء لكونه مخلوقا
باليدين ولما تولى الحق غرس شجرة طوبى ونفخ فيها زينها بثمرة الحلي والحلل
الذين فيها زينة للابسها ونحن ارضها كما جعل ما على الارض زينة لها انتهى
فقد ظهر من كلامه ان شجرة طوبى يراد بها اصول المعارف والاخلاق الحسنة
ليكون زينة للنفوس القابلة بمنزلة ما على الارض زينة لها قاعدة
في خلود اهل النار فيها هذه مسألة غويصة وهي موضع خلاف بين

علماء

علماء الرسوم وعلماء الكشف وكذا بين اهل الكشف هل يستمر العذاب عليهم
الى ما لا نهاية له او يكون لهم راحة ونعيم بدار الشقاء عند انتهاء مدة العقاب
الى اجل مسمى مع اتفاق الكل على عدم خروج الكفار من النار وانهم ماكثون
فيها الى ما لا نهاية له فان للكل من الدارين عمارا وللكل منهما ملاء وان الاصول
الحكمية دالة على ان القوى الجسمانية متناهية وعلى ان القسر لا يدوم وعلى طبيعة
واحدة وعلى ان لكل موجود غاية ينتهي اليها وعلى ان مآل الكل الى الرحمة
الالهية التي وسعت كل شيء وعندنا ايضا اصول دالة على ان الجحيم وآلامها
وشرورها دائمة باهلها كما ان الجنة ونعيمها وخيراتها دائمة باهلها وان كان
الدوام في كل منهما على معنى آخر وانت تعلم ان نظام الدنيا لا يتصلح الا بنفوس
جاسية غليظة وقلوب قاسية شديدة القسوة فلو كان الناس كلهم على طبيعة
واحدة وطبيعة سليمة وقلوب خاشية مرطبة لاختل النظام لعدم القائمين
بعمارة هذه الدار من النفوس الشديدة الغلاظة كالفراعنة والدجاجلة
والنفوس المكارة الشيطانية وفي الحديث اني جعلت معصية آدم سببا لعمارة

هذا العالم وقال تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس
لهم قلوب لا يفقهون بها الآية وقال ولو شئنا لآتينا
كل نفس هداها ولكن حق القول منى لاملأن جهنم
من الجنة والناس اجمعين فكونها على طبقة واحدة ينافى
الحكمة والمصلحة لاهمال سائر الطبقات الممكنة فى مكمن الامكان من غير ان
يخرج من القوة الى الفعل والعناية تاباه فاذا كان وجود كل طائفة من مقتضى
قضاء الله وعنايته ورحمته يكون لها غايات طبيعية ومواطن ذاتية و
الغايات الذاتية للاشياء مناسبة لها ملائمة لذواتها يقع الوصول اليها
آخر الامر وان عاق منها عائق زمانا مديدا او قصيرا لكمال قال وحيل
بينهم وبين ما يشتهون والله يتجلى بجميع الاسماء فى جميع المنازل
والمقامات فهو الرحمن الرحيم الرؤف وهو العزيز الجبار القهار المنتقم وفى
الحديث ايضا لولا انتم تذنبون لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون قال بعض
المكاشفين يدخل الله اهل الدارين فيها السعداء بفضل الله واهل النار بعدله

ويتزلون

ويتزلون فيها بالاعمال ويخلدون فيها بالنيات فياخذ الالم جزاء العقوبة
موازيا لمدة العمر فى الشرك فى الدنيا فاذا فرغ الامد جعل لهم نعيم فى
دار التى يخلدون فيها بحيث لو دخلوا الجنة تالموا لعدم موافقة الطبع
الذى جبلوا عليه فهم يتلذذون بما هم فيه من نار وزمهرير وما فيها من
لدغ حيات وعقارب كما تلذذ اهل الجنة من الظلال والنور ولثم الحور
الحور لان طباعهم تقتضى ذلك الا ترى الجعل على طبيعة يتضرر بريح الورود
ويتلذذ بالنتن والمحرور من الانسان يتاذى بريح المسك فاللذات تابعة
للملايم والالام لعدمه وصاحب الفتوحات المكية اطنب فى هذا الباب وبالغ
هو محيى الدين الاعرابى
فيه فى ذلك الكتاب وقال فى الفصوص واما اهل النار فمآلهم الى النعيم
اذ لا بد لصورة النار بعد انتهاء مدة العقاب ان يكون بردا وسلاما على
من فيها واما انا فالذى لاح لى بما انا مشتغل به من الرياضات العلمية
والعملية ان دار الجحيم ليست بدار نعيم وانما هى موضع الالم والمحن وفيها
العذاب الدائم لكن آلامها متفننة متجددة على الاستمرار بلا انقطاع

التتن الرايحة الكريهة صح

٥٧

والخلود فيها متبدلة وليت هناك موضع راحة واطمينان لان منزلتها
من ذلك العالم منزلة عالم الكون والفساد من هذا العالم قاعدة في كيفية
تجسم الاعمال وتصور النيات يوم القيمة والاستنادة
الى مادة صورها اعلم ان لكل صورة خارجية ظهورا
في موطن النفس ولكل صورة نفسانية وملكية راسخة وجودا في الخارج
الاترى ان صورة الجسم الرطب اذا اثرت في مادة جسمانية قابلة للرطوبة
قبلتها فصارت رطبا مثله سهل القبول الاشكال واذا اثرت
في مادة اخرى كمادة القوة الحسية او الخيالية وانفصلت عن الرطوبة
لم يقبل هذا الاثر ولم يصر رطبا مثله سهل القبول مع انها قبلت مهية
الرطوبة لكن بصورة اخرى ونحو اخر من الوجود والظهور مع ان المهية
واحدة هي مهية الرطوبة والرطب فللمهية الواحدة صور ثلثة في مواطن
ثلثة لكل منها وجود وظهور خاص معين فانظر في حكم تفاوت هذه
النشآت الثلثة في مهية واحدة وقس عليه تفاوت النشآت في انحاء

الظهورات

انحاء الظهورات والوجودات في كل معنى ومهية عينية فلا تعجب من
كون الغضب وهو كيفية نفسانية اذا وجدت في الخارج صار عينا ثم سلسلا
وان الماكول من مال اليتيم ظلما ينقلب من موطن الآخرة في البطون الكلية
نارا يصلون بها يوم الدين ولا ايضا من صيرورة حب الدنيا وهي شهوات وهوى
اعراض نفسانية ههنا حيات وعقارب تلسع وتلدغ لصاحبها في القيمة
وهذا القدر كاف للمستبصر لان يؤمن بجميع ما وعده الشارع واوعد
عليه وكل من له قوة تحدس في العلم يجب عليه ان يتامل في الصفات
النفسانية وكيفية منشائيتها للاثار والافعال الخارجية ويجعل ذلك
ذريعة لمعرفة استيجاب بعض الاخلاق والملكات لاثار مخصوصة في القيمة
مثال ذلك ان شدة الغضب في رجل تورث ثوران دمه واحمرار وجهه
وانتفاخ بشرته اوداجه والغضب حالة نفسانية متوجهة في عالم باطنه وهذه
الاثار من صفات الاجسام المادية وقد صارت نتايج لها في هذه النشاة
فلا عجب من ان يلزمه في نشاة اخرى ان ينقلب نارا محضة محرقة للقلب مطلعة

صيت الرجل نارا واذا ادخلته النار صار ...

الفرق بينهما ان اللدغ في لما يقرب بفيه كالحية واللسع بما يضرب بمؤخره كالزنبور والعقرب ... فوق ...

للاشقياء موقدة تطلع على الافئدة كما يرى ههنا اذا اشتدت تسخن البدن
وضربان العروق والاوداج واضطراب الاعضاء واحتراق المواد
والاخلاط وربما يؤدي الى المرض الشديد بل الى الهلاك من الغيظ فهكذا
جميع الصور المجسمة الموجودة في عالم الاخرة حاصلة من ملكات النفوس
واخلاقها الحسنة والقبيحة واعتقاداتها ونياتها الصحيحة والفاسدة الراسخة
فيها من تكرر الاعمال والافعال في الدنيا فصارت الاعمال مبادي للاخلاق
في الدنيا فيصير النفوس بهيئاتها مبادي للاجساد في الآخرة ومادة
تكون الاجساد وتجسم الاعمال كصور النباتات في الاخرة فليست الا النفس الانسانية
وكما ان الهيولى ههنا مادة تكون الاجسام والصور المقدارية وهي لا مقدار
لها في ذاتها فكذلك النفس الآدمية مادة تكون الموجودات المقدرة المصورة
الاخروية وهي في ذاتها امر روحاني لا مقدار لها والفرق بين النفس والهيولى
بامور منها ان الهيولى وجودها بالقوة من كل وجه لا تحصيل لها في ذاتها
الا بالصور الجسمانية بخلاف النفس فانها كانت في ذاتها موجودة بالفعل وجودا

جوهريا

جوهريا حساسا وكانت اولا صورة لهذا البدن العنصري فصارت مادة
اخروية لصور اخروية متحدة بها ضربا من الاتحاد ففي صورة الماديات الدنيوية
ومادة الصوريات الاخروية المنفوخة فيها باذن الله يوم ينفخ في الصور فتاتون
افواجا لاختلاف انواعها كما مر ومنها ان النفس مادة روحانية لطيفة لا تقبل
الا صورا لطيفة غيبية لا تدرك بهذه الحواس بل بحواس الاخرة والهيولى مادة
كثيفة انما تقبل الصور الكثيفة المقيدة بالجهات والاوضاع المشوبة بالقوى
والاعدام ومنها ان قبول الهيولى للصور والاكوان على سبيل الانفعال والاستحالة
والتغير والحركة وقبول النفس لصورها الراجحة فيها على سبيل الحفظ والاستتباع
ولا منافاة بين قبولها وفعلها من جهة واحدة فاعلة وقابلة للصور والامثال معا
وكذلك علوم المبادي وصفاتها حيث انها بجهة واحدة حصلت فيها ومنها
لان القبول هناك ليس بمعنى القوة الاستعدادية والامكان ومنها ان هذه
الصور كمالات لموادها وموضوعاتها وليست الصور الناشية من النفس كمالات
لها اذ ليس كمالها في حصول تلك الصور لها وانما كمالها في ان تكون بحيث

تفعل تلك الصور وتجعلها مدركة لها وبين الاعتبارين فرق ثابت وقد تبين
في موضعه ان جهة القبول والفعل واحدة في لوازم الذات **قاعدة**

في ان باقي الحيوانات هل لها حشر كما للانسان ام لا

قد اشرنا الى ان لكل جوهر طبيعي حركة ذاتية وخلقا وبعثا وبداية وعودا
والفلاسفة اثبتوا لجميع الطبايع غايات ذاتية كما اثبتوا لها مبادي ذاتية وعود
كل شيء الى ما بدء منه فعود الاجسام الى القوى وعود القوى الى النفوس وعودها
الى الارواح وعود الكل الى الله تعالى البتة كما قال الا الى الله تصير الامور
وقوله كل الينا راجعون فمن علم من اين مجيئه علم الى اين ذهابه لكن
الكلام انما هو في بعث الشخص الجزئي مع بقاء تعينه وتشخصه الجامع للنشآت
وهذا في الانسان امر محقق لتجرد نفسه المتعلقة تارة بهذا البدن المادي الدنيوي
وتارة بذاك البدن الصوري الاخروي واما غيره من الحيوانات ففي بقاء نفوسها
وعودها الى الآخرة خلاف بين الحكماء والروايات فيه ايضا متخالفة والآيات
فيها متشابهة غير محكمة لاحتمال ان يكون المراد من مثل قوله تعالى واذا الوحوش

حشرت

حشرت طائفة من افراد البشر نفوسهم من جنس ارواح الوحوش فحشروا
وحوشا لا اناسا والذي ثبت من طريق البرهان الحدسي هو القول بالتفصيل
فكل حيوان يكون له نفس متخيلة متذكرة فوق النفس الحساسة فهو باق بعد الموت
محشور الى بعض البرازخ غير معطل عن مجازاة لان العناية تابى عن اهمال
ما هو بصدد الاستكمال واما حشر النفوس الحساسة لا المتخيلة المتذكرة كحشر
القوى النفسانية الى مبدئها ورب نوعها كما ذكره معلم الفلاسفة في كتابه
في معرفة الربوبية وكذلك النفوس النباتية اذا قطعت لا الى شيء راسا بل كما ذكره
بعض العرفاء وحشر المقلدين والاتباع الى متبوعيهم الائمة والمجتهدين لشبه حشر القوى
القوى النفسانية الى الناطقة كما في قوله تعالى وحشر لسليمان جنوده من
الجن والانس فهم يوزعون وكما في قوله تعالى والطير محشورة
كل له اواب **خاتم ووصية** يقول هذا العبد الذليل اني استعيذ بالله
ربي الجليل في جميع اقوالي واحوالي ومعتقداتي ومصنفاتي من كل ما يقدح

فى صحة متابعة الشريعة التى اتانا بها سيد المرسلين وخاتم النبيين عليه وآله اجزل
صلوات المصلين او ليشعر بوهن فى العزيمة والدين او ضعف فى التمسك بالحبل
الدين المتين لانى اعلم يقينا انه لا يمكن لاحد ان يعبد الله كما هو اهله ومستحقه
الا بتوسل من له الاسم الاعظم وهو الانسان الكامل المكمل خليفة الله بالخلافة
الكبرى فى عالم الملك والملكوت الاسفل والاعلى ولست فى الاخرة والاولى
واوصيك ايها الناظر فى هذه الاوراق ان تنظر فيها بعين المروة والاشفاق
وانشدك بالله وملكوته واهل رسالاته ان تترك عادة النفوس السفلية من
الالف بما هو المشهور بين الجمهور والتوحش عن ما لا تسمعه من المشايخ والاباء
وان كان مبرهنا عليه بالحجة البيضاء فلا تكون ممن ذمهم الله على التقليد المحض
من غير برهان فى مواضع كثيرة من القرآن كقوله ومن الناس من يجادل
فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم
اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه
اباءنا

اباءنا فاياك ان تجعل مقاصد الشريفة الالهية وحقايق الملة الحنيفية
مقصورة على ما سمعته من معلميك واشياخك منذ اول سلاسلك فتجمد
واقفا على عتبة بابك ومقامك غير مهاجر الى ربك بل اتبع ملة ابينا الحقيقى
ابراهيم ع حنيفا مسلما حيث قال لابيه المجازى يا ابت لا تعبد الشيطان
وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين فاذهب الى ربك ورسوله وسافر
من بيت حجابك وعتبة بابك مهاجرا الى الله لترى من آيات الجبروت وعجايب
الملكوت ما لا عين رأت ولا اذن سمعت فان ادركك الموت فى هذا
السفر فاجرك على الله لقوله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله الآية فلا تبال
ان كنت مسافرا بمخالفة الجمهور فان الجمهور واقفون فى منزلهم والمسافر
مرتحل من المنزل فكيف يقع الاتفاق بين الساكن والمتحرك والحال والمرتحل
فلكن كما قال امامك وامامنا امير المؤمنين عليه وعلى اخيه وآله صلوات الله
رب العالمين لا تعرف الحق بالرجال بل اعرف الحق تعرف اهله واعلم
ان المتبع فى المعارف الالهية هو البرهان او المكاشفة بالعيان كما قال

٥٨ قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين وقال ومن يدع مع الله
الها اخر لا برهان له وهذا البرهان نور يقذفه الله في قلب المؤمن
فيتنور به بصيرته فيرى الاشياء كما هي كما وقع في دعاء النبي صلعم لنفسه ولخواص
امته واوليائه من قوله اللهم ارنا الاشياء كما هي واعلم ان هذه المسائل
التي وقع الخلاف فيها لجمهور الفلاسفة مع الانبياء عليهم السلام لهم الدعاء
لو كانت سهلة التناول والحصول ممكنة الاكتساب بافكار هذه العقول بموازينهم
المنطقية وانظارهم التعليمية البحثية لما وقع الخلاف فيها من اولئك العقلاء
المشتغلين طول عمرهم باستعمال آلة التفكر والنظر في اكتساب تصور الاشياء
ولما نشا منهم فيها الخطاء ولما وقعت الحاجة الى بعثة الانبياء عليهم السلام
فعلم ان هذه المسائل لا يحصل الا بالاقتباس من الانوار من مشكوة النبوة والكتاب
فهم الاسرار من باطن الولاية فعليك بتجريد تام للقلب وتطهير بالغ للسر والانقطاع
شديد من الخلق ومناجاة كثيرة مع الحق في خلوات واعراض عن الشهوات
والرياسات وساير اغراض الحيوانات بالنية الصادقة والدين الخالص ولكن

نفس

نفس علمك نفس جزاك وعين عملك عين وصولك الى مبتغاك
حتى اذا كشف الغطاء ورفع الحجاب كنت كما كنت في الباب محضرا
عند رب الارباب فانك لا تلحق غدا الا بما علمته ولا تحشر الا ما احببته
حتى انه لو احب احد حجرا يحشر معه كما ورد في الحديث فاياك ان تحب
ما لا وصول لك اليه او تعلم ما لا تحقق له في الاخرة فتهلك محترقا بنار
الحريق او تهوى الى مكان سحيق وقد علمت ان لا تحشر احد الا اليه ولا يلتذ
الا بما فيه فهذب نفسك وخلص نيتك وصحح عقيدتك ونور قلبك
للناظرين وطهر بيتك للطائفين والعاكفين فول وجهك شطر كعبة
المقصود وتوجه الى ولي الخير والجود فهذا غاية السفر والذهاب الى عالم
النور وهو حاصل هذه التجارة التي لن تبور من بذل متاع هذا الوجه الفاني
واخذ العوض من الوجه الباقي فما عند الله خير للابرار وهذا الوصول
الى كعبة المقصود ولقاء المعبود لا يمكن الا بالسير الحثيث العلمي بقدم
التفكر والنظر لا بمجرد حركات البدن التي لا حاصل لها الا متاعب السفر

59 دون تحصيل الزاد واخذ المتاع للمعاد ولهذا قال ص تفكر ساعة
خير من عبادة سبعين سنه وقال لخير امته وباب مدينة
علمه يا علي اذا تقرب الناس الى خالقهم بانواع البر فتقرب
اليه بانواع العقل حتى تسبقهم كلهم فتحدس من هذا
ان المقصود من العبادات البدنيه والاوضاع الدينيه كالقيام
والصيام وغيرها انما هو تصفية القلب وتهذيب السر بالنية الخالصة
فيها والفكر الباطن من حيث انها تعبد للمعبود الحق وقربان للاله
المطلق لا حركة الاركان ولقلقة اللسان قال تع لن ينال الله
لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وقال
ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب
ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر الاية ثم ان [illegible]
قواطع الدين والكشف سد على طريق السالكين هو اجابة دعوة العلماء
السوء وتتبع ارائهم المضلة واثارهم المغوية والاغترار بهم و
مايسمونه

ومايسمونه علما وفقها وحكمة اغترار الظمآن بالسراب عن عين
ماء الحيوان كما قال تعالى وان تطع اكثر من في الارض
يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن
وان هم الا يخرصون ان الظن لا يغني من الحق
شيئا اعاذنا الله واخواننا المؤمنين من شر الشياطين المضلين
ونور قلوبنا بانوار الحكمة واليقين بحق محمد واله الطاهرين
سلام الله عليهم اجمعين

للمولوی المعنوی

بی دردی
بیدار دلی باز نبیند آنده زما
بادو جز فرقع بکرده است مرا
تن خرقه اندر و دل انس جویت
عالم همه صومعت و شیخ او است مرا

وله
ای دل اگر ت طاقت عشق است برو
اوازه عشق چون تو کم است برو
ای جان بتعب اگر نخواهی سیمید
که منبر بر سر کار زنده هم است برو

وله
ای دل این باره بقبیل افتاد نه نهند
جز بر در آن ستین وصالت ندهند
وانگاه در آن دیده اگر عاشق بینند
تا با پیر و با بابت ندهند

وله
با ما محرم حدیث ته ما ... بکوی
با بر ده و دلان حلالت بار بکوی
با بر دم بغیر طرز اغیار بکوی
با بر دم خوار خوار خوار بکوی
با بشت خار خوار ... بکوی

وله
مجنون و ... اسان ترام ... کید
سرگشته و حیران ترام ... اشتم ...

وله
از ... عاشقان اگر دو دوی
ابر تو زنده از آفتاب بجور ... نوی
بیش ... عاشقان ... میرود
تا جان همه از آفتاب ... نوی

... و بی سر ... کیست دارد
... تو ام ... کید
... سر ... تو ام ...

وله

رفتم بطلب گفتم ای بیمائی | رنگ صفت انفس و جهام فرمود
افتاده عشق را چه بر بالائی | یعنی که ز هر چه هست ای

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي اخرج من مكنونات عنايته ما ادرج في القلم
وابرز الى فضاء الوجود ما خفي في العدم وفتق ما رتق واظهر ما كتم
وعلم بالقلم اللوح المحفوظ ما لم تكن تعلم وفصل وقدر في النفس
ما اجمل في العقل وقضى وحكم ونشر ما ادرج وادغم وفتح بالهباء الموسوم
بالهيولى والعنقاء صورة العالم والصلوة على الكلمات التامات
والانيات الفاضلات سيما مظهر الاسم الاعظم والناهض
باعباء الرسالات الرسالية في تدبير نظام العالم والسائس لصنوف
السياسة نفوس بني آدم محمد الذي فتح به الكتاب وختم وميز به
الباطل من الحق والنور من الظلم والنقباء من آله اولى الفضائل
والحكم

والحكم واولاده ذوي المعالي والكرم وبعد فيقول خادم القوى العقلية
وراصد الحقائق الملية محمد الشهير بصدر الشيرازي انه لما التمسني اجابة ملتمس
جماعة من الاخلاء الروحية واسعاف مقتبس طائفة من الاوداء السلوكية
في بيان العناية الالهية ومعنى القضاء والقدر واللوح والقلم والتفاوت وجودة
نظام العالم على اتم ما يتصور وافضل وكيفية دخول ما يشاهد من الشرور
في القدر الذي هو تفصيل القضاء الاول وفي بيان الافعال الواقعة منا
بالاختيار وان متعاطيها المضطر في صورة مختار وفي فائدة التكليف بالطاعات
وتاثير في الخارج المهمات فالفت لاسعافهم هذا المختصر مستعينا بالخالق
القوي والقدير مرتبا المباحثه في فصول ومنقحا لاصوله عن فضول الفصل
الاول في معنى العناية والقضاء والقدر العناية على ما يراه جماعة من رؤساء
المشائين اتباع المعلم الاول نقش زائد على ذاته تعالى ولها محل هو ذاته تعالى
وهو علمه تعالى بما عليه الوجود من الاشياء الكلية والجزئية الواقعة في النظام الكلي
على وجه الكلي المقتضي للخير والكمال المؤدي لوجود النظام على افضل ما في الامكان

انه تعالى ذاته مرضيا بها عنده تعالى وعلى راى من قدس الله تعالى عن ارتسام صور
في ذاته تعالى هو كون ذاته تعالى بحيث يفيض عنه صور الاشياء معقولة له
مشاهدا اياها مرضيا بها عنده على نظام هو فوق النظامات الممكنة خيرا
ولما لا فليس لها محل بل هو علم بسيط قائم بذاته مقدس عن شائبة كثرة
وتفصيل محيط بجميع الاشياء خلاق للعلوم التفصيلية التي هي بعده وهي
ذوات الاشياء الصادرة عنه بطبايعها وتشخصياتها وعلمه تعالى بحسب تلك
القاعدة على انها عنه لا على انها فيه اي في ذاته تعالى الذي هو عين علمه مبدء
فاعلي لصور الاشياء لا مبدء قابلي لها فكما ان وجوده مباين لوجود الموجودات
فكذا علمه مباين لعلوم العقلاء والقضاء عبارة عن وجود الصور العقلية
لجميع الموجودات بابداع البارى تعالى اياها في العالم العقلي على الوجه الكلي
بلا زمان على ترتيبها الطولي الذي هو باعتبار سلسلة العلل والمعلولات
والعرضي الذي هو باعتبار سلسلة الزمانيات والمعدات بحسب مقارنة جزئيات
الطبيعة المنتشرة الافراد لاجزاء الزمان والقدر عبارة عن ثبوت

صور

صور جميع الموجودات في عالم النفس على الوجه الجزئي مطابقة لما في موادها الخارجية
الشخصية مستندة الى اسبابها الجزئية واجبة بها لازمة لاوقاتها المعينة
وليشملها العناية الاولى وشمول القضاء للقدر والقدر لما في الخارج الآن
العناية لا محل لها على الراى المختار ولكل من القضاء والقدر محل الفصل
الثاني في محل القضاء والقدر اعلم ان عناية البارى اقتضت اول ما اقتضت
جوهرا قدسيا يسمى بالقلم الاعلى والعقل الاول على ما وردت به الاحاديث النبوية
ونطقت به الحكمة الالهية ثم انه لما تحقق في الوجود اجرام كثيرة الكرية بعضها
اثيرية دورية الحركات مختلفة الاقدار والجهات كما دلت عليه الهيئة و
الرصد فلها لا محالة مباد عقلية وغايات قدسية متكثرة وبعضها عنصرية
ذات مبادي حركات مستقيمة طبيعية فقد ابدع البارى بتوسط العقل الاول
عقولا اخرى قدسية هي ملائكة علمية واجراما سماوية مع نفوسها التي هي ملائكة
عملية وعناصر جسمانية مع قواها الطبيعية على ما اشير اليه في الكتب الحكمية
وتلك العقول القدسية انوار قاهرة مؤثرة فيما تحتها من النفوس والاجرام

بتأثير الله تعالى فقاهريتها التي هي تأثيرها في غيرها ظل لقاهريته تعالى واثر من
آثار قدرته وجلاله كما ان نوريتها التي هي لازمة على الوجود وانها لمعة من لمعات
وجهه وجماله وبهذا الاعتبار يسمى الملائكة المقربين وعالمها عالم القدرة
وكما تفيض منها صور الاشياء وحقايقها بافاضة الحق سبحانه فكذلك
تفيض منها صفاتها وكمالاتها الثانوية التي تجبر بها نقصاناتها فبهذا
الاعتبار واعتبار ان بامداد فيضها يقع التوجه الى تلك الكمالات والصفات
عند فقدها وحفظها عند حضورها على قدر الامكان يسمى عالم الجبروت واهل صور
صفة جبارية الله تعالى ومن المتحقق المتبين ان صور جميع ما اوجده الله تعالى
من ابتداء العالم الى اخره منتقشة فيها نقشا اثباتيا وبهذا المعنى يدل حاصله
فيها على وجه بسيط عقلي مقدس عن شائبة كثرة والتفصيل كما حقق في كتاب
النفس من الشفاء وذلك الانتقاش هو صور القضاء الالهي فمحله عالم الجبروت
وهو المسمى بام الكتاب بهذا الاعتبار كما قال وانه في ام الكتاب لدينا لعلي
حكيم ويسمى بالقلم باعتبار افاضة الصور العلمية على النفوس الكلية الفلكية على

فقال

ما قال سبحانه اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم وكلما يفيض
علينا من العلوم الحقة انما يفيض من ذلك العالم ولا شك ان تلك
الجواهر التي هي خزائن غيبه تعالى كما قال وان من شيء الا عندنا خزائنه
مقدسة عن تعلق الزمان متعالية عن التجدد والحدثان فالقضاء كذلك
ولما ثبت ان كلما جرى في هذا العالم وسيجري مكتوب مثبت في النفوس
الفلكية فانها عالمة بلوازم حركاتها كما بين في علم الطبيعي والالهي فكما ان
العالم العقلي بجوهره القدسي وهو العقول القلم محل القضاء فكذا العالم
النفسي بجوهره النوري وهو لوح القضاء محل القدر فتنتقش من قلم العقل
في لوح النفس الناطقة الفلكية كما ينتقش بالقلم في اللوح صور معلومة مفصلة
منوطة بعللها واسبابها على وجه كلي فتلك الصورة هي قدره تعالى ثم تنتقش
منه في القوى المنطبعة الفلكية نقوش جزئية متشخصة باشكال وهيئات
معينة مقارنة للاوقات معينة مقدرة بمقادير واوضاع معينة من
لواحق مادة على طبق ما يظهر في الخارج وهذا العالم عالم الخيال والمثال

وهو لوح القدر كما ان ذلك العالم الذي هو عالم النفوس الناطقة هو لوح القضاء
وكل منهما كتاب مبين الا ان الاول لوح محفوظ من المحو والاثبات كما
قال تعالى وانا له لحافظون والثاني كتاب المحو والاثبات لقوله تعالى
يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب وحصول تلك
الصور المعينة المقيدة بوقتها المعين هو قدر الشيء المعين الخارجي الضروري
الوجود عند تحقق وقته كما قال تعالى وما ننزله الا بقدر معلوم
وهذا العالم اي عالم لوح القدر هو عالم الملكوت العالية باذن الله تعالى
المسخرة بامره المدبرة لامور العالم باعداد المواد وتهيئة الاسباب ثم ان
وجود تلك الصور الجزئية في موادها الخارجية التي هي اخيرة مراتب علمه تعالى
كلمات الله تعالى التي لا تنفد ولا تبيد مع اعراضها اللازمة والمفارقة التي
هي بمنزلة الحركات الاعرابية والبنائية والمادة الكلية المشتملة عليها هي
دفتر الوجود والبحر المسجور المملو بالصور كما اشير اليه في الصحيفة القرآنية
بقوله تعالى لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر

قبل

قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا **تكميل**
واذ قد تحقق كونه تعالى عالما بذاته وعالما بجميع معلولاته بناء على ان
العلم التام بالعلة التامة يوجب العلم التام بالمعلول ونحن قد منا في بعض
رسائلنا بوجه عرشي ان العلم بالعلة اذا لم يكن نقشا زائدا على ذات العلة
بل يكون نفس وجودها يلزم ان يكون العلم اللازم منه بالمعلول ايضا نفس
وجود ذلك المعلول لا امرا مباينا له فاذا كان لكل صورة موجودة في الخارج
سواء كانت عقلية او مادية يرتقي في سلسلة الحاجة الى مسبب الاسباب
فيجب ان يكون نحو وجودها الخارجي بعينه هو نحو علم الباري جل ذكره بها ثم
لما كانت الاشياء الزمانية والحوادث المادية بالنسبة الى الباري المقدس
عن الزمان والمكان متساوية الاقدام في الحضور عنده والحصول لديه
والمثول بين يديه ولم يتصور في حقه المضي والحال والاستقبال لانها
صفات تتصف بها الحركات والمتغيرات كما ان العلو والسفل والمقارنة
والمسامتة اضافات تتصف بها الاجسام والمكانيات فيجب ان يكون

لجميع الموجودات بالنسبة اليه تعالى فعلية صرفة وحضور محض غير زماني ولا مكاني
بلا غيبة وفقد بل الزمان مع تجدده والمكان مع انقسامه بالقياس اليه
كالآن والنقطة وسجل دورات السموات الجامعة للازمنة المحددة للامكنة
والمواد المشتملة على كلمات الله مطوية في نظر شهوده دائما فانه تعالى ليس
ينظر اليها على الولاء بكلمة لكلمة منها حتى يغيب عنه ما تقدم نظره اليه او يفقد
عنده ما تأخر عنه بل يكون نسبة احاطته القيومية الاشراقية الى جميع الحروف
والكلمات العينية نسبة واحدة غير زمانية كما في القران المجيد وما تسقط
من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب
ولا يابس الا في كتاب مبين هو دفتر الوجود وهم وازاحة
ومما استشكل في كون نفوس السماويات شاعرة بلوازم حركاتها مطلقة
على كل الكوائن الواقعة في الاعيان انه على هذا التقدير يلزم ان تكون
تلك الصور المعلومة او المنقوشة غير متناهية لامتناع انقطاع
الحوادث في المستقبل كما هو رأيهم وهو باطل من وجهين اما اولا فلامتناع

سلسلة

سلسلة مترتبة مجتمعة آحادها موجودة معا كما برهن عليه واما ثانيا فلان
تلك الصور اما ان يكون فيها ما لا يقع ابدا او ليس والاول محال والا لم يكن
من الكوائن المستقبلة وقد فرض انها من الكوائن المستقبلة وكذا الثاني والا
لكان يأتي وقت يقع فيه الكل فانقطع ما لا يتناهى هف وايضا فيلزم اما
وقوف الوجود بعد ذلك وعدم تجدد الحوادث او تعطل المبادي ربما وكلاهما باطل
عندهم فنقول لنا ان نجيب عن ذلك اما على رأي من ذهب الى ان نسبة
مقادير حركات الافلاك بعضها الى بعض باعتبار ازمنة عوداتها عددية
كما يؤيده الرصد فبان النقوش الكائنة في مدارك الافلاك المنطبعة
في اجرامها متناهية ولا يوجب ذلك تناهي صور الكائنات بوجوب تكرار
الوضع الفلكي عنده الموجب لتكرر الحوادث من الصور الجسمانية وغيرها
بعد مرور مبلغ من الآلاف الكثيرة على ما اشير اليه بقوله تعالى والسماء
ذات الرجع واليه ذهب صاحب الاشراق ومتابعوه اقتداء بجماعة
من حكماء بابل وفرس وجميع الاقدمين من مصر ويونان فللحوادث عندهم

ضوابط كلية حاصلة في نفوس الافلاك عن مباديها العقلية وتلك الضوابط
الكلية واجبة التكرار لان الحوادث تزول وتعود الى شبيه ما كانت عليه
لا الى عينه لامتناع اعادة المعدوم بالقواطع البرهانية فاذا كانت النفس
الفلكية منتقشة على نحو كبريات الاقترانيات او صغريات الاستثنائيات
ان انه كلما كان كذا كان كذا وكانت مما تتخيل الامور الجزئية وتتخيل الوصول
الى كل نقطة على نحو ادراك الصغريات الاقترانية او الكبريات الاستثنائية
ان لكن كان كذا او ليس كذا فلها ان تعلم لوازم حركاتها بانضمام هذه القضايا
الجزئية الى تلك الكليات التي هي العلم بالحوادث الجزئية على الوجه الكلي ليحصل لها
العلم بالحوادث الجزئية على الوجه الجزئي وهكذا الى ان يعود الاوضاع بعينها
ولا يوجب ذلك تكرار تعلقات النفوس المجردة كما توهمه بوذاسف المنجم
التناسخي وكان ممن حكم بطوفان نوح على نبينا وعليه السلام لامتناع ذلك
التكرار على ما بين في مقامه واما على راي من زعم ان نسب الحركات الفلكية
جميعها او بعضها صمية بناء على انها ادل على القدرة واعلى في الايجاد

لعدم

لعدم تكرارها وانحصارها ووجوب اعتقاد ما هو الاشرف في حق الله تعالى
وقدرته ووجهه وان لم يطابق الرصد لان امور الرصد تقريبية وان النسب الحقيقية
ربما لا يدرك بها فان النفوس المنطبعة الفلكية كما ذكرنا كتاب المحو والاثبات
فقيل ان راس في كل سنة من سني العالم الالهية ثلثمائة الف وستين الفا
مما تعده المنجمون يثبت الله في تلك النفوس صورها او جده الى السنة الاخرى
وهكذا الى غير النهاية الى ما ذهب اليه الحكماء واشير الى وايل هذه السنين
بقوله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب واشير
الى ايام تلك السنين بقوله تعالى يدبر الامر من السماء الى الارض
ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون
اقول وفي كلا القولين نظر اما في الاول فلابتنائه على كون تلك السلسلة
المترتبة من الصور المعلومة والمنقوشة مجتمعة الاجزاء والآحاد معا والا
لامتنع لاتناهيها وذلك بناء على تجويز تحقق جهات كثيرة في المبادي
العقلية فوق ما تقرر من الجهات عندهم فيها وكذا بناء على نفي المحو

والابتهاجات مطلقا في عالم الافلاك وهو ليس بشيء وايضا النفوس المجردة المتعلقة
بالمواد ايضا كوابن حادثة وذهب صاحب هذا الرأي الى لا تناهيها فان كانت
معلومة او منتقشة صورها في المبادي لزم لا تناهي تلك المعلومات والصور
وعاد المحذور وان لم يكن شيء منها او بعضها منتقشا فيها لزم جهل المبادي
ببعض الحوادث فقد وقع فيما هرب عنه واما في القول الاخير فلان تلك العلوم
الجمة الحاصلة في نفوس الافلاك اما ان يكون كلية او جزئية فان كانت كلية
لا فائدة فيها لما نحن بصدده لان الكلام في الادراكات الجزئية اي صلة
للقوى المنطبعة الفلكية وان كانت جزئية فلتغيرها وعدم اجتماعها لتضاد
بعضها من بعض لا يحصل دفعة واحدة فان مناط الجزئية في الادراك اما
التخيل او الاحساس اذ كان المعلوم ماديا والعلم الحضوري اذا لم يكن كذلك
وكلاهما في الاول وظاهر انه لا يكون حصول الجزئيات المتخالفة المتناهية
الاشياء فيها وجب تعاقب الاستعدادات وتوارد الانفعالات
سواء كانت في المادة الخارجية او في القوة الادراكية وايضا من العلوم ان
كلها

كلما حصل من جهة الفيض الاول الابداعي من الصور والكمالات في عالم
العوالم يجب تناهيها لاحتياجها الى علل وجهات عقلية متناهية
للبرهان القائم على نهاية المترتبات العقلية بخلاف ما يحصل من جهة الفيض
الثاني على حسب الاستعدادات المتعاقبة الغير المتناهية فانها لا يجب تناهيها
كما علمت فنقول ح ان الصور الفائضة على نفوس الافلاك في رؤس جميع
السنين المذكورة الغير المتناهية اذا لم يكن متكررة ولا حاصلة من جهة توارد
الانفعالات والاستعدادات كما قرره تكون حاصلة بتمامها فوقها على طريق
الابداع وذلك ممتنع اما الرموز القرآنية فلها محامل وتاويلات غير ما ذكره
فالاقرب عندي ان يقال ان صور الكائنات على ترتيبها التي هي عليه ثابتة
في المبادي العقلية على وجه كلي منزه عن الزمان والنفوس المدبرة الفلكية
تشتاق الى كمالات تلك المبادي العقلية لامكان حصولها لكونها ناطقة
ذوات ادراكات كلية كما هو راي اهل الحق واذا اشتاقت سرت علاقة
الشوقية بتوسط التصورات الجزئية الى نفوسها الحيوانية التي بمنزلة الخيال

فينا فانبعث شوق وهمي تابع لادراك خيالي فحرك جرمها فحدث وضع
يستعد به النفس لاستفاضة كمال ما من الكمالات العقلية فاذا فاض عليها
كمال واشرقت عليها هيئة نورية حاكيها متخيلتها بصورة جزئية فانبعث
شوق آخر جزئي فيحرك حركة اخرى على ما لا يتناهى وكلما تشخصت الصورة
الكلية الفايضة على النفس الناطقة في متخيلة نفسها الحيوانية ادركتها و
ما يرتبها من الحوادث وشأن النفس ان توجهها الى بعض المعلومات واستحضارها
اياها واشتغالها بها يوجب ذهولها عن البعض الآخر فكل صورة لاحقة تذهلها
عن الصورة السابقة وما يرتبها ولا لازم فوق الافلاك عند سكون الشوق لحصول
الكمالات العقلية بأسرها لنفوسها لكونها متناهية ضرورة اذ هي موجبة بالفعل
ولما ان القضايا الكلية والآراء العقلية لا يستلزم حركة البدن ما لم تتخصص
بالخيال ولم تصر بجزئية موجبة لشوق جزئي يوجب حركة جزئية ولا يمكننا استحضار
معلوماتها من الكليات والجزئيات فلك فيها وكما انه يدرك صورة كلية
وتتخيل فيها جزئيات غير متناهية مختلفة بحسب المواد والازمنة والامكنة
والاشكال

والاشكال والاوضاع والمقادير وغير ذلك على ما يعمله الصناع في صناعتهم
وتلك الصورة الكلية واحدة بعينها مطابقة لجميع تلك الجزئيات ولم تتغير
بتغيرها كما اشير اليه بقوله تعالى وعنده ام الكتاب ولا يلزم ايضا تكرار
الحوادث في العالم بتكرر الصور الجزئية عند تكرر الاوضاع المعينة على تقدير
عودية النسب الفلكية ولو تناسب ادوارها وثبت به عوداتها لان كل
وضع يقارنه من اوضاع الفلكية الاوضاع السفلية والعلوية واستعدادات
المواد والصور السابقة والاحوال اللاحقة ما ليس قبله ذلك واعتبر بالقاء آ
جبات متساوية في الماء متعاقبة حيث لم يلزم حركة الماء وتشكيله في النوبة
الاولى مع تساوي الاسباب لانمزاج اثر السابق باللاحق فاذن يجوز
ان يقبل القوة المتخيلة الفلكية بسبب ذلك الوضع المماثل للوضع السابق صورة
جزئية غير الصورة الاولى الحاصلة في ذلك الوضع تنبيه وتمثيل
قد علم ان قلم الله ولوحه لا يشبه قلم الانسان ولوحه اللذين هما آلتان
جماديتان كما ان ذات الله وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاته بل

القلم الاعلى ملك روحانى قدسى واللوح ملك نفسانى والكتابة تصوير
الحقايق وافاضتها فان كون الشىء قلما لا يدخل فيه القصبية او الحديدية
او غير ذلك وكذا اللوحية لا يدخل فى حدها الخشبية او العظمية او غيرهما
بل حد القلم هو الناقش لصور المعلومات وحد اللوح هو المنتقش بتلك
الصور وليس من شرطها مطلق الجسمية فضلا عن خصوصياتها بل ان اردت
شيئا مناسبا لهذه المعانى الذى القلم واللوح والقضاء والقدر فانظر
بعين الاعتبار للنشاة الانسانية التى هى كنسخة العالم وتدبر فى مصادر
افاعيلها فكان لافعال الانسان من لدن صدورها وبروزها من مكامن
غيبها الى مظاهر شهادتها اربعة مراتب لكونها اولا فى مكمن عقله الذى
هو غيب غيوبه فى ذاته الخفاء كانها غير مشعور بها ثم تنزل الى خبر قلبه اى
مرتبة نفسه عند استحضارها بالحكم بالفكر واخطارها بالبال كلية وفى هذه
المرتبة تحصل للانسان التصورات الكلية وكبريات القياس عند الطلب للامر
الجزئى المنبعث عنه العزم على الفعل والتعبير عن هذه المرتبة من الانسان

بالقلب

بالقلب لاجل تقلبه وانتقاله من معلوم الى معلوم كما هو شان العلوم النفسانية
التفصيلية لا العقلية الاجمالية او لاعتبار توجهه تارة الى العقل الصرف
وتارة الى الحس ثم تنزل الى مخزن خياله متشخصة جزئية وهو موطن التصورات
الجزئية وصغريات القياس ليتحصل بانضمامها الى تلك الكبريات راى جزئى
وينبعث منه القصد الجازم للفعل ثم تتحرك اعضاؤه عند ارادة اظهاره
فى الخارج فيظهر فى الخارج كل ما يحدث فى العالم من الصور والاعراض فان
الاول بمثابة القضاء ومحله والثانية بمثابة نقش اللوح المحفوظ والثالثة
بمثابة الصور فى السماء ونقش لوح القدر عند بعضهم والرابعة بمثابة الصور
الحادثة فى المواد العنصرية التى هى لوح القدر الخارجى ولا شك ان نزول الاول
لا يكون الا بارادة كلية والنزول الثانى بارادة جزئية تنضم الى الارادة الاولى
الكلية فينبعث بحسب ملائمتها ومنافرتها راى جزئى يستلزم عزما داعيا لاظهار
الفعل فتتحرك الاعضاء والجوارح ويظهر الفعل وحركة الاعضاء بمثابة
حركة السماء وسلطان العقل الانسانى فى الدماغ كسلطان الروح الكلى فى العرش

71 وظهور قلبه الحقيقي الذي هو نفسه الناطقة في القلب الصنوبري كظهور النفس
الكلية في فلك الشمس فهو من العالم بمنزلة القلب الصنوبري من الانسان
كما ان العرش منه بمثابة الدماغ منا والله بكل شيء محيط

الفصل الثالث في ان العالم مخلوق على جودة النظامات واتم

الاوضاع لا يتصور فوق نظامه نظام في الجودة والفضل والبرهان عليه
من وجهين لمي واني فنبين ذلك في مسلكين اما المسلك الاول فنقول
في بيانه قد تحقق وتبين ان واجب الوجود اله العالم تقدست اسماؤه و
تمجدت آلاؤه بريء من جميع انحاء النقص ووجوده الذي هو ذاته في نهاية الفضل
ولا نهاية لمرتبته وجوده ومبدء كل فيض وجود فلا يمكن ان يكون اقدم من وجوده وجود
وجوده وجود فلا مادة له ولا موضوع ولا صورة ولا غاية بل هو غاية الاشياء
لفرط اوليته وتقدمه ومن ههنا يظهر انه واحد لا ماهية له عالم بذاته
لتجرده عن الموضوعات المادية والاغشية الهيولانية وبجميع الاشياء
لانتهاء الامور ورجوعها اليه وعلم من هذا ان وجه ما يوجد عنه انما هو على نحو

فيض

فيض وجوده لوجود ما سواه مع علمه ورضاه ولا يقصد وجود ما يوجد عنه
لعلة او كرامة او لذة او بهجة او نفعا او تخلصا من مذمة او غير ذلك من
المنافع والخيرات لكونه غنيا عن العالمين فذلك وجوده الذي به تجوهر ذاته
هو بعينه وجوده الذي به يحصل منه غيره بل هما هناك ذات واحدة وحيثية
واحدة لا انه ينقسم الى شيئين يكون باحدهما تجوهر ذاته وبالآخر حصول
شيء آخر عنه كما ان لنا شيئين نتجوهر ونتذوت باحدهما وهو النطق ونكتب بالآخر
وهو صناعة الكتابة وبالجملة لا يحتاج في ان يفيض عنه شيء الى شيء غير ذاته
صفة كان او حركة او آلة كما يحتاج النار في احراقه لشيء الى صفة هي الحرارة
والشمس في اضائتها اطراف الارض الى الحركة والنجار في نحت الباب الى الفاس
ولا يمكن ايضا ان يكون له في فعله غاية او منتظر واذا فاضت عنه الموجودات
ترتب مراتبها وحصل لكل موجود قسطه الذي يليق به من الوجود
ومرتبته فيبتدئ من اشرفها وجودا كالعقول الفعالة ثم يتلوه ما هو انقص
منه قليلا كالنفوس المجردة الفلكية ثم الصور المنطبعة السماوية وهكذا الى

ان ينتهي الى الوجود الذي هو اخس الموجودات واضعفها فتنقطع السلسلة
النزولية عنده ولا ينحط ما دونها لعدم امكانه فهو نهاية تدبير الامر فانه يدبر
الامر من السماء الى الارض ثم يفيض عنه بالامتزاج بين المواد الحسية الصور
النوعية التركيبية على مراتبها المتفاوتة بحسب ترقي الاستعدادات فلا يزال
يترقى الوجود من الارذل الى الافضل الى ان ينتهي الى الافضل الذي لا افضل منه في
هذه السلسلة الصعودية فاخسها المادة المشتركة والافضل منها الالطف
ثم المعدنيات ثم النبات ثم الحيوان غير الناطق ثم الحيوان الناطق
وافضل ما وصل الى درجة العقل المستفاد فيه عاد الوجود الى المبدأ
الذي ابتدأ منه وارتقى الى ذروة الكمال بعد ان هبط منها فعنده تقف
ترتيب الخير والجود وبه يتصل دائرة الوجود كما نظمه الشيخ سنائي
دو سر خط حلقه هستی : بحقیقت بهم تو پیوستی : اذا تمهد ما ذكرناه
من المقدمات فنقول كل مرتبة من مراتب الموجودات التي تكون في صنف
المراتب ولا المجموع من حيث المجموع لا يمكن ان يكون افضل مما هو عليه

ولنبين

ولنبين ذلك في مباحث المبحث الاول في بيان مراتب البدو وعلى
اشرف انحاء يتصور في حقها وهو ان كلما وقع في مرتبة من تلك
المرتبة من الحكمة التي صدر بها عن مبدعه اما الاول فلوجوب انحصار
نوع كل منهما في شخصه لعدم الامتيازات هناك بالعوارض المفارقة
لكونها قبل الاتفاقات والحركات فاختصاص بعض الافراد
بلحوق بعض العوارض مع استواء الاستحقاق في الكل ترجيح من دون مرجح
والامتياز انما بنوعه او بلازم نوعه يوجب الانحصار في شخص واحد
واما الثاني فلما دلت عليه قاعدة الامكان الاشرف المستفادة
من الاستاد الاول ارسطاطاليس من ان الجواد الحق والفياض المطلق
لا يقتضي الاخس مع ترك الممكن الاشرف بل يلزم من بعض جهة الاشرف
فالاشرف وبرهانه مذكور في كتب شيخ المتالهين صاحب الاشراق
وهي وان كانت غير مطردة في ما تحت الكون وسلسلة العائدات كما
ظنه بعضهم لكنها جارية في سلسلة البادئات اما ترى يا عارف كيف

ابدع البارئ جل ثناؤه اولا العقول المفارقة والجواهر المتعالية
عن المواد المتحضة مطلقا عن القوة والاستعداد اذ هي اشرف في الامكان من
الجواهر وافضل تلك المفارقة وانورها واقدسها واقربها الى نور الانوار
جلت كبرياؤه ثم سائرها على الترتيب الى ما يفيض بواسطته عالم العناصر وهو
اخر العقول الزواهر التي سمته حكماء الفرس روان بخش ويسمى في الشرع روح
القدس في قوله تعالى وايدناه بروح القدس وهو المعلم الشديد القوى
الذي قال فيه حكيم العرب والعجم عم ان ملكا له سبعون الف وجه لكل وجه
من فيضاته وجه له في كل وجه سبعون الف لسان اذ لكل فيضة من فيضاته
صورة حادثة على المواد والتقييد بهذا العدد اشارة الى سلب الحصر عما يصدر عنه
باذن من الصور ليسبح بجميعها الى كل واحدة منها تشهد على وحدانية خالقها
كما قال وان من شيء الا يسبح بحمده ثم الافلاك صادرة عنها
باذن مبدع الكل على وجه لا يعتريها نقص ولا قصور في ذواتها ولا اعياء
ولا فتور في حركاتها حركاتها عاشقة لاضواء القدس مطيعة لله تعالى ولكل منها

معشوق

معشوق عقلي يخصه ومحرك خاص يحركه على سبيل التشويق والامداد بالحق
ان الكل مشتاقون الى جمال رب العالمين متواجدون في عظمة اول الاولين
وهو الذي ادار رحاها وبسم الله مجريها ومرسيها لكن الكل يديرها بسببه -
وتشويق قدسي تفارقه لاختلاف الجهات والحركات المقتضي لكثرة القادسات
حسب تلك الاجرام الحية الدائرات ولها ايضا من كل صفة للهيولانية فيها
مدخل اشرفها وافضلها فلها من الاشكال افضلها وهي الدورية الموجبة
للجودة والنطق ومن الكيفيات المرتبة افضلها وهي الضياء ولها تشارك الايات لتقين
من الملائكة المقربين في انها اعطيت افضل ما تجوهرت به في اول الامر
ولكن اعطي منها واشكالها والكيفيات المرتبة التي تخصها والكمالات الممكنة
في حقها الا في النسب مع حفظ نوعها ايضا فانها لم يكن لها في اول الفطرة
ان ليطر التي الذي يتحرك اليه وهو ليس عرض يكون في الاجسام واخص نسبته
الجسم الى سطح الجسم الذي ينطبق عليه اخص ما يوجبه له او بعد الاعراض عن
جوهر الشيء هو نسبته الى شيء اخر فالاجرام السماوية يلحقها النقص في اخس الاشياء

التي من شأنها ان يوجد لها شيأ فشيأ ولا يمكن غير ذلك لان تجردها عن الوضع
ممتنع والا لكانت عقلا لا جسما وكذا الجمع بين الاوضاع لتضادها فلا محالة
يحصل جزء فجزء الى ما شاء الله تعالى فقد ثبت ان موجودات تلك السلسلة
في غاية الفضل والشرف ولا يتصور ما هو اشرف منها البحث الثاني
في بيان الموجودات الواقعة في مراتب الصعود وفي عالم التركيب في غاية الجود
وافضل النظام فنقول ان الامور الواقعة في هذا العالم لما كان نظامها متعلقة بحركات
الافلاك واوضاعها ونظام الافلاك ظل نظام ما في القضاء الالهي بناء
على ما تقرر عندهم من ان الموجودات غير صادرة على سبيل الاتفاق كما نسب الى
ديمقراطيس ولا على طريقة الجزاف كما توهمته الاشاعرة ولا عن ارادة ناقصة
كارادتنا الموجبة الى دواع خارجة عن ذواتنا كما زعمته المعتزلة ولا بحسب الطبيعة
التي لا شعور لها بذاتها فضلا عن شعورها بما يصدر عنها كما ذهب اليه اوساخ
الدهرية والملاحدة بل النظام المعقول الذي يسمى عند الحكماء بالعناية تصدر
للنظام الموجود ولذلك النظام محض الخير والكمال لبراءة المبدء الاعلى
عن النقص

عن النقص والشر فهذا النظام الذي علمه وفقه يجب ان يكون اتم النظامات
الممكنة واكملها فعلى هذا يلزم ان لا يكون في ملك الوجود امر جزافي او امر
اتفاقي بل كله غريزي فطري بالقياس الى طبيعة الكل سواء كان طبيعيا
بحسب ذاته كحركة الحجر الى السفل او قسريا كحركته الى فوق او اراديا كالفعل الحيواني
من حيث هو حيوان اذ كلما يحدث فيجب عن سبب ويرتقي في سلسلة الاسباب
الى مبدء واحد وسبب فرد يترتب عنه الاشياء على ترتيب علمه بها فليس في الوجود
شيء مناف لطبيعة علله واسبابه اذ المعلول لا ينافي لعلة فالحركات المتنافرة
الغير المنتظمة بالقياس الى طبيعة الجزئية متلائمة منتظمة بالقياس الى طبيعة الكل
وكذا النغمات الغير المؤتلفة والاشعار الغير الموزونة مؤتلفة موزونة بالقياس
الى نظام الكل ووجود الاصابع الزائدة على خلقة الانسان طبيعي في جبلة
العالم وكذا الكفر عن واجب وان كان اختياريا
وكذا اعم فهو بالقياس الى الكل طبيعي وان لم يكن طبيعيا على الاطلاق
ولو تيسر لك ان تعلم كل شيء باسبابه وعلله بان تخرج من هذه الهاوية
المظلمة مهاجرا الى الله وترقى الى عالم الافلاك وما فوقها وما فوق فوقها

الى ان تعرف المبدء الاول حق معرفته ثم ما يتلوه من الملائكة العقلية ثم
ما يتلوهم من الملائكة العمالة باذن ربها ثم ما يباشر تحريكها من الاجسام الفلكية
مع لوازم حركاتها من الاسطقسات ثم الامزجة والممتزجات التي توجبها
الحركة وما يترتب عليها من الكائنات لرايت جميع الاشياء حسنا عندك
ملايما لديك وعرفت هذا المعنى بالوجدان كما عرفت الآن بالبرهان

المبحث الثالث في ان مجموع العالم من حيث المجموع على احسن خلقه

واتم نظام قد تحقق في الكتب الحكمية وحدة العالم بجميع اجزائه
وامتناع تعدد العوالم سواء كان متخالفة في الماهية او متحدة فيها
متخالفة في العدد وذهب طائفة من امتالهين الحكماء ومحققي الصوفية الى ان
لجميع العالم وحدة طبيعية ببرهان بعض مقدماته حدسية وفي رسائل اخوان الصفا
بيان كون العالم حيوانا واحدا ابسط من الكلام نقله يوجب الاسهاب وكذا
صرح العظيم ارسطاطاليس بان العالم حيوان واحد فنقول اذا كان العالم
بجميع اجزائه واحدا شخصيا فلا يجوز ان يتصور نظام اخر بدل هذا النظام

الموجود

الموجود ويكون هو فوقه تماميته وكمالا او في مرتبة في الشرف والجزئية وبيانه
ان ذلك النظام المفروض لا يخ اما ان يكون مندرجا مع هذا النظام الواقع
تحت طبيعة واحدة نوعية او يكون كذلك وكل من الشقين باطل فتصور نظام
اخر مطلقا باطل اما الاول فلما تقرر من انه لا يمكن ان يكون جواهر ولا اعراض
متخالفة لجواهر هذا العالم الموجود واعراضه اما العقول والنفوس الكلية وهيوليات
الافلاك والهيولى المشتركة فكل واحد منها صدر عن فاعله بجهة واحدة
من الجهات الفاعلية اللازمة التي تقتضيه وذلك الفاعل بها لا بغيرها بالذات
بلا شركة من القابل واستعداداته واعراضه المفارقة فلا جرم لا يمكن غيره فكل
ما وقع من تلك الامور من مرتبة من مراتب الوجود لا يمكن تصور وقوع نوع
اخر في تلك المرتبة فلا يمكن تصور نوع اخر من اجناسها يقع في شيء من
المراتب الا ما هو الواقع فيها لا غير واما الجسم بما هو جسم فهو غير مختلف الحقيقة
واختلاف انواعها بامور لاحقة للجسم المشترك اذ ليس لها انواع بسيطة
يكون جعل جنسها وفصلها واحدا كالسواد والبياض مثلا بالقياس الى اللون

75 المطلق واما الاجسام البسيطة فلا كثرة لها في نوعها الا بحسب تنوعاتها من الصور بما صدرت من

المبادي بحسب بعض جهاتها اللازمة اما مطلقة او بضرب من الاعانة من

الصور السوابق بلا مدخلية الامور العارضة المفارقة فلا يمكن وجود غيرها

واما الاعراض فلانها تابعة للجواهر متقومة بها فمع اتفاق الموضوعات

والحيثيات الفاعلية والقابلية لا يمكن اختلاف الاعراض ولولا مخافة

التطويل لبسطت القول على التفصيل في عدم امكان نوع ما من الاعراض خارج عما

وجدت وتحققت من الاجناس العوالي وانواعها ولكن فيما ذكرناه كفاية

للمستبصر وكذلك حكم انحاء المركبات وصورها النوعية لكونها تابعة للكيفيات

المزاجية فاذا لم يمكن تحقق جواهر ولا اعراض سوى هذه التي قد وجدت

فلو فرض عالم اخر يكون لا محالة موافقا لهذا العالم في الماهية ومخالفا له في

امور عرضية فقد بطل ان يكون مخالفا له في امر ذاتي واما بطلان الشق الثاني

وهو كون ما يتصور من نظام آخر متحد الماهية مع هذا النظام الموجود فلوجوه

منها ان العالم بجميع اجزائه اذا كان واحدا وحدة طبيعية نوعية لا يكون

الا بجهة

وبجهة سببه قابل استعداد مادة وتهيؤ قابل وكل ما لا يكون كذلك يكون

نوعه منحصرا في شخص واحد ومنها ان وجهه تعالى حيث لم يكن مسبوقا بزمان

يكون صدوره عن الباري القيوم مرة واحدة على سبيل الابداع والمبدعات

نوعها منحصر في شخصها ومنها ان قاعدة الامكان الاشرف الجارية فيما

ليس تحت الكون مطردة الحكم فيها ومنها ان الفاعل لوجهه هو ذات

الواجب بذاته بلا جهة اخرى ووحدة العلة توجب وحدة المعلول ومنها ان

تشخصه بذاته تعالى المتشخص بنفس حقيقته كما هو راي اهل الحق فلا يمكن تعدده

ومنها ان علمه تعالى بنظام الخير الذي هو عين ذاته تقتضي وجهه فلا يمكن غيره

ومنها ان العلة الغائية في وجهه هي ذات المبدء الاعلى وعلة بدوه بعينها

علة تامة وكل ما هو غاية اجل الاشياء فهو في غاية الشرف المقصور في حقه

تنبيه ومما يجب ان يعلم ههنا ان يكون العالم باسره ذا اجزاء متكثرة

متباينة لا يدفع صدوره عن فاعل حق واحد من جميع الوجوه والحيثيات

ولا يلزم من ذلك صدور الكثير عن الواحد الحقيقي في مرتبة واحدة وبيان

ذلك هو ان للعالم على تقدير كونه شخصا واحدا جهتين جهة وحدة وجهة كثرة
والفرق بينهما كالفرق بين الاجمال والتفصيل من ان التفاوت بينهما
انما هو بنحو الادراك لا بشئ في المدرك فنقول اذا لوحظ العالم باسره من
جهة وحدته الشخصية التي لا كثرة له من هذه الحيثية حكم عليه بانه مستند
بالذات وبالقصد الاول الى الواحد الحق تعالى من دون وسط وشرط وان
علته الفاعلية بعينها علته الغائية واذا لوحظ من جهة كثرته التفصيلية
حكم عليه بانه صدر على الترتيب السببي والمسببي بان يكون ابسط اجزائه و
اشرفها هو اقربها الى الفاعل الحق ثم يتلوه في الصدور ما يتلوه في البساطة
والشرف وهكذا الى ان ينتهي الى اقصى الوجود فالغرض من اثبات الترتيب في الممكنات
ونسبة المعلولات التي في المراتب الاخيرة الى المتوسطة والمتوسطة الى العالية
كما فعلته الحكماء في كتبهم انما هو لتصحيح صدور العالم بجميع اجزائه عن الحق
الواحد من جميع الوجوه باعتبار كثرته الاجتماعية لئلا تنثلم الجهة الواحدة الحقة
بصدور الامور الكثيرة في مرتبة واحدة لا باعتبار وحدته الشخصية اذ لا كثرة

من هذه

من هذه الجهة واما كيفية صدور العالم بجميع اجزائه عن البارئ الحق مرة واحدة
على سبيل الابداع مع كون بعض اجزائه تدريجي الوجود بالذات او بالعرض
وبعضها دفعي الوجود كذلك وبعضها لا هذا ولا ذاك فالتحقيق فيها يحتاج
الى احكام عدة من القوانين الحكمية مع تدبر تام وتامل كامل ووسعة في
التعقل ورفض للوهم والله الهادي الى طريق الصواب واما المسلك
الثاني في ان خلقه العالم على احسن الوجوه واشرف الاوضاع واتمها فهو
بملاحظة امور العالم واوضاعها وكيفية ترتيبها وانضمامها وارتباط
العلويات بالسفليات على الوجه المخصوص والتدبر في منافع حركات الافلاك
ونسب الكواكب ملاحظة اجمالية فان معرفة جميعها على التفصيل مما يخرج
عن طوق البشر وانما ذلك شان خالق القوى والقدر بل لا يمكن للانسان
معرفة نفسه وبدنه ودقايق الصنع فيها فضلا عن معرفة ما سواه فكيف
يكون الحال في كل ما في عالم الافلاك وعالم الكون والفساد مع ما فيها
من دقايق الحكمة ولطايف العناية فليكتف بامور جلية من اسرار

77 الحلقة وغرايب القدرة فنقول الم تر يا عارف ان مبدع العجايب وصانع
الغرايب ومفيض الوجود وواهب الفضل والجود لما كان غير متناهي
القوة والقدرة شدة ومدة وعدة فلم يحجر وقوف رحمته وجوده
عند حد بان يحصل منه قدر متناه من الموجودات ولا يتجاوزه ويبقى
بعد ذلك الامكان الغير المتناهي بدون ان يخرج من القوة الى الفعل
ولما امتنع صدور ما لا يتناهى عنه مجتمعا لنهوض براهين التطبيق
التضايف وغيرهما فبالضرورة لا يتناهى ذلك الا على سبيل التعاقب
والاقتران فلا جرم وجب ان يكون من مبدعاته جوهر بواسطته يستصح ويستقيم
صدور المحدثات والمتجددات عن البارى المقدس عن التغير والتصرم فيجب
ان يكون ذلك الجوهر محض القوة والفاقة كما ان الواجب تعالى محض الفعلية
الفعلية والجود فابدع هيولى ذات قوة غير متناهية فى الانفعال كما انه
ذو قوة غير متناهية فى الفعل ثم لما كان تجدد قبول الخصوصيات الواردة على الهيولى
متوقفا على امر متجدد بالطبع حادث بالذات لا بامر زايد على ذاته

ليصير

ليصير بتجدده وحدوثه الذاتيين منشأ للتجدد المتجددات وحدوث
الحادثات فافاده بفضل بحته ووجود اجرام كريمة رفيعة دائمة الحركات
لاغراض شريفة علوية هى العلة لاستعدادات غير متناهية تلحق الى
فاعل غير متناهى التاثير وفاعل غير متناهى القوة ليوجب ذلك افاضة
الخيرات وانفتاح ابواب البركات دايما كما فى قوله تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها ثم الم ننظر الى احوال الفلكيات واوضاعها
لانتفاع السفليات من انها لو كانت كلها نيرات لافسدت باحراقها
مواد الكائنات كما قال الله تعالى قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار
سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون
فيه افلا تبصرون ولو كانت بالكلية عرية عن النور لبقى دون الفلك
فى [illegible] شديدة وليل مظلم لا اوحش منه كما فى قوله تعالى ارايتم ان جعل الله
لكم الليل سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بضياء
ولو ثبتت انواره او لازمت دائرة واحدة لاثرت بافراط فيما قابلها وتفرط

فيما وراء ذلك ولو لم يكن لها حركة سريعة لفعلت ما يفعله السكون واللزوم
ولو لم يجعل الانوار الكوكبية ذات حركتين سريعة مشتركة وبطيئة مخصصة
ولم يجعل دوائر الحركات البطيئة مائلة عن دائرة الحركة السريعة لما مالت
الى النواحي شمالا وجنوبا ولولا ان حركت الشمس على هذا المنوال من تخالف
سمتها لسمت الحركة السريعة لما حصلت الفصول الاربعة التي بها يتم الكون و
الفساد وينصلح امزجة البقاع والبلاد ولما كان القمر نائبا للشمس خليفة لها في
التسخين والتحليل اذا كان قوي النور جعل مجراه يخالف مجراها فالشمس يكون
في الشتاء جنوبية والقمر شمالية لئلا يفقدان السببان وفي الصيف بعكس ذلك
لئلا يجتمع المسخنان ولما كانت الشمس شمالية الحركة صيفا جنوبيها شتاء جعل
اوجها في الشمال وحضيضها في الجنوب لينجبر قرب الميل ببعد المسافة لئلا
تشتد الصيف الاضاءة والتنوير وينكسر بعده بقربها لئلا يضعف القوة
عن التاثير ثم اذا تاملت بالحقيقة ان خلق المركبات التامة لما لم يتم الا
بكيفيات الاربعة فعلية وانفعالية كالحرارة للتبديد والتحليل والبرودة

للجمع

للجمع والتسكين والرطوبة لقبول التخليق والتشكيل واليبوسة لحفظ ما افيد من
التقويم والتعديل كيف خلق الباري تعالى بلطفه وجوده عناصر اربعة واسكن
كلا منها في موضع يليق به وبما سواه منها ورتبها تحت السموات ترتيبا
مضبوطا بديعا ونظمها في مقعر القمر نظاما مضبوطا عجيبا فجعل كل متشاركين
في كيفية واحدة فعلية او انفعالية متجاورين وجعل النار لكونها اخف الكل
مجاورة للفلك لما بينهما من مناسبة اللطافة والنورانية ولان الفلك يتحرك دائما
والحركة علة الحرارة وجب بمقتضى حكمته ان يكون المصاحب له حارا جدا فلم يجز
في موضعها غيرها لئلا تتسخن لشدة الحركة فيتضاعف النار وتغلب على سائر الكيفيات
ولما كانت الارض اثقل الكل واثقلها وجب ان يكون مكانها في غاية السفل
وفي ابعد المواضع من الفلك وهو الوسط لما تقتضيه مناسبة الترتيب ولان
مسكن المركبات الحيوانية وغيرها بعيدا عن عالم الحركات اذ لو بلغت بتاثيرها
اليها غيرتها وفسدتها والماء لما كان اشد مناسبة للارض من جهة البرودة
والكثافة وجب ان يوضع عندها والهواء لما كان اشد مشابهة للنار لشفافته

والطافة ونفخه وحرارته وجب ان يوجب يوجد مجاورا لها ولما كانت الكواكب
وخصوصا الشمس والقمر اكثر تاثيراتها وتدبيراتها للعالم السفلى بتوسط
اشعتها المستقيمة والمنعطفة والمنعكسة جعل الارض ملونة كثيفة غبراء لتقبل
الضياء وما فوقها من العناصر شفافة لطيفة بالطباع لينفذ فيها ويصل الى
غيرها ساطع الشعاع ولم يحط الماء بجميع جوانب الارض ليستقر عليها المركبات
المحوجة الى غلبة العنصر اليابس الصلب لحفظ الصور والاشكال وربط
الاعضاء والاوصال ولو احاط الماء بالارض منعت الحيوانات البرية
عن استنشاق الهواء الضروري في حقها فصار الماء بتموجه موجبا
للاخاديد وحفظها الارض لليبوسة فانحدر الماء ومنع عن الاحاطة
عناية الله من الله تعالى في حق عباده فهذا هو الترتيب المحكم والتركيب
المفهوم الذي اهتدى العقل الى التصديق به من غير واسطة المشاهدة
الحسية لغاية وضوحه وجلائه ونهاية ظهوره فان الاعمش الفاقد العقل
لو تفكر برايه السديد وحده السديد لاضطر الى الحكم بوجوب ان تكون هذه

الاربعة

الاربعة على هذا النمط من الترتيب ثم اما تفكرت ايها العارف في اثار رحمة الله
وصنعه حتى يسبح له طربا وشوقا وتزمزم في شرق جلاله وكبريائه بالتهليل
والتكبير من ان القسمة العقلية لما اوجبت باقيات بالعدد وباقيات
لا بالعدد وكيف تم جود الواهب الحق نقصان الديمومة الشخصية في هذا
الصنف باعطاء الديمومة النوعية فوفى لكل منها قسطا من الوجود فصار
العالم الطبيعي منتظما بصنفي الثبات والدوام وكيف استبقى نوع ما وجب فساده
من الحيوان والنبات بقوة موافاة قاطعة لفضلة من مادة هي مبدأ لتشخص اخر
ولما لم يحصل التشخص اول مرة كيف رتب له النامية الموجبة لزيادة الاجزاء
في الاقطار على نسبة محفوظة ولما توقف فعلها على التغذي كيف رتب لها الغاذية
ورتب للغاذية خوادم من قوة جاذبة يأتيها بما يتصرف فيه ولها حكمة محللة
للغذاء معدة اياه لتصرف الغاذية وماسكة لحفظ الغذاء لتصرف المتصرف
ودافعة لما لا يقبل المشابهة وكيف رتب للحيوان اخرى من مدركة ومحركة
وزاد المزاج الاشرف الانساني كلمة طيبة اذا اطاعت امر ربها وكملت بالعلم

والعمل صعدت اليه وشابهت المقربين من المبادي العلى ولو تدبرت
في كيفية تدبير النفس للبدن وحصول الفة التدبير ومحبة التصرف وعشق
المقارنة والم المفارقة بينهما مع ان البدن كالتعلق الكثيف والنفس كالنور
اللطيف لعضدت العجب وقلت كيف يتصور الازدواج بين النور
والظلمة والايتلاف بين العلو الذي قال الله تعالى تعظيما لشانه ورفعناه
مكانا عليا وقال ان كتاب الابرار لفي عليين والسفلي
المشار اليه بقوله ان كتاب الفجار لفي سجين اذ بينهما من
المنافرة والمخالفة في الماهية ما لا يخفى فانظر كيف تلطف الخالق بحكمته
التامة والعنم بحسن عنايته العامة ان خلق البدن الكثيف من مادة النطفة
ومن لطافة القلب الصنوبري ومن لطافة الروح النابعة فيه التي هي
من اللطافة والصفاء كالفلك البعيد عن التضاد وفي التوسط بين الاطراف
بمنزلة الخالي عنها المشابه للسبع الشداد فمن جهة صفائها ونقائها
ونوريتها وضيائها وبعدها عن التضاد الموجب للفساد تصير مرآة

للنفس

للنفس الناطقة بها يدرك الوجود كله على هيئته ونقشه وصورته ورسمه
كليا وجزئيا اما كليا فبذاتها المجردة واما جزئيا ففي تلك المرآة
الجليلة فاذن في الانسان شيء كالملك وشيء كالفلك فصار بهذين
الاعتبارين مغرب العالمين ومنتهى الاقليمين فانظر الى اتقان حكمة
المبدع كيف بدأ بالوجود من الاشرف فالاشرف حتى اختتم بالجسم الذي
هو اشرف الاجسام والطفها واصفاها وهو السماء الاولى وسدرة المنتهى
الى نهاية عالم الروحانيات وبداية عالم الجسمانيات فكان تلك الانوار
المجردة عنده تتكثف وتتجسم وتتكدر وتتجزم وافتتح بالاخس فالاخس
حتى انتهى الى الكثيف الاجسام الهاوية ثم فتح فاتحة اخرى للاخلاص لتذهب
ذاهب الاخلاص وعكس الترتيب الاول من الجانبين فالاخس الى النفيس فالانفس حتى
بلغ الى ارواح هي كالافلاك ونفوس هي كالاملاك الى ان وصل الى خاتم الرسل
لدى السبب الذي شبه العقل الاول والله سبحانه هو المبدأ والمنتهى
من الاخرة والاولى الفصل الرابع في كيفية دخول الشر في القضاء

81 الآن علم ان اسم الشر يطلق بحسب العرف العام على معنيين احدهما
ما هو عدم محض كالموت والنقص والفقر والجهل وامثالها فانها
عدميات محضة وهو على ضربين الاول عدم ليس ذلك العدم هو عدم
مقتضى طباع الشيء ولا ما يمكن حصوله من الكمالات والخيرات كقصور
الممكن عن الوجود الواجبي والوجوب الذاتي وكذا قصور كل تال من
العقول الفعالة عن صاحبه سابقه وقصور النفوس عن العقول والاجسام عن
النفوس والهيولى عن الجميع فالكمال المطلق والخير المحض ينحصر في الحق الصرف
والوجود المحض الذي ليس فيه جهة امكانية ومن عداه من المهيات المعروضة
للوجود لا يخلو من شرية ما على تفاوت امكاناتها بحسب تفاوت مراتبهم في
البعد عن ينبوع الوجود فهذا الشر منبعه الامكان الذاتي والثاني
ما يكون عدم مقتضى الشيء او ما يمكن حصوله من الكمالات الثانية وغيرها
ولا يتصور هذا في غير الماديات فالعقول الفعالة حيث يكون وجود كل
منها على الكمال ما يتصور في حقه فلا يكون لها شرية بهذا المعنى وما عداها

من الامور

من الامور المتعلقة بالهيولى لا تخلو من شرية على تفاوت امكاناتها الاستعدادية
بحسب مراتبها في التعلق بالهيولى فهذا الشر منبعه الهيولى ومنبع الهيولى الامكان
لانها صدرت من المبادي لاجل جهة الامكان فيها فمنبع الشر مطلقا هو
الامكان والمعنى الثاني هو ما يمنع شيئا آخر عن الوصول الى كماله كالبرد
المفسد للثمار والحر المعفن لها والمطر المانع للقصار عن تبييض الثياب
والاخلاق المذمومة المانعة للنفس عن وصولها الى كمالها العقلي كالبخل
والجبن والاسراف والسفاهة وامثالها والافعال الذميمة كالزنا
والسرقة والنميمة وما اشبهها من الآلام والاحزان والغموم وغير ذلك
من الاشياء التي معانيها وجودية ولكنها تتبعها اعدام فنقول اطلاق
لفظ الشر عند الحكماء على المعنى الاول حقيقة وعلى المعنى الثاني مجاز لان
الشر الحقيقي لا ذات له بل عدم ذات او عدم كمال له كيف وجميع الاشياء
طالبة لكمالاتها لا مقتضية لذات والبرهان على ذلك انه لو كان الشر
امرا وجوديا فلا يخلو اما ان يكون شرا لنفسه او لغيره والاول باطل

٨٢ والالما وجد اذ الشيء لا يقتضي عدمه او عدم كمال له كيف وجميع الاشياء
طالبة لكمالاتها لا مقتضية لعدمها مع انه لو اقتضى لكان الشر
ذلك العدم لا نفسه وكذا الثاني لان كونه شرا لغيره اما لانه يعدم ذلك
الغير او يعدم كمالاته فانه لو لم يكن معدما للشيء اصلا لا لوجوده ولا لكمال
وجوده فليس شرا لذلك الشيء البتة للعلم الضروري بان كلما لا يوجب عدم
شيء ولا عدم كمال له فلا يكون شرا لذلك الشيء فاذا كان كونه شرا لكونه معدما
لشيء او لبعض كمالاته فليس الشر الا عدم ذلك الشيء او عدم كمال له
لا نفس الامر الوجودي المعدم بل هو في ذاته من الكمالات النفسانية
او الجسمانية فان الظلم وان كان شرا بالقياس الى المظلوم والى النفس الناطقة
التي كمالها في تسخير قواها وكسرها لكنه خير بالنسبة الى القوة الغضبية
من حيث هي كذلك وكذا الاحراق كمال للنار وانما هو شر بالنسبة الى
من يفقد به سلامته فعلم ان الشر اما عدم ذات او عدم كمال
لذات وكلما لا يكون كذلك فهو خير فالوجود من حيث انه وجود خير محض

والعدم

والعدم من حيث انه عدم شر محض فقد ظهرت بما ذكرناه من البرهان صحة
دعوى اشتهر ان الحكماء ما صححوا بالبرهان بل تارة اكتفوا فيها بمجرد
استقراء غير تام وتارة التجأوا الى انها ضرورية وان ما ذكروه من الامثلة
لايضاح ما ربما اشتبه على بعض الاذهان ثم انك قد علمت ان الشر
الذي هو بمعنى العدم منه ما هو من لوازم الماهيات التي لا علة لها ومنه
ما لا يكون من هذا القبيل بل قد يلحق الماهيات لا من ذواتها فلا جرم لا بد له من
علة وسبب وكلاهما ليس في الشق الاول الذي لا علة له اذ من المعلوم
انه ليس للماهيات في كونها ممكنة ولا في حاجتها الى علة لوجودها سبب و
لا لقصور الممكن عن درجة الواجب بذاته ولا لتفاوت مراتب هذا النقصان
في الماهيات علة بل انما ذلك لاختلاف الماهيات في حدود ذواتها لا لامر خارج
عنها فلو كان النقصان في الجميع بمرتبة واحدة لكانت الماهيات ماهية واحدة
بل الكلام فيما هو من القسم الاخر وهو عدم ما هو من الامور الزائدة على
مقتضى النوع كالجهل بالفلسفة مثلا للانسان فان ذلك ليس شرا له

٨٣ لاجل كونه انسانا بل هو شر لاجل انها اقتضاها شخص مستعد لها مشتاق
اليها دون غيره لا من حيث انه انسان بل من حيث انه وجد فيه هذا
الاستحقاق والاشتياق الذي لا صلاح في ان يتم وهذا الشر انما يوجد
في الاشياء على سبيل الندرة والشذوذ فقط وجد فيه ما خيره محض او خيره
اكثر من شره واما ما يكون شرا محضا او يستولي الشرية او يتساوى الطرفين
فما لا وجود لها له اصلا حتى احتيج الى مبدأ اخر غير الواجب بالذات كما توهمه
الكفرة والمجوس وكل واحد من القسمين المذكورين اولا من افراد الخير
فيجب صدورها جميعا عن الواجب بالذات الذي هو فاعل الخيرات ومثال
القسم الاول منها عالم العقول وعالم الافلاك اذ هما مبرآن من الشرور
والفساد الناشيان من سنخ التضاد ومثال الاخير الاخر عالم العناصر الموجب
للشرور على سبيل القلة وان تسع تسوع عناية المبدع ورحمة الجواد اهماله والا
لزم ترك خير كثير لشر قليل وذلك شر كثير فالشر مقتضى بالعرض لا بالذات
وذلك ايضا انما يكون لاجل النفع في اشياء اخر لو لم تخلق لخلق شر بال

الوجود

الوجود وقصر رداء الجود وبقي في كتم العدم عوالم كثيرة ونفايس جمة غفيرة
فمن هذه الحيثية تكون مقتضيا بالذات كيف ولو لم يكن في عالم العناصر
تضاد فمن اين يحصل الفعل والانفعال والكر والانكسار ومتى تنتقل
الهيولى من صورة الى صورة ومن حالة الى حالة حتى تبلغ الى غاية تقبل
العقل المستفاد الذي تضاهي الملكوت الاعلى في الشرف والكمال والاحاطة
بالمعلومات مع ان امثال هذه الوقايع لازمة في الطبايع من مصادمات
وقعت بين سكان عالم الظلمات اتفاقا دون الالتفات من المبادي
العالية اليها ووجود كل من الجزئيات منوط لسلسلة من الاسباب يلزم
من عدمه عدمها وهو اعظم خلل في نظام الخير الكلي فان وجود نوع يفيد
بعض اشخاص نوع آخر فانا بعد آن ثم ان من ظن ان العالم الاعلى وعظايم
الامور ما خلق الا لاجل الانسان وهذا جهل محض كيف والعالي كالامر
غير ملتفت الى السافل خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالي وخلقت هؤلاء
للنار ولا ابالي وليس ان الباري تعالى يشتغل الذات بايجاد القبايح والمفاسد

٨٤ وتمكين الظلمة والمشركين في افعالهم وعقايدهم وابقاء الدول الجائرة
ونشر السيئات الدموية واهمال الاطفال عن حضانة مرضعاتهم وابائهم
واذلال العلماء ورفعة حال الجهال الى غير ذلك من الوقايع وقد قال
عز من قائل وما ربك بظلام للعبيد بل الكل توابع لقضائه
وقدره لوازم مفادة لحركات كلية لاغراض علوية مقدرة بهيئاتها و
ازمنتها في عالم اخر كما قال الله تعالى وكل شيء عندنا خزائنه وما
ننزله الا بقدر معلوم على ان جميع اسباب الشر انما يوجد تحت
كرة القمر في جوانب الارض التي هي حقيرة بالنسبة الى الافلاك المقهورة
تحت ايدي النفوس المطموسة تحت اشعة العقول الاسيرة في قبضة الرحمن
والنسبة لها الى جناب الكبرياء الباهر برهانه على الضياء ثم ان اصابة الشر
في هذا العالم انما هي لبعض الاشخاص وفي بعض الاوقات والانواع محفوظة
واما بالقياس الى نظام الكل فلا شر اصلا اذ قد عرفت ان هذا النظام
شريف فاضل وجميع ما وقع طبيعي بالقياس اليه والطبيعي للشيء لا يكون شرا له

فقد تبين

تبين وتحقق بالبرهان الساطع ان كلما يقتضيه حكمته تعالى وقضيته كان حسنا
وخيرا ومن ظن انه شر كان ذلك لخلل في عقله وقصور في فهمه فلا شر في النظر
الا وهو خير من جهة اخرى لا يعلمها الا منشئها وموجدها فان تصور ذرة جهات م
الشر في جنب اشعة شمس الخير لا يضرها بل يزيدها بهاء وجلالا وضياء وكمالا
كالشامة السوداء على الصورة المليحة البيضاء تزيدها حسنا وملاحة
واشراقة وصباحة فسبحان من تقدست كبرياؤه عن تقصير الافعال وتصوير الامثال
والاشكال وجل جناب الحق عن امثال هذه الخيالات والاوهام وتنبيهات
لا يبعد ان يذهب على الاوهام العامية ان الفاعل للكل اذا كان مختارا
فله ان يختار ايما شاء من الخيرات والشرور فلا يمتنع عليه شيء فهذه الابحاث
ساقطة على هذا التقدير فنقول اختياره تعالى ارفع من هذا النمط كما
سيأتي ولا يمكن ان يكون ارادته متساوية النسبة الى الشيء ونقيضه بلا داع ومصلحة
انما كان ذلك مذهب جماعة قصرت افهامهم عن درك حقايق الاشياء
وكيفية ارتباطها بالمبدأ الاعلى فارتكبوا كثيرا من المحالات الناشئة

٨٥ عن اصولهم الفاسدة من جملتها الترجيح من غير مرجح ونفي اللزوم في تاثير
من الاشياء وتجويز صدور كل قبيح من الله تعالى ولا شك انه على ذلك
ينسد باب اثبات الصانع فانه يجوز ح تخلف النتيجة عن كل قياس و
ان كانت صورته صورة الشكل الاول ومادته الاوليات وخلق نتيجة
اخرى عقيبها ثم تفطنوا انه على تقدير ان لا يكون امور العالم منوطة بعلل
كلية منضبطة بل يكون صدورها بارادة جزافية كما ظنوا لم يكن اولياء الله
واحباؤه مبتلين بالمحن الشديدة وتسلط الاعادي عليهم مدة مديدة بل كانوا
مما جمع لهم بين المثوبة في الاخرة والسلامة في الدنيا واسد من ذلك
ما قال بعضهم من ان الفلاسفة لما قالوا بالايجاب والجبر في الافعال الالهية
فخوضهم في هذا المبحث من جملة الفضول لان السؤال بلم عن صدوره غير
وارد كصدور الاحراق من النار لانه يصدر عنها لذاتها وجوابه بعد تسليم هذا
الافتراء على هؤلاء العظماء ان بحثهم عن كيفية وقوع الشر في هذا العالم لاجل
ان البارئ تعالى خير محض بسيط عندهم ولا يجوزون صدور الشر عنه الا بجهة شرية

فيه اصلا

فيه اصلا فيلزم عليهم في بادي الرأي النظر ما ذهبت لاجله الثنوية الى اثبات
مبدئين احدهما مبدأ الخيرات والآخر مبدأ الشرور فقالوا لازالة هذه
المفسدة ان الصادر عنه تعالى ليس بشر بل الصادر عنه اما ما يتبرأ بالكلية
عن الشر واما ما يلزمه شر قليل منبعه الامكان او الهيولى وكلا القسمين من
افراد الخير فيجب صدوره عن الحقيق وغيرهما ذكر من اقسام الشر غير موجود
فلا يقتضي مبدأ اصلا كما مر وقد تفاخر ارسطو بذلك الكلام في دفع شبهة
الثنوية قيل لو كان الشرور الواقعة في هذا العالم كالجهل والكفر وامثالها
بقضائه تعالى وقدره لوجب علينا الرضاء به لان الرضاء بما يريد الله تعالى
واجب كما في الحديث القدسي من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي
فليخرج من ارضي وسمائي وليعبد ربا سوائي ولا شك
ان الرضاء بالقبيح قبيح كما ورد الرضاء بالكفر كفر فكيف التوفيق
بين هذين الكلمتين وما اجاب عنه بعضهم من ان الواجب الرضاء
بالقضاء لا بالمقضي والكفر وامثاله مقضي لا قضاء ومحصله ان الانكار

المتعلق بالمعاصي والقبايح انما هو باعتبار المحل لا باعتبار الفاعل فان الاتصاف
بالكفر منكر دون خلقها وايجادها والرضاء انما يتعلق بايجادها الذي
هو فعل الله تعالى ليس بمنكر كما ترى بل الحق في الجواب ان نفرق بين القضاء
بالذات وبالعرض فالمامور به هو الرضاء بما يوجبه القضاء بالذات
وهو الخيرات كلها والمنهي عنه هو الرضاء بما يلزم من القضاء على سبيل العرض
وهي الشرور اللازمة للخيرات الكثيرة وهذه ايضا اذا لم يعتبر من هذه الحيثية
بل قصد اليها بالذات وبالقياس الى هذه الشخص الجزئي الموصوف به واما اذا
اعتبر كونها متضمنة للمصالح والحكم الكلية بالقياس الى النظام الكلي فلا شر ثمة
لان هذا الترتيب والتميز من لوازم الوجود والايجاد كما علمت ولعلك تقول
ان اكثر افراد الانسان الذي هو اشرف انواع القسم الاخير يغلب عليهم الشرور
فان مناط تحصيل السعادة والشقاوة العاجلتين والاجلتين للنفس انما هو
باستعمال قواها الثلثة النطقية والشهوية والغضبية لاكتساب ما ينبغي ان
يكونوا عليها من الحكمة والعفة والشجاعة والغالب على اكثرهم على ما ترى

اضداد

اضداد هذه الامور اعني الجهل وطاعة الشهوة والغضب فيلزم كونهم من الاشقياء
والاشرار سيما في الاجل فاعلم ان الجهل الذي لا نجاة معه في الاخرة هو الجهل
المركب الراسخ المضاد للعلم اليقيني الذي يوجب قسطا وافرا من السعادة
واما الجهل البسيط الذي لا يضر في المعاد فهو عام فاش في نوع الانسان وكذلك حال
القوتين الاخريين فالبالغ في فضيلة العقل والخلق وان كان نادرا
كالشديد النزول فيها لكن المتوسطين على مراتبهم اغلب واوفر واذا
ضم اليهم الطرف الاعلى صار لاهل النجاة غلبة عظيمة وقد شبهت الحكماء
حال النفوس في انقسامها الى هذه الاقسام بحال الابدان في انقسامها الى البالغ
في الجمال والصحة ومتوسط وهو الاكثر والقبيح السقيم وهو اقل من المتوسط فضلا
عن مجموع القسمين فاذن قد ثبت ان الشر ليس بغالب على ان الحكم بالجزم
بان رحمة الله لا تنال الا قليلا من عباده تمسكا بقوله تعالى ورحمتي
وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون فانه يدل على انحطاط
الجميع فيها مع زيادة تخصيص لاهل الدرجة العليا بها ثم لك ان تقول

ان من جملة الاصول المقررة ان كلما يجوز صدوره عن الواجب تعالى فيجب وقوعه لعدم
البخل والمنع هناك فقد كان جايزا ان يصدر عنه تعالى خير محض متبرا عن الشر
اصلا لكنا نقول هذا النمط واجب في مطلق الوجود لا في كل وجود فقد اوجد
ما امكن ان يوجد على الوجه المذكور فلو لم يوجد ما لا يخلو عن شر ما لكان الشر
اعظم فان عدت وقلت لم لا اوجد القسم الثاني بلا قصور وآفة قلنا
فلم يكن هو هو ورجع الى القسم الاول وقد فرغ عن وجوده ولو كانت الماهيات
واحدة ومن المح ان يكون النار نارا ولا يوجد لها لازم النارية بين
احراق ثوب لاقته الآن لا يكون الثوب ثوبا بل شيئا آخر لا يحرقه
النار وان اشتبه عليك بعد هذه المباحث انه لما كانت الافاعيل البشرية
من الفضايل والرزايل والطاعات والمعاصي وبالجملة الخيرات والشرور
كلها مقدرة مكتوبة علينا قبل صدورها معجونة فينا لماذا يعاقب من
ابتلاه القدر بارتكاب الخطيئات واقتراف الشهوات فاعلم ان العقاب
على المعصية ليس لان المنتقم المتعالي عن سمات الحادثات يستولي

عليه

عليه الغضب ويحدث له الانتقام بل النفوس انما يترتب عليها الثواب
العقاب بهيئات ساقها اليهم القدر والثواب والعقاب من
لوازم الافاعيل الواقعة منا من قبل وثمراتها ولواحق الامور
الموجبة فينا وتوابعها فالمجازاة اظهار ما كتب علينا في القدر وابراز
ما اودع فينا وغرز في طباعنا بالقوة كما قال سبحانه سيجزيهم
وصفهم وان جهنم لمحيطة بالكافرين فمن اساء عمله واخطأ
في اعتقاده فانما ظلم نفسه بظلمة جوهره وسوء استعداده فكان
اهلا للشقاوة في معاده فان رجعت ما بالنا نتفاوت فيما قدره
الله تعالى وقضاه من الفضايل والرزايل والسيئات ولم لم نتساو
ونتعادل في الخيرات والشرور ونتشاكل ولا نتماثل في السعادة
والشقاوة وبأي شيء صار السعيد سعيدا والشقي شقيا واين عدل الله فينا وقد قال
الله تعالى وما انا بظلام للعبيد فنجيبك يا اخا الحقيقة ايدك الله
وايانا بروح منه لان الاستعدادات متفننة والحقايق متنوعة

والمواد السفلية بحسب الخلقة والمهية متباينة فى اللطافة والكثافة ونتاجها
مختلفة فى القرب والبعد من الاعتدال الحقيقى والارواح الانسية التى
بازائها مختلفة بحسب الفطرة الاولى فى الصفاء والكدورة والقوة والضعف
مترتبة فى درجات القرب والبعد من الله تعالى لما تقرر وتحقق ان بازاء
كل مادة ما يناسبه من الصور فاجود الكمالات لاتم الاستعدادات واخسها
لانقصها كما اشير اليه فى قوله عم الناس معادن كمعادن الذهب
والفضة خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام
مجادلة كلامية ودغدغة برهانية ولعلك لاعتيادك
بالمجادلات المشهورية فى الخطابيات الجمهورية تضطرب فصول وتزعج فتقول
ان ما حاول الفلسفى ان يقسم للشرور والقبائح الكائنتين فى الوجود بقدرة يقسم ر
ويجر الله عز وجل الى عباده فقال ان ههنا ما هو صلاح وخير بالنسبة الى
الكل والامر العام وما هو كذلك بالقياس الى النظام الجزئى والامر الخاص اذا
تعارضا فلا بد من تعظيم تقديم صلاح الاول واهمال جانب الجزئى لكن قطع

عضو

عضو الصلاح الجسد كله وجعل كل شر وخير لا خفى لاحاد الناس واجيب
فى النظام الكلى هو فاسد من وجهين احدهما انه يلزم منه ان يكون
رب العباد فارقهم وجاهرهم ورماهم فى المصائب والنوائب لغيرهم تقدما
عليهم وهذا مما يسوءهم جدا ويسيء ظنهم بربهم لان عناية كل شئ مصروفة
الى نفسه قبل كل شئ فاذا راى ربه يؤثر غيره عليه ويرميه بالنصب والعذاب
لاجله يأس من رحمته وذم على عبوديته واى فائدة له فى ان يكون ذلك الشر
خيرا فانه ان كان خيرا فهو خير لنفسه لا لان مقتضاه مصائبه وافاته وجاء فى
المثل عنك خير من سمين غيرك والوجه الثانى انه ارتهم ربهم عاجزا
مضطرا اذ ظن انه لا يجد سبيلا الى صلاح الانام واقامة النظام الا بادخال
الضر على هذا العاجز المسكين فما له ان يعبد ربا عاجزا فانه لا يعبد ربه الا
لانه يجد نفسه عاجزا فقيرا فيلتجى الى قوى عزيز فاذا كان هو عاجزا مثله فقد فر
من العجز الى العجز تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا فيعجبك ما قد
قال الشاعر ❊ هون عليك البصرى ما شق منظره ❊ فانما يقظات العين كالحلم

فاسمع ما يشفيك من غيظك ويكفيك في ازالة ريبك فلت اول من
زلت قدمه في هذا المقام واستفز قلبه من هذا الكلام واعلم ان الطاعة
كل هيئة تقتضيها ذات الانسان لو خليت عن العوارض الغريبة فهي
الفطرة الاولى التي فطر الله عليها العباد وكلهم والمعصية كلها كل ما تقتضيه
بشرط عارض غريب فهي تجري مجرى المرض والخروج عن اعتدال الطبيعة فلو ان
ميل الانسان اليه كشهوة الطين التي هي غريبة بالنسبة الى المزاج الطبيعي
لم يحدث الا بحدوث مرض وانحراف عن المزاج الاصلي الجبلي وقد ثبت
في الحكمة ان الطبيعة بسبب عارض غريب تحدث في جسم المريض مزاجا خاصا
يسمى مرضا كما ان الصحة ايضا من الطبيعة على قياس الحركة الطبيعية الحاصلة
من الطبيعة في ذاتها والقسرية الحاصلة منها بسبب القاسر فيكون كل من
الحالتين ملائما لها في وقت مخصوص وقد ورد في الحديث القدسي
اني خلقت عبادي كلهم حنفاء وانهم اتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم
فالطاعة هي الحنيفية التي تقتضيها ذواتهم لو لم يمسهم ايدي الشيطان

[illegible]

فاذا مسهم

فاذا مسهم ايدي الشياطين فسدت عليهم فطرتهم الاصلية فاقتضوا اشياء
منافية لهم مضادة لجواهرهم النور الالهي من الهيئات الظلمانية و
نسوا انفسهم وما جبلوا عليه فاحتاجوا الى رسول مبلغ من الله يتلو
عليهم الآيات ويسن لهم ما يذكرهم عهد ذواتهم من الصلوة والصيام
والزكوة وصلة الارحام الى غيرها من الطاعات ليعودوا الى فطرتهم
الاصلية ويصير فعل الخيرات والعبادات طبيعيا لهم بلا كلفة ومشقة
واليه اشير بقوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وهم
الذين باشرت انوار الحق نفوسهم حتى خشعوا لها فان الله اذا تجلى لشيء خشع له
ثم ان هذا المرض الذي عرض لذواتهم والحالة المنافية التي قامت بهم لولا انه
وجدوا من ذواتهم قبولا لعروضها لهم ورخصة في لحوقها بهم لم يكونا عارضين
لهم ولا يلحقان بهم فاذن كان مما تقتضيه ذواتهم ان يلحقهم امور منافية
مضادة لجواهرهم فاذا لحقتهم تلك الامور اجتمعت فيها جهتان فكانت
ملائمة منافية اما كونها ملائمة فلان ذواتهم اقتضتها على ان يكون منافية

لهم فلو لم يكن ما فرضناه مقتضى مقتضى لها بل امرا آخر هف اولا ترى الى
المحموم الذي تفعل طبيعته في بدنه الذي قلت رطوبته بسبب القاسر حرارة
توجب فساده والى طبيعة الارض التي تقتضي يبوسة حافظة لان تشكل كان
حتى صارت ممسكة للشكل القسري المنافي لكرويتها الطبيعية ومنعت عن العود
اليها فعروض ذلك الشكل للارضية لكونها مقسورة من وجه مطبوعة من وجه
فالانسان عند عروض مثل هذا المنافي ملايمة منافية لم سعيد شقي ملتذ
لكن لذته الم وسعيد ولكن سعادته شقاوته وهذا عجيب ولكنها واضحة
لك ايضا حالم يبق معه لك عجب ان شاء الله فمهما سمعت الله عز وجل
يذكر هؤلاء بالبعد والشقاوة فهم اشقياء مبعدون لا شك في ذلك
ومهما سمعته عز وجل ينبئ عن خلقه كله بالحسن والبهاء ويذكر نفسه بالرحمة
التي وسعت كل شيء فاعلم انه بالنظر الى تلك الجهة الدقيقة التي نبهناك
عليها ان ذواتهم لو لم تستدع عروض العذاب لم يمكن تعلقه بهم ذلك
فان الله تعالى لا يولي احدا الا ما تولاه عدلا منه ورحمة فاذن يا حبيبي تحت

كل سم

والمشاقة والشقاق الخلاف والعداوة صحاح

وولاه الامير عمل كذا وتولى العمل اي تقلد صحاح

كل سم ترياق وقبل كل لعنة رحمة وهي الرحمة التي وسعت كل شيء فخلق ابه
كل ممكن على ما اختاره لنفسه كما ورد في الكتاب الالهي ومن يشاقق
الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين
نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وقد ورد في الخبر
في صفة يوم القيمة موقوفا على ابن مسعود ان الله عز وجل ينزل في
ظلل من الغمام من العرش الى الكرسي فينادي مناد ايها الناس
الم ترضون من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وامركم ان
تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ان يولي كل ناس منكم
ما يتولون ويعبدون في الدنيا اليس ذلك عدلا من
ربكم قالوا بلى قال فينطلق كل قوم الى ما كانوا يعبدون
ويتولون في الدنيا قال ويمثل لهم اشباه ما كانوا يعبدون
الحديث بطوله وكما تولون في الآخرة ما توليتم في الدنيا كذلك تولون في
الدنيا ما توليتم في السوابق فان كان لك شك في ذلك فانظر قوله تعالى

انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال
فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان الآية
ولتعلم ان الله عز وجل لا يجعل احدا شيئا قهرا وقسرا بل يعرضه عليه فان
تولاه ولاه وان لم يتولّه لم يوله وهذا محض الرحمة والعدالة فان قلت
ليس تولية الشيء ما تولاه مطلقا عدلا بل حيث يكون ذلك التولي عن رشد
وبصيرة فان تولية السفيه اياه ليست عدلا بل ظلما وانما العدل والشفقة
في ذلك منعه اياه قلت هذا التولي الذي كلامنا فيه ليس تولي شيء لشيء يعرضه
من خارج حتى يرد عليه القسمة الى الخير والشر فان ما يختاره السفيه انما يسمى شرا لانه
مناف لذاته فلذاته اقتضاء اول متعلق بنقيض ذلك الامر المتولى له
فذلك هو الذي اوجب ان سمينا هذا شرا بالنسبة اليه واما الاقتضاء الاول
فلا يمكن وصفه بالشر لانه لم يكن قبله اقتضاء يكون هذا خلافه فيوصف
بانه شر بل هو الاقتضاء الذي يكون خيرا على اي وجه كان لان الخير ليس الا
ما تقتضيه ذات الشيء والتولي الذي كلامنا فيه هو الاستدعاء الذاتي

والسؤال

المطلع تح

والسؤال الوجودي الفطري الذي يسأل به الذات المستطيعة السامعة لقول الله كن
الداخلة امتثالا في الوجود وقوله كن ليس امر قسر وقهر لان الله غني عن العالمين
ولا حاجة له في وجودهم ليجبرهم عليه بل امر اذن لانه مسبوق بسؤال الوجود
فكانه قال لربه ائذن لي ان ادخل في عالم الملك وهو الوجود فقال الله
كن اي ادخل حضرتي فقد اذنت لك كما حكى الله عن عيسى على نبينا وعليه
الصلوة والسلام من الملكوت الاعلى اني اخلق لكم من الطين
كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله فلولا سبق
السؤال عن الطائر ان يكون لم يسم ذلك اذنا وسمى امر الجليل تبارك
اسمه قسرا وكرها فذلك ايضا من جوهر المأمور واستدعاء فطرته طبعه
ورحمة من الله لنديهم من مكنون لطف الجلال كيف وكان القهر حال
جلالا كالهيمان الحاصل من الجمال الآلهي فانه عبارة عن انقهار العقل بتنبه
وتحيره فيه كذلك ايضا لقهر جلال جمال وهو اللطف المستور في قهر الآلهي
كما قال الله تعالى ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب

وقال امير المؤمنين على اخيه وعليه سلام رب العالمين سبحان من اتسعت
رحمته لاوليائه في شدة نقمته واشتدت نقمته لاعدائه
في سعة رحمته ومن هنا يعلم سر قوله وحفت الجنة بالمكاره وحفت
النار بالشهوات ولعمر الملك لقد اتصل بالسماء والارض من لذيذ الخطاب
في قوله عز وجل ائتيا طوعا او كرها من مشاهدة جمال القهر ما طرب
السماء طربا برقصها فزيد في ذلك الرقص والنشاط وغشي به على الارض
لقوة الوارد فالقيت مطروحة على البساط فسريان لذة القهر هو الذي عندهما
ومشاهدة لطف الجلال هي التي سلبت افئدتهما حتى قالوا قول الواله
ذي الحنين اتينا طائعين فافهم هذا فهم حق بتلي لا فهم شعر تغيري
بحث وتحقيق ربما قال قائل الممكن قبل وجوده معدوم فكيف يتفق
بالسؤال ثم بالامتثال والقبول للامر والاطاعة والانقياد للامر لان
هذه المعاني انما تحصل بعد الوجود وكيف يقاس الى ليس بموجود الى آله
فيق له ان الممكنات قبل وجودها الخارجي موجودة بنحو آخر من الوجود

هو الوجود

هو الوجود العلمي الالهي لم تزل ولا تزال وان كانت معدومة بحسب الوجود
العيني فان ذات العلة الفياضة نحو من انحاء وجود الامر المفاض اولى
واقوى منه وبجهة بنفسه كما حققنا في بعض اسفارنا وكل صفة وجودية
تثبت له في مرتبة لاحقة فهي قد كانت ثابتة له في المواطن السابقة عليها
فهذه الصفات التي للاشياء ليست من لوازم الوجود الخارجي فقط بل
كل صفة كمالية للوجود بما هو موجود يتصف بها الاشياء حال كونها موجودة
بالوجود العلمي غاية ما في الباب ان هذه الصفات مما تتفاوت ظهوراتها
في الممكنات بحسب تفاضل الدرجات وتفاوت الاستعدادات كما
يتفاوت طبقات الاجسام لطافة وكثافة وتحقيق هذا الكلام انه كما
ان للعالم بمجموعه ظهورات متعددة بعضها اجمالي وبعضها تفصيلي وللتفصيل
مراتب وتلك الظهورات بحسب مراتب علمه تعالى بالاشياء اذ نفس
وجودات الممكنات وظهوراتها كما اشير اليه آنفا نفس مراتب علمه تعالى
بها كذلك لكل جزء من اجزاء العالم له ظهور خاص اجمالي يظهر بحسب صفاته

وكمالاته وشؤوناته وحيثياته على صورة وحدانية مندمجة بعضها في بعض
وله ظهورات اخرى تفصيلية في العوالم كلما ظهر تلك الصفات والكمالات
بصور متعددة متمايزة بعضها عن بعض حسبما يقتضيه كل عالم وكل نشأة
وكما ان لكل معلول جهتين وجوب غيري وامكان ذاتي ثابتتين له في
جميع المراتب والانقسامات فنسبة الفعل والتكوين والقهر والغلبة والغنى
اليه بالاعتبار الاول ونسبة الانفعال والامتثال والمحبة والذل والافتقار
بالاعتبار الثاني احديهما اثر الجلال والجمال وكل منهما ينطوي في الآخر كما قرر فلا يضيقن
صدرك بما سمعت واحمد ربك على ما فهمت. **قاعدة شريفة** ينتفع
بتمهيدها في مسئلة الجبر والشر وسر القضاء والقدر اعلم ان ههنا طريقة
اخرى بطريقة اهل الله في حل الشبهة الناشئة في تحقق الشرور الكائنة
في العالم يتوقف بياننا على تمهيد قاعدة هي انه قد تقرر عند المحصلين من
الحكماء والمحققين من العرفاء ان الجعل والتاثير والافاضة والابداع لا يتعلق
بالذات الا بنحو من انحاء الوجودات لا بالمهيات بوجوه عديدة من البراهين

مذكورة

مذكورة في كتابنا المسمى بالاسفار الاربعة فالموجد بالذات سواء كان
واجبا غنيا او ممكنا فقيرا منحصر في الوجود والمعاني الكلية والمهيات
العقلية والاوصاف الاعتبارية جميعها انما يكون موجوديتها باعتبار اتحادها
مع نحو من انحاء حقيقة الوجود او انتزاعها منه فكما ان للوجود القيومي الواجبي
تحققا بنفسه من دون قيامه بمهيته وعروضها لها ومع هذا يكون وجوده
الاحدي القائم بذاته مصداقا بذاته لصدق كثير من المعاني الكلية الكمالية و
موضوعا بنفسه لحمل طائفة من النعوت العقلية الاجمالية اي المسماة بالاسماء
والصفات الالهية بلا انضمام صفة زائدة يصير بسببه محكيا به عندنا بالمحامد
السبحانية والمحاسن الصمدانية ولا اختلاف حيثيات في ذاته يصير بعض
منها منشأ لحكم وصفة من الاوصاف وبعض آخر منشأ لحكم آخر وصفة
اخرى ليلزم التركيب في ذاته تعالى عنه علوا كبيرا كذلك كل مرتبة من مراتب
الوجودات الفائضة الذوات المجعولة الهويات التي هي بالحقيقة اشعة
واظلال للنور الاحدي القيومي ورشحات وظلال للبحر الصمدي الديمومي

بنفس ذاته وجوهر هويته الصادرة المجعولة مصداق لبعض المعاني الكلية
والنعوت العقلية المسماة عند الحكيم بالمهية وعند اهل الله بالعين
الثابتة بلا جعل وتاثير مستانف يتعلق بها بل شيئيتها لكل امر بنفس الجعل
المتعلق بالذات بالهوية الوجودية له المتشخصة بنفس ذاته فليس للحق الا
افاضة الوجود ثم العقل الصرف بضرب من التحليل والاعتبار يعقل من كل
مرتبة من الوجود نعوتا خاصة لا تنفك عنه بحسب الخارج والتحليل بينهما وبينه
جعل كما مر فموجودية المهيات المتخالفة المعاني المتباينة الحقائق باصباغها
بنور الوجود حين تقررها منه واستنارتها به وموجودية الوجودات بصدورها
عن الجاعل التام كوقوع الاشعة والاضواء من النير بذاته على الهياكل و
القوابل بل بتطورها بل الاطوار الوجودية المنسوبة الى المهيات بنحو
الانصباغ والاتصاف والاستظلال والى القيوم الجاعل على سبيل القيام به
والتجلي منه والفيض والرشح والنزول والتشعشع والالتماع الى غير ذلك
من العبارات التي يمكن التعبير بها عما يتقدس عن الاشباه وغناه

عما سواه

عما سواه فامكان المهيات الخارجة عن مفهوم الوجود لامكان وجودها وعدمها
بالقياس الى ذاتها من حيث هي هي وامكان الوجودات كونها بذواتها
روابط ومرتبطات وبحقايقها تعلقات ومتعلقات لمعنى ان ذواتها
ذوات تعلقية وحقايقها حقايق لمعانية لا استقلال لها ذاتا ووجودا بخلاف
المهيات الكلية والاعيان الثابتة العقلية فانها وان لم يكن لها ثبوت
قبل الوجود كما يراه قوم من المتكلمين الا انها اعيان متصورة يمكنها
مادام وجوداتها ولو في العقل بانها ما لم تتنور بنور الوجود لا يمكن الاشارة
العقلية اليها بانها ليست موجودة ولا معدومة في وقت من الاوقات
بل هي باقية على احتجابها الذاتي وبطونها الاصلي ازلا وابدا وليست حقايقها
حقايق تعلقية ليحتاج في كونها هي او شيئا من الذاتيات او اللوازم الى امر
فلا تاثير ولا سلطنة للغير في كونها هي ولا في اتصافها بالصفات الخاصة
ومن ههنا يستوضح قول المحققين من اهل الله والعرفان من اولي الكشف
والمعرفة ان المهيات المعتبرة عندهم بالاعيان الثابتة لم تظهر ذواتها

ولا يظهر ابدا وانما يظهر احكامها واوصافها ولا شمت ولا تشم رائحة الوجود
اصلا وموجوديتها بانتسابها الى الوجود من غير قيام وعروض كاتصاف
موجود بموجود اذ لا وجود لها بالذات ولا ظهور لها بالحقيقة بل انما الظهور
للوجود لان الوجود نور يظهر به الماهيات المظلمة الذوات على البصائر
والعقول كما يظهر بالنور المحسوس الاشجار والاحجار وسائر الاشباح
الكثيفة المظلمة الذوات المحجوبة الاعيان لولا ذواتها عن شهود الابصار
والاعين ثم انه كما ان لكل وجود خاص بحسب ذاته مظهر الماهية خاصة
فالوجود الخاص الواجبي مظهر يظهر به جميع المعاني الكلية والجزئية فهو بحسب ذاته
نور محض يدرك به الاشياء كلها متجلي بذاته لذاته بنعوته الكمالية واسمائه
الحسنى وصفاته العليا فذاته بذاته ظاهر لذاته مظهر لغيره ومنور لسموات
الغيوب والارواح واراضي الاجسام والاشباح بحسب شؤونه وتجلياته
في مراتبه الالهية وله بحسب شؤونه ومراتبه اسماء وصفات حقيقية كانت
او اضافية او سلبية ولكل منها نوع من المظاهر الوجودية والمرائي

التعينية

التعينية ولما كان ذاته بذاته مصداقا لصفات متعددة متكثرة ولا شك
انها معان معقولة في غيب الوجود الحق يعقل منها معان اخرى معقولة
مسماة بالاعيان الثابتة مبدء انتزاعها ومعقوليتها اي تلك الاسماء
يتعين بها شؤون الحق وتجلياته وليست بموجودات عينية ولا تدخل في الوجود
اصلا بل الداخل في الوجود بالذات وجوداتها التي هي اشعة واضواء وتجليات
خارجية للوجود الحق الالهي وعلمه تعالى بتفاصيل تلك الاعيان مندمج في علمه
بوجود ذاته الذي هو عين ذاته لان العلم بذاته متضمن للعلم بكمالات ذاته
المستلزم للعلم بحقايق الاشياء وماهيات كما هي ثم ان المحبة الالهية والجود
الرباني اقتضت ظهور الذات المتشئنة بتلك الشؤونات الثابتة في حضرته
العلمية بلا جعل وتاثير فافادت الموجودات الخاصة التي هي انوار واشعة لظهور
كل منها انما اثر من آثار قدرته فالجعل يتعلق اولا وبالذات بنحو من انحاء
الوجود ثم هو بذاته مصداق لحكم خاص هو ماهيته وعينه الثابتة وبنفسه
مستلزم لنعوت خاصة هي لوازم ماهيته من دون تعلق الجعل المتعلق بالوجود بها

في العلم اولا فالرحمة سابقة على كل شيء ومحيطة بها كما قال رحمتي وسعت
كل شيء فالوجود عين الرحمة الشاملة للجميع وكذا القابلية له ووجود الغضب
ايضا من رحمة الله لانه ايضا من الماهيات القابلة للوجود ولاستلزامه
للمصالح والحكم المترتبة عليه وعلى ما يستتبعه من الآلام والاسقام والبلايا
والبلايا والمحن واشباهها مما لا يلائم الطباع فوسعت الرحمة لها كما وسعت
لغيرها فالخير والرحمة ذاتيان للحق تعالى والشر والغضب ناشئان
من عدم قابلية بعض الاشياء للكمال المطلق والرحمة التامة فصير
شقاوة وشرا واليه الاشارة بقوله تع الخير كله بيديك و
الشر ليس اليك فتبين وتحقق ان الفائض عن الحق الاول
وجود كل ماهية وظهور كل شيء والنقائص والقصورات من لوازم
بعض الماهيات وليست مجعولة وكتب المحققين من العرفاء والحكماء الالهيين
من الحكماء مشحونة بذكر ما حاولنا ترميمه وتقويمه على اتم وجه واوضحه ما قال
الشيخ محي الدين بن عربي نور الله قلبه في الفص الابراهيمي من فصوص

الحكم

الحكم بعد ان تلى هذه الآية وما منا الا له مقام معلوم بهذه
العبارة وهو ما كنت في ثبوتك ظهرت به في وجودك فليس للحق الا
افاضة الوجود عليك والحكم لك عليك فلا تحمد الا نفسك ولا تذم
الا نفسك وما يبقى للحق الا حمد افاضة الوجود لان ذلك له لا لك وقال
قدس سره في الفص اليعقوبي فلا يعود على الممكنات من الحق الا ما يعطيه
ذواتهم في احوالهم فيختلف التجلي لاختلاف الحال فيقع الاثر في العبد
بحسب ما يكون فما اعطاه الخير سواه ولا اعطاه ضد الخير غيره بل هو منعم
ذاته ومعذبها فلا يذمن الا نفسه ولا يحمدن الا نفسه فلله الحجة
البالغة في علمه بهم اذ العلم يتبع المعلوم وقال في الفص اللوطي
ان العلم تابع للمعلوم فمن كان مؤمنا في ثبوت عينه وحال عدمه
ظهر بتلك في حال وجوده قد علم الله ذلك منه انه هكذا يكون ولذلك
قال وهو اعلم بالمهتدين فلما قال مثل هذا قال ايضا
ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد

ولا كونها مجعولة بجعل جديد بل بوجوديتها بعين افاضة الوجود في المنسوب
اليها فالمفاض هو الوجود والمهية متحدة معها من دون تعلق جعل جاعل
بها وغير تاثير فاعل في ايجادها بالوجود الخاص بها وانتزاعها منه وصدقها
عليه فظهر ان الله تعالى يعلم ذاته وصفاته بنفس ذاته ويعلم الاعيان الثابتة
التي هي المهيات بعين ما يعلم ذاته من غير تاثير واقتضاء فيها فلذلك
يستتبع ذاته الفياضية وجودات الاشياء التي هي خيرات المهية وعطاء
سبحانية لامهياتها ولوازمها وكما لا يعلم من ذاته وصفاته الا ما يعطيه
الذات والصفات مما هي عليها بلا اقتضاء ومقتضى وتاثير ومؤثر كذلك
لا يعلم من المهيات والاعيان الا ما يعطيه في نفسها مما هي عليها
وبهذا المعنى قيل ان علمه تعالى تابع للمعلوم وان كان المعلوم تابعا للعلم من
وجه آخر فقد ثبت وتحقق من رايهم الكشفية العرفانية واصولهم الذوقية
المشاهدية بسبب رياضاتهم ومجاهداتهم وارصادهم المبنية عليها ان
الصادر عن الحق الاول والفايض عن علة العلل عقلا كان او نفسا
او طبعا

او طبعا او جسما بسيطا او مركبا ليس الا نحو من انحاء الوجودات وطورا
من اطوار الانيات المعبر عندهم بالصور بالتجليات الالهية وعند الاشراقيين
بالاضواء والاشعة القيومية وعند طائفة اخرى بالكلمات الوجودية
وفاقا لقوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد
البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا
ولا شك ان الوجود خيرات محض لان الوجود من حيث انه وجود لا يكون
شرا والشر انما يلحق بالمهيات لقصورها وعدم بلوغها الكمال اللايق
بها وبعضها يتها الاعدام والقوى والملكات وهذه جملتها معان عدمية
لازمة لبعض المهيات منبعها الامكان الذاتي او الاستعدادي
والمهية قد مر انها غير مجعولة لا بالجعل المركب ولا بالجعل البسيط
فالصادر عن الحق خير والشر غير صادر لانه لا انه صادر عن غيره فالحق
سبحانه برحمته التي معه الواسعة لكل شيء وجودا وعلما رحم الاعيان الثابتة
للوجود ولوازمها واحكامها فاوجدها في العين اخيرا كما اوجدها

ما قدرت عليهم الكفر الذي لشقيهم ثم طلبتهم بالبيس في وسعهم ان
يأتوا به بل ما عاملناهم الا بما علمناهم وما علمناهم الا بما اعطونا من
نفوسهم مما هم عليه فان كان ظلما فهم الظالمون ولذلك قال
ولكن كانوا انفسهم يظلمون وقال ايضا في الفص
الابراهيمي بعد الكلام المنقول آنفا فان قلت فما فائدة قوله تعالى
ولو شاء لهديكم اجمعين قلنا لو حرف امتناع لامتناع
فما شاء الا ما هو الامر عليه ولكن عين الممكن قابل للشيء ونقيضه في
حكم دليل العقل واي الحكمين المعقولين وقع ذلك هو الذي عليه الممكن
في حال ثبوته فمشيته احدية التعلق وهي نسبة تابعة للعلم والعلم نسبة
تابعة للمعلوم والمعلوم انت واحوالك فليس للعالم اثر في المعلوم بل
للمعلوم اثر في العالم فيعطيه من نفسه ما هو عليه في عينه وقال شارح
كلامه العلامة القيصري في شرح هذا الكلام انما اورد السؤال لينبه على
سر القدر في الجواب والسؤال انه لما كان الحاكم علينا اعياننا وليس
للحق

الكليين

للحق الا افاضة الوجود على حسب مقتضى الاعيان فما فائدة قوله تعالى ولو شاء
لهديكم اجمعين وجوابه ان لو حرف امتناع الشيء لامتناع غيره
ولما كانت الاعيان متفاوتة الاستعداد بعضها قابلة للهداية
وبعضها غير قابلة لها امتنع حصول الهداية للجميع فمعنى قوله تعالى و
لو شاء لهديكم اجمعين انه لم يشاء لامتناع حصول الهداية
للجميع فما تعلقت المشية الا بما الامر عليه فعدم المشية معلل لعدم اعطاء
اعيانهم هداية الجميع وذلك لان المشية والارادة نسبتان تابعتان
للعلم اذ المشية تطلب المشاء والارادة المراد وهما لا بد وان يكونا
معلومين والعلم في حضرة الاسماء والصفات من وجه تابع للمعلوم
من حيث كونه نسبة طالبة للمنتسبين كما مر تقريره وتحقيقه وما يوجد
الحق الا بحسب استعداد القوابل لا غير فما يقع في الوجود الا ما اعطته
الاعيان والعين ما يعطي الا مقتضى ذاتها ولا يقتضي الذات شيئا
ونقيضه وان كان العقل يحكم على ان الممكن قابل للشيء ونقيضه

وان كان العقل يحكم على ان الممكن قابل للشئ ونقيضه لاتصافه بالامكان
المقتضى لتساوى الطرفين طرفي الوجود والعدم لكن الواقف على اسرار
القدر يعلم ان الواقع هو الذي يقتضيه ذات الشئ فقط والاعيان ليست
مجعولة بجعل ابا على لتوجه الايراد بان يقال لم جعل عين المهتدي
مقتضية للاهتداء وعين الضال مقتضية للضلال كما لا يتوجه
الايراد بان يقال لم جعل عين الكلب نجس العين وعين الانسان
انسانا ظاهرا بل الاعيان صور الاسماء الالهية ومظاهر لها في
العلم بل عين الصفات والاسماء القائمة بالذات القديمة بل هي
عين الذات من حيث الحقيقة فهي باقية ازلا وابدا لا تعلق
الجعل والايجاد عليها كما لا يتطرق للفناء والعدم اليها وهذا غاية
المخلص عن هذه المضايق والله اعلم باسرار الحقايق انتهى قوله
اقول لا يخفى وثاقة هذا المسلك ودقته ومتانته وان كان فيه
بحسب طلب النظر ما يخالف ظاهر القوانين النظرية من الحكمة

الفلسفية

الفلسفية لكنه بحسب النظر الدقيق روحه الظاهر من انوار الشريعة
النبوية العالم بمراتب الوجود ولوازمها على ما هي عليه ولا يرد عليه
ما يرد على القول بثبوت المعدومات كما يراه المعتزلة فان
انفكاك المهيات عن انحاء الوجودات باسرها مما يصادم العقل
الصريح والبرهان الصحيح وقد اسلفنا لك ان الوجود نور يظهر به
المهيات على ما هي عليها على النحو الذي قيدناه من كونها متصفة بالثبوت
بالعرض لا بالذات وكما ان لكل من الوجودات الخاصة والهويات
الجزئية معاني انتزاعية ومفهومات عقلية ينتزع منه بحسب ذاته
ويحكم بها عليه في مرتبة هويته بدون جعل وتاثير فكذلك الوجود
الصرف الالهي مبدء للنعوت الالهية ومظهر للقوى الجلالية التي هي
المسماة بالاسماء والصفات وهي مظاهر لمعان افرزت مسماة بالاعيان
الثابتة وليس بناء هذا الكلام على ثبوت المعدومات وانفكاك
الشيئية عن الوجود او على الفرق بين الثبوت والوجود كما زعمه

المعتزلة بل بناؤه على الفرق بين ما يكون بالذات وما يكون بالعرض فان
الذات الواجبة الاحدية له صفات متعددة متميزة في المعنى والمفهوم لا في
الوجود لانها عين ذاته بمعنى كون وجود واحد متقدس عن شائبة الكثرة
والتفصيل والقسمة والتحليل بذاته مظهر تلك الصفات وبهويته تعينت،
لما هو قادر بنفس ذاته وعالم بعلم هو نفس ذاته المنكشفة ومريد بارادة
هي عين ذاته ولكل صفة من صفاته الاصلية التي هي الائمة السبعة في عرف
اهل الله فروع وسعا ليك لكونه حكيما عفوا غفورا خالقا رازقا مبدئا
معيدا منشئا وامثالها فانها من فروع كونه قادرا على جميع الممكنات
ومثل كونه سميعا بصيرا مدركا خبيرا لطيفا وغيرها مما يتشعب من كونه عالما
بجميع المعلومات الى غير ذلك من الاسماء والصفات الغير المتناهية الحاصلة
من تراكيب هذه الاسماء ثنائيا وثلاثيا وكل من هذه الاسماء يستدعي
مظاهر متباينة بها يظهر اثر ذلك الاسم والصفة فيوجب كل صفة بتعلق
ارادته وقدرته الى ايجاد مخلوق يدل على ذلك الاسم بل على الذات

الموصوفة

الموصوفة بالصفة المعينة والمتجلية بالتجلي الخاص لانها المراد عندهم بالاسم
وهذه الالفاظ الملفوظة هي اسماء الاسماء ولهذا اختلفوا في كون
الاسم عين المسمى او غيره فكل من الموجودات مظهر لاسم خاص الهي
فلذلك اقتضت رحمة الباري ايجاد المخلوقات كلها ليكون مظاهر للاسماء
الحسنى ومجالي لصفاته العليا مثلا لما كان قهارا اوجد المظاهر القهارية
التي لا يترتب عليها الا اثر القهر من الجحيم وساكنيه والزقوم ومتناوليه
ولما كان عفوا غفورا اوجد مجالي العفو والغفران يظهر فيها آثار رحمته
وقس على هذا واعتبره من نفسك فاعرف ان كلما يصدر عنك من الاقوال
والافعال والحركات والسكنات والافكار والتخيلات هي مظاهر لما كمن
في ذاتك ومجالي لما خفي من صفاتك واسمائك فانك اذا احببت واحدا
وواليته وغلبتك المحبة الى ان يظهر منك ما يدل على محبتك اياه من المدح
والتعظيم والبسط والتكريم ولو لم يكن احببته لما ظهر منك ما ظهر واذا
عاديت احدا ظهر منك قول او فعل دال على معاداتك من الشتم والضرب

والذم وتمنى زواله وتشتهى نقائه فهذه الاثار بمظاهر وتجالى المظاهر
في ذاتك من العداوة وقس على ذلك امثاله وهذه الاسماء والصفات
وان كانت متحدة مع الوجه القيومى والذات الواجبية بحسب الوجود
والانية فهي متغايرة بحسب المفهوم والذهنية وهذا التغاير بسبب تضاد
الموجودات وتعاند المكونات ولها خصوصية مع مظاهرها بها ظهرت بين
تلك المظاهر من العدم الصرف والبطون المحقق هذا ما ذكره بعض المحققين
وجعله مناطا للكيفية علمه تعالى بالممكنات وهو بعينه مذهب العرفاء والصوفية
في علم الله من انه اذا علم الله ذاته المقدسة بهذه الصفات والاسماء
المتحدة معه في الوجود والهوية علم مظاهر تلك الصفات علما بسيطا بحسب
الخارج مفصلا بحسب الاعيان من غير ان يقتضي هذا العلم وجود المعلوم
وتحققه في الخارج وفوق هذا طور اخر مذكور في صحفنا ومسفوراتنا وعندنا
في هذا المقام دفع مفسدة الشرور الواقعة والافات ونفي استنادها
الى خالق الهويات وجاعل الانيات لكونها لوازم للمهيات من دون

تعلق

تعلق تاثير وجعل بها علما فرغ سمعك بفضل الله ورحمته وتاييده والتسديد
الفصل اى سرّ في كيفية الافعال الواقعة منا بالاختيار وكون الانسان
مضطرا في عين الاختيار لما تحقق من قبل ان كلما يوجد في هذا الافعال
من الافعال والاثار فقد قدر هيئته وزمانه في عالم اخر فوق هذا العالم
قبل وجوده وان مبدء الكل لو لم يكن قادرا على جميع الممكنات او خرج
شيء من الاشياء عن مصلحته وعلمه وقدرته وايجاده بواسطة او بغير
واسطة لم يصلح لمبدئية الكل فلقائل ان يقول الهداية والضلالة
والايمان والكفر والطغيان والخير والشر والنفع والضر وسائر المتقابلات
كلها منتهية الى قدرته وتاثيره وعلمه وارادته فما معنى الاختيار فينا
للافعال والاثار بل يجب ان يكون جميعها حاصلة منا بالاضطرار مع
انا نجد الفرق بين المضطر والمختار على انه لو كان للعبد اختيار لزم
التناقض لاتصاف العبد بالجبر والاختيار في فعل واحد لان اقتداره
في فعله يوجب الاختيار وكون الواجب تعالى فاعلا مطلقا في كل شيء

١٠٢ بالارادة يوجب الجبر ولهذا زعم فخر الرازي ان اثبات الآله يلجئ الى القول
بالجبر لان الفاعلية لو لم يتوقف على الداعية لزم وقوع الممكن من غير
مرجح وهو نفي الصانع واثبات الرسول يؤدي الى القول بالقدرة لانه
لو لم يقدر العبد على الفعل فاي فائدة في بعث الرسل وانزال الكتب
وايضا نقول لما راجعنا الى الفطرة السليمة وجدنا ان ما استوى الوجود
والعدم بالنسبة اليه لا يترجح احدهما على الآخر الا لمرجح وهذا يقتضي الجبر
والاضطرار ونجد تفرقة ضرورية بين حركات الانسان وسكناته وبين
حركات الجمادات وتنزيهه تعالى وتقديسه عن النقايص وايجاد القبايح
والظلم والكذب يوجب الاختيار في العبد ونفي التشريك عنه في ايجاد
الاشياء يوجب الجبر فيجنبه عن ذلك كله بعد تمهيد معنى القدرة و
الارادة فنقول اما القدرة فهي فينا حالة نفسانية مصححة للفعل وعدمه
قوة على الشيء وضده وتعلقها بالطرفين على السواء واما اذا ترجع تحقق
العلم بالفائدة والارادة فلا يكون فينا تامة بل القدرة فينا هي

بعينها

المعنى بعينها القوة وفي الواجب تعالى لتمامه وكماله هي الفعل فقط لا جهة
امكانية هناك وليست ايضا قدرته مندرجة تحت احدى بحيث يصدر
عنه الموجودات لاجل علمه بنظام الخير في الكل الذي هو عين ذاته
ومتى كان الفاعل بحيث يتعلق فعله بمشيته وعلمه كان قادرا من غير ان
يعتبر معه شيء آخر من تجدد اغراض واختلاف دواع او تفنن ارادات
او تنوع حالات الى غير ذلك مما لا يليق بجناب القدس وساحة الجبروت
والجمهور من الناس لغفلتهم عن لزوم النقص من هذه المعاني يزعمون ان
القدرة لا يتحقق الا مع تغير المشية وتجدد الارادة واما ما شانه ان يفعل
دايما فلا يسمونه قادرا والحق ان الذي يفعل دايما ان كان فعله يصدر عنه
بغير مشية ورضاه فليست له قدرة على ذلك وان كان يفعل بمشية
الا ان مشيته لا يتغير اتفاقا او يستحيل تغيرها استحالة ذاتية فهو يفعل
بالقدرة والتغير في المشية لا مدخل له في معنى القدرة فالقادر من اذا
شاء فعل وان لم يشاء لم يفعل سواء شاء ففعل دايما او لم يشاء

او لم يشأ فلم يفعل دائما والشرطية غير متعلقة الصحة لصدق كل من طرفيها
بل كثيرا ما تصدق مع كذب احد طرفيها او كليهما وانما الارادة فهي فينا
شوق متأكد وعزم مصمم باعث على الفعل والترك حاصل عقيب داع
هو تصور الشيء الملائم تصورا ظنيا او تخيليا او علميا فانا اذا ادركنا شيئا
فان وجدنا ملائمته او منافرته لنا دفعة بالوهم او بديهة العقل انبعث
شوق الى جذبه او دفعه وتأكد هذا الشوق بعينه هو العزم الجازم المسمى
بالارادة واذا انضمت الى القدرة التي هي هيئة للقوة الفاعلة انبعثت
تلك القوة لتحريك الاعضاء والادوية من العضلات وغيرها فيحصل الفعل
والارادة في الواجب لبراءته عن الكثرة والنقص ولتمامه وكونه فوق
التمام ليست كذلك بل يكون عين الداعي وهو علمه بنظام الخير المقتضي لذاته
هو الفاعل والغاية في صدور الاشياء فاذا تمهد ما ذكرناه فلنشرع
في الجواب والله الهادي الى طريق الصواب اما قول القائل ان افعالنا
اذا كانت بقضاء الله تعالى وقدره فيجب صدوره منا فنقول نعم

ولكن

بتوسط اسباب وعلل من الادراكات والارادات الانسانية والحركات
والسكنات الحيوانية وغيرها من الاسباب العالية الغائبة علمنا وتدبيرنا
الخارجة عن قدرتنا وتأثيرنا فاجتماع تلك الامور التي هي الاسباب والروابط
مع ارتفاع الموانع جملة علة تامة يجب عندها وجود ذلك الامر المدبر
والمقتضى المقدر وعند تخلف شيء منها او حصول مانع تقرر وجهه في حيز
الامتناع ويكون ممكنا وقوعيا بالقياس الى كل واحد من الاسباب
الكونية فاذا كان من جملة الاسباب وخصوصا القريبة منها وجود هذا
الشخص الانساني والحيواني وادراكه وعلمه وارادته وتفكره وتخيله
اللذان يختار بها احد طرفي الفعل والترك كان ذلك الفعل اختياريا
واجبا وقوعه بجميع تلك الامور والاحوال المسماة علة تامة ممكنا بالنسبة
الى كل واحد منها فوجوبه لا ينافي امكانه واضطراريته لا ينافي كونه اختياريا
كيف وانه ما وجب الا بالاختيار ولا شك ان القدرة والاختيار كسائر
الاسباب من الادراك العلم والارادة والتفكر والتخيل وقوتنا والاتها

كلها بفعل الله تعالى لا بفعلنا واختيارنا والا لتسلسلت القدرة والارادات
غير نهاية او دارت فان قلت ما ذكرته من وجوب تحقق الحوادث
بالاسباب السابقة والوسائط التي هي مسخرات لامر الله تعالى كله صحيح الا
في افاعيل الانسان وحركاته فانه يتحرك ان شاء ويسكن ان شاء
فكل منهما يصح ويصح مقابله ايضا فكيف يكون الانسان مسخرا في صدور فعله
عنه واجبا وقوعه منه قلت ان الانسان وان كان بحيث ان شاء
فعل وان لم يشأ لم يفعل لكنه ليس بحيث ان شاء شاء وان لم يشأ
لم يشأ بل اذا شاء فلم يتعلق مشيته بمشيته بل لغير مشيته فليست المشية
اليه اذ لو كانت اليه لاحتاج الى مشية اخرى وتسلسل الامر الى غير النهاية
ومع قطع النظر عن استحالة التسلسل نقول جملة مشياته الغير المتناهية
بحيث لا يشذ عنها مشية لا تخلو اما ان يكون وقوعها بسبب امر خارج
عن مشية هذا العبد او بسبب مشيته والثاني باطل لعدم امكان مشية
اخرى خارجة عن تلك الجملة والاول هو مطلوبنا فقد ظهر ان مشية

العبد

العبد ليس تحت قدرة العبد فاذا كان في مشيته مضطرا واذا وجدت
المشية التي تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة
ولم يكن لها سبيل الى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة
محركة ضرورة عند انجزام المشية ترتب بعضها على بعض وليس للعبد ان يدفع
وجود شيء منها عند تحقق سابقه فليس يمكن له ان يدفع المشية عند تحقق
الداعي للفعل والانصراف القدرة الى المقدور بعدها فهو مضطر في
الجميع فان قلت هذا جبر محض ذهبت اليه الاشاعرة وانت تنكره
وتثبت الاختيار فكيف يكون مجبورا مختارا قلت لو انكشف الغطاء
لعرفت انه في عين الاختيار مجبور فاذن مجبور على الاختيار فان قلت
هل تقول ان العلم بالداعي للمقصود وهو التصور وجه مجبر بوجه موجد للفعل
الارادة موجدة للقدرة والقدرة موجدة للفعل وان كان متاخرا فكل
حادث من المتقدم كما يقوله القائلون بالتوليد فان ذهبت الى ذلك
يلزم منه ان يحدث بعض الاشياء لا بقدرة الله تعالى وان ابيته

فما معنى ترتب بعض من هذه الامور على بعض قلت ان القول بان بعض
الاشياء حدث من دون القدرة الازلية جهل محض سواء عبر بالتوليد
او بغيره بل حواله جميع ذلك على المعنى الذى يعبر عنه بقضاء الله
وقدره لا بالمعنى الذى يقوله الاشعرى للاطلاع لهم بمعنى الترتيب والتوقف
فى الاشياء وتقدم بعض الاشياء على بعض واحتياج بعضها الى آخر
بالمعنى الذى ذكرناه وهو الاصل الذى لم يقف وهو الاصل الذى لم يقف
عليه كافة الخلق ولم يهتد اليه الا الراسخون فانهم لشدة صفاء اذهانهم
ولطف عقولهم وقفوا على لب معناه والجمهور اطلعوا على مجرد لفظه
متشابهته ولشبهته لعين الى قدرتنا وهو بعيد عما هو الصواب عند اولى
الالباب وبيان ذلك مما يطول شرحه لانى لكن القدر اللائق بهذا
الكتاب ان بعض المقدورات مترتبة على البعض فى الحدوث ترتب
المشروط على الشرط فلا يصدر من القدرة الازلية والقضاء الالهى
ارادة حادثة الا بعد علم ولا علم الا بعد حيوة ولا حيوة الا بعد محل

الحيوة

الحيوة وكما لا يجوز ان يقال حصل الحيوة من الجسم الذى هو شرط الحيوة فكذلك
فى ساير مراتب التدريج ودرجات التوقف ولكن بعض الشروط مما
قد ظهر للعامة وبعضها لم يظهر الا للخواص المكاشفين بنور الحق
والا فلا يتقدم متقدم ولا يتاخر متاخر الا بالحق واللزوم فكذلك جميع
افعال الله ولولا ذلك بل يكون جميع الحوادث مستندة الى الله
بلا احتياج بعضها الى بعض وتوقف بعضها على بعض كما يقوله الاشاعرة
لكان التقدم والتاخير عبثا لانها من فعل المجانين والسفهاء وتعالى
عن قول الجاهلين علوا كبيرا والى هذا اشار قوله تعالى وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما لاعبين بل لا يسبق
سابق الا بالحق ولا يلحق لاحق الا بحق كما فى قوله تعالى ما خلقناهما
الا بالحق فكلما فى عالم الامكان حادث على ترتيب واجب
وحق واجب لا يتصور ان لا يكون كما يكون وعلى الوجه الذى
يكون فما تاخر متاخر الا لانتظار شرطه ووقوع المشروط قبل وقوع

الشروط ممتنع والمحال لا يوصف لكونه مقدورا فلا يتخلف الفعل عن
النظر الا لفقد شرط النظر وهي الحيوة والالة والارادة وكل
ذلك على منهاج الواجب وترتيب الواجب ليس لشيء من ذلك
لسبب واتفاق بل كل بحكمة وتدبير وتفهيم ذلك على العوام و
مما لهم عسير فان من نظر الى الاسباب القريبة للفعل وراها
مستقلة قال بالقدر والتفويض اي كون فاعلين واقعة تقديراتنا
فقدرنا بتقديرنا مفوضة الينا واليه اشار عم بقوله القدرية
مجوس هذه الامة لانها اثبتت مبدأين قادرين مستقلين كالمجوس القائلين
بمبدأين احدهما مبدأ الخير وهو يزدان والثاني مبدأ الشر وهو اهرمن
كما قيل چنانكه گبر يزدان واهرمن گفت مراين نادان ابله ياوه گفت
ومن نظر الى السبب الاول وقطع النظر عن الاسباب القريبة مطلقا قال بالجبر
وخلق الافعال ولم يفرق بين افعال الانسان وافعال الجمادات وكلاهما
اعور كالدجال لا يبصر باحدى عينيه اما القدرية فبالعين اليمنى النظر

الاقوى

الاقوى الذي به يدرك الحقايق والاسباب القصوى للاشياء واما الجبرية
فباليسرى اي الاضعف الذي يدرك الظواهر والاسباب القريبة واما
من نظر حق النظر فقلبه ذو عينين يبصر الحق باليمنى فيضيف الافعال خيرها
وشرها اليه ويبصر الخلق باليسرى فيثبت تاثيرهم في الافعال به سبحانه لا
بالاستقلال ويتحقق معنى قول الصادق عم لا جبر ولا تفويض بل امر بين
الامرين فمن ذهب به وذلك هو الفوز الكبير فقد تحقق وتبين ان كلما
يصدر عنا من الحركات والسكنات والحسنات والسيئات محفوظة
مكنونة في عالم آخر قبل وجودنا واردة علينا من خارج واجب صدورها
عنا مع كونها بارادتنا واختيارنا كما قال تعالى وكل شيء فعلوه
في الزبر وكل صغير وكبير مستطر ولما سئل عن الرسول صم
انحن في امر فرغ منه او امر مستانف قال في امر مفروغ منه وفي امر
مستانف ومن الحكايات في هذا الباب ان الفضل بن سهل سأل
على بن موسى عم بين يدي المأمون فقال يا ابا الحسن الخلق مجبورون

١١٧ فقال الله تعالى اعدل ممن يجبر خلقه ثم يعذبهم قال فمطلقون قال الله
احكم من ان يهمل عبده ويكله الى نفسه والشواهد في هذا الباب من
الكتاب والسنة كثيرة ولاجل هذا التطبيق بين الجبر والتفويض والتسخير
والجواز والامكان والوجوب التوافق بين الامرين لنسب الله تعالى
الافعال في القران مرة الى الملائكة ومرة الى العباد ومرة الى نفسه فقال
تعالى في الموت قل يتوفيكم ملك الموت الذي وكل
بكم وقال الله تعالى يتوفى الانفس حين موتها وقال في
نفخ الروح فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا
سويا ثم قال فنفخنا فيها من روحنا وقال الصادق ع
النافخ جبرئيل وقال تعالى في القتل قاتلوهم يعذبهم الله
بايديكم فاضاف القتل الى العباد والتعذيب الى نفسه والتعذيب
عين القتل ههنا وقال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم
قال في الرمي وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى
وهو جمع

وهو جمع بين النفي والاثبات ظاهرا ولكن المعنى وما رميت بالمعنى الذي
يكون العبد راميا اذ هما معنيان مختلفان وكذلك ذكر الله الادلة
والآيات في الارض والسموات ثم قال اولم يكف بربك
انه على كل شيء شهيد وقال شهد الله انه
لا اله الا هو فبين انه الدليل على نفسه وذلك ليس بتناقض
لان طرق الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف ذاته تعالى
بالنظر الى الموجودات وكم من طالب عرف ذاته وعرف بالنظر اليه
كل الموجودات كما في طريقة الصديقين الذين ينظرون به الى الاشياء
لا بالاشياء اليه وقال بعض العرفاء عرفت ربي بربي ولولا ربي
ما عرفت ربي فكل من اصناف الخلق الى الله مع المحافظة على وحدة
ذاته مع كثرة اثاره وافعاله فهو المحقق الداعي عرف الحق والحقيقة لا جهله
ولما جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الاعراف قصدا او اتفاقا صدقه
رسول الله فقدلمه قال اصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد الا كل

شيء ما خلا الله باطل اي كل شيء ما لا قوام له بنفسه وانما قوامه بغيره 108
فهو باعتبار نفسه باطل وانما حقيقته وحقيته بغيره فاذا لا حق
بالحقيقة الا القيوم الحق الذي ليس كمثله شيء فانه قايم بذاته وكل ما سواه قايم
بقدرته فهو الحق وما سواه باطل اما فايدة الرسل وانزال الكتب فمع غاية
السطوع فانی والانارة لعبد المى فطه علي كيفية عناية الله تعالى بالخلق و
انه لا لمية لفعله سوى ذاته تعالى باعتبار علمه بالاصلح الذي هو عين ذاته
ترتب الخيرات والمنافع والمصالح عليه لانا نقول ثمره بعثة الرسل و
غاية انزال الكتب هداية الخلق وسلوكهم الى طريق الحق الحق وتبعيدهم
عن الغي والضلال والعمى والحرمان والكفر والطغيان كما ان الحكمة في خلق
الشمس مع كونها فايضة من محض الجود والكرم انارة ظاهر الارض و
انبعاث الحرارة الغريزية في الكاينات الموجبة للنشو والحيوة غاية
ما في الباب ان يقال اذا علم الله تعالى ان الكافر لا يومن فلم يامره بالايمان
ويبعث اليه النبي المنذر بالبيان فيجاب بان الغاية الذاتية في
بعث

بعث الانبياء وانزال الكتب من السماء بالحقيقة ترجع الى المؤمنين الذين
جعل الله بعثها وانزالها سببا ووسيلة لاهتدائهم انما انت منذر
من يخشيها كما ان فايدة الضوء الشمس تعود الى اصحاب العيون الصحاح
واما فايدة ذلك بالنسبة الى المختوم على قلوبهم فكفايدة نور الشمس بالنسبة
الى الاكمه بل الى الاخفش قال اما الذين في قلوبهم مرض
فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون
غاية ذلك الزام الحجة واقامة البينة عليهم ظاهرا لئلا يكون للناس على
الله حجة بعد الرسل ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله
لقالوا لولا ارسلت الينا رسولا فيكون ذلك نعيا عليهم
بانهم في اصل الخلقة ناقصون اشقياء واما حديث التفرقة الضرورية
بين الحركات الارادية الاختيارية والحركات الاضطرارية كالرعشة
فنقول لا ريب ان للانسان ارادات والقوى مستندة الى الله
فكانه لا اختيار استقلاليا والتفرقة المذكورة هي ان في الرعشة

نقصت واسطة هي الداعية الداخلة في سلسلة اسباب فاعل المختارين
وفي الحركة الاختيارية زادت واسطة واما حكاية التنزيه عن الظلم و
القبايح فنقول قد اشرنا في الفصل الماضي الى ان الله تعالى صفات واسماء
متقابلة ولها مظاهر في غيب غيوبه هي المسمات بالاعيان الثابتة و
المهيات وهي غير مجعولة والمجعول وجودها في الخارج وظهورها في الاعيان
فالفايض عن الحق وجود الاشياء وفعليتها وظهور المهيات واستنارتها و
والله نور السموات والارض وقيامها ومن الواجب ان يكون من صفات
الملك وخصوصا ملك الملكوت صفتا لطف وقهر لانهما من اوصاف
الكمال ونعوت الجمال ولا بد لكل من الوصفين من مظهر كما هو فالملائكة
ومن ضاهاهم من الاخيار واهل الجنة مظاهر اللطف والشياطين ومن
والاهم من الاشرار واهل النار مظاهر القهر وههنا يظهر حقيقة
السعادة والشقاوة فمنهم شقي وسعيد الآية واذا تأملت فيما ذكرنا ظهر
ان لا وجه بعد ذلك لاسناد الظلم والقبايح الى الله تعالى لان هذا

الترتيب

الترتيب والتميز من لوازم الوجود والايجاد والنقايص والقصور
والآفات والمهيات كما يشهد به العقل ولاسيما عند القايل بالحسن
والقبح العقليين قال بعض المحققين ليت شعري لم لا ينسب الظلم
الى الملك المجازي حيث يجعل بعضا من تحت تصرفه وزيرا وقريبا وبعضهم
كناسا بعيدا لان كلا منهما من ضرورات مملكته وينسب الظلم الى المالك الحقيقي تعالى
وتخصيص كل من عبيده باختصاص به مع ان كلا منهما ضروري في مقامه
فهذا القايل يهدم بناء حكمته ويدعي انه يحفظه فافسد حيث اصلح فقد ثبت
وتبين ان وقوع فريق في طريق اللطف ووقوع فريق في طريق القهر
من ضروريات الوجود والايجاد ومن مقتضيات الحكمة والعدالة فكان ان
حسنا ومن توهم انه قبيح كان لخلل في عقله وقصور في فهمه فلا قبيح
الا هو وهو حسن من جهات اخر لا يعلمها الا منشئها وموجدها واما العذاب
الذي هو البعد من رحمة الله تعالى فهو لازم للكفر والمعصية ولا ينفك الملزوم
عن اللازم **الفصل السادس** في فايدة الطاعات وتاثير الدعاء

في انجاح المهمات اعلم ان بعض الناس ظن ان الطاعات والدعوات
امور خالية عن الفائدة لان ما يفعل لاجله الطاعة ويدعى فيه ان كان
قد ثبت في القضاء السابق فانه كائن لا محالة دعى او لم يدع فعل لاجله
الطاعة والعبادة او لم يفعل وهذا ظن جاهل باحث لا يعرف الحقائق
من مواضعها فان الدعاء مما يقاوم القضاء لا من حيث انه فعل العبد
فانه من هذه الحيثية مما تحكم فيه القضاء لانه لو لم يقض عليه ان يدعو
بل من حيث ان البارى تعالى جعل الدعاء من جملة اسباب ذلك الشيء
المدعو على حسب قدر وقضى لرابطة وموافاة بين الدعاء والامر المدعو
كما جعل في القضاء الالهي شرب الدواء سببا لحصول الصحة في هذا المريض
فالدعاء وحدوث الامر المدعو لاجله كلاهما ينبعثان من القضاء
فلا يتوهم ان العالم الالهي ينفعل عن دعاء ويتاثر من ضراعتنا كيف
والعلة لا تتاثر من المعلول والمعلول لا يفعل في العلة البتة بل العبد
ما دعا بنفسه ولكن بامر الله عز وجل امرا ذاتيا عقليا وحكما قوليا

سمعيا

سمعيا اما الاول فلان ستنا وجميع الاشياء التي من جملتها دعاء الشخص الداعي
وما يدعو لاجله وروابطها في ذواتها ووجوداتها اليه تعالى فكما ان الاشياء
الداخلة في وجود الانسان كالعلم والقدرة والارادة من جملة اسباب الفعل
فاحدس ان الامور الخارجة ايضا كذلك فالدعوات مما جعله الله تعالى دواعي
الى الخيرات ومهيجات الى الاشتياق وكذلك السعي والجد والتدبير والحذر
اذا قدرت مهيئة لمطالبنا موصلة ايانا الى مقاصدنا فمخرجة لكمالاتنا
من القوة الى الفعل وجعلت اسبابا لما يصل الينا من ارزاقنا وما قدر
لنا من معايشنا ومعايدنا ما لم يحصل لنا ذلك الا بها واما الثاني فحيث
ان الله عز وجل علمنا وامرنا به وحثنا عليه في قوله ادعوني استجب
لكم فالدعاء والمستجاب كلاهما من امر الله تعالى ولسان العبد ترجمان
الدعاء وكل من فعل شيئا بامر احد فيده يد الامر كما ان الملك بعض اذا امر
خدامه ليضرب ابنه فان يد الخادم في الضرب يد الملك ولو كان اليد
يده لم يستطع ان يمدها الى ابن الملك ويغيب دون ذلك يده وهذا

يظهر لك فساد ظن من قال من الحشوية والظاهرية ان الامر المقصود بالدعاء
ان كان من مصالح العبد فالجواد لا يبخل به وان لم يكن من مصالحه لم يجز
طلبه ولان اجل مقامات الصديقين الرضا بالقضاء واهمال حظوظ
النفس والاشتغال بالدعاء ينافي ذلك وهم وازاحة وربما
توهم ان الدعاء شبيه بالامر والنهي وذلك خارج عن الادب ويؤيد
هذا الوهم ما قاله الشبلي ره انبساط القول مع الحق ترك الادب وذلك
فاسد كيف وقد امر الله تعالى عباده بالدعاء وقد ورد من لم يسئل
الله يغضب عليه وسئل الباقر ع اي العباد افضل فقال
ما من شيء افضل عند الله عز وجل من ان يسئل ويطلب
ما عنده وقال الصادق ع من لم يسئل الله عز وجل من فضله افتقر
واما ما قاله الشبلي ره فهو مختص ببعض الاحوال والاشخاص دون البعض
كما امسك موسى ع عن الانبساط في طلب المآرب والحاجات الدنيوية
حتى رفعه الحق مقاما في القرب واذن له في الانبساط وقال اطلب مني

ولو ملحا

ولو ملحا لعجينك فلما انبسط انبسط وقال رب اني لما انزلت الي
من خير فقير قال ذو النون المصري ادب العارف فوق كل ادب لان
معروفه مؤدب قلبه ولا يخفى ان الدعاء من اعظم مقامات العبودية
وانه من شعار الصالحين وادب الانبياء والمرسلين والقرآن ناطق
بصحته عن الصديقين والاحاديث مشحونة بالادعية المأثورة عن الرسول
واهل بيته الطاهرين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين بحيث
لا مساغ للانكار ولا مجال للعناد وان شئت فانظر الى الصحيفة الملكوتية
المنسوبة الى سيد العابدين علي بن الحسين عليهما السلام ونقل عن الامام
الهمام جعفر الصادق ع انه قال عجبت لمن يبتلى بالغم فكيف يذهب عليه
ان لا يقول لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين والله
تعالى يقول عقيبه فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين قال
من فوائد الدعاء اظهار شعار الذل والانكسار والاقرار بسمة العجز و
الافتقار وتصحيح نسبة العبودية والانغماس في غمرات النقصان الامكاني

والاملاس عن ذروة الترفع والاستغناء الى حضيض الاستكانة والحاجة
والفاقة قال المعلم الاول ارسطاطاليس في آداب كان يعلمها اسكندر
السعيد من الناس من العقل او فرطباعه والعلم افضل ذخائره والاغنية
الا القناعة ولا توجب له الزيادة الا الشكر ولا يدفع له المكاره الا
الدعاء تنبيه الدعوات والطاعات اما ان يكون موجبات
واسبابا وعللا للمقاصد والسعادات وهو الظاهر فان النفس الانسانية
اذا توجهت الى باريها انصرفت عن البدن الذي هو حجابها عن عالم
القدس فاض عليها من الخيرات ما يناسبها وربما بلغت نفس من فرط
الذكاء والطهارة عن شواغل البدن ولذاتها الحسية الى حيث تفيض
عليه من المبدء الاعلى قوة وكرامة تصير بها مؤثرة في عالم العناصر
فتبرئ المرضى وتمرض الاشرار وتقلب عنصرا الى عنصر وتحرك اجبالا
يعجز عن تحريكها بنو النوع كقلع باب خيبر وذلك لان الاجسام
موضوعة لتاثيرات النفوس وما من نفس الا ولها تاثير في جسم ما

اما رايت

اما رايت ان تخيلك المشتهى اللطيف كيف يحدث في بدنك اشتهاء
وتخيلك للحموضة يوجب لبدنك انفعالا وقشعريرة فيصير البدن
بحسب ما يقتضيه احوال النفس وتخيلاتها وقد يمكن ان يؤثر النفس في
غير بدنها كما يؤثر في بدنها لاهتزاز حركة علوي وطرب عقلي وقرب
روحاني من عالم القدرة والسطوة واتصال ملكوتي الى مبدء الصنع
والايجاد واما ان لا يكون موجبات ومؤثرات بل معرفات وعلامات
والسبب العقلي في جعلها مناط التكليف وملاك العبودية ان كيفية
علم الله وقضائه وقدره غايبة عن العقول والحكمة الالهية تقتضي
ان يكون العبد معلقا بين الرجاء والخوف اللذين بهما يتم العبودية
وهذا احدى الطرق في تصحيح القول بالتكاليف مطلقا مع الاعتراف
باطاعة علم الله وكون الاقدار جارية والاقضية سابقة في الازل
وقد روي عن النبي صلعم انه جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال يا رسول
الله بين لنا ديننا كانا قد خلقنا الان ففيم العمل اليوم فيما جفت

به الاقلام وجرت به المقادير ام فيما يستقبل قال بل فيما جفت به
الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر
لما خلق له وكل عامل بعمله فالنبي صلى الله عليه وسلم علقهم بين الامرين الآخر
ذكر فقال كل ميسر لما خلق له يريد انه ميسر في ايام حيوته للعمل الذي
سبق اليه القدر قبل وجوده الا انك يجب ان تعلم الفرق بين الميسر
والمسخر لئلا تغرقه في لجة القضاء والقدر والحق ان كلا الفعلين
الذين ذكرناهما متحقق في الدعاء ولهذا اشتهر بين الداعين ان
الدعاء كالدواء بعضها يؤثر بالطبع وبعضها بالخاصية فالاول اشارة
الى الوجه الاول والثاني الى الثاني وكذا القول في باب الرزق والكسب
والارشاد والتهذيب والوعد والترغيب والايعاد والترهيب والحاصل
ان الاسباب والوسائط والروابط معتبرة في جميع امور هذا العالم ومن
جملة الوسائط في قضاء الاوطار الدعاء والالتماس والارشاد
والتكليف والوعد والوعيد وامثالها كما في الشاهد فلعل الله

قد جعل

قد جعل دعاء العبد سببا لبعض مناجحه فاذا كان كذلك فلابد ان يدعو
حتى يصل الى مطلوبه ولا يكون شيء من ذلك خارجا عن قانون القضاء
السابق وناسخا للكتاب المسطور كلام تحصيلي في لمية وكيفية الدعوات
المستجابة والعقوبات السماوية واعلم ان الآثار الواردة على عالم
الارض المحسوسة من عالم الملكوت والقوى الفعالية الغائبة عنا والحوادث
النازلة علينا من النفوس الفعالة باذن الله انما يحدث بسببين احدهما
القوى الفعالة الفلكية الطبيعية او الارادية والثاني القوى الفعالية
الارضية الطبيعية او الارادية وقد تبين في مقامه ان النفوس
الاجرام السماوية ضربا من التصرف في ادراك الامور الخيالية الجزئية
بادراك ما قبلها من الاسباب الكلية وما يتأدى الى تلك الجزئيات
وادراكها للجزئيات مبادي اوضاعها الجزئية وحركاتها الشخصية وهي
اسباب لوجود الجزئيات وتكون الكائنات وما من سبب من اسباب
وجود الحوادث فلكية كانت او ارضية الا وينتهي الى امر طبيعي او نفساني

112

جازم غير فاترة ولا ينتهي الى قسري لان القسر لا محة منته الى الطبع بموجب
او ارادة قايدة لو غير فاترة فاليهما ينتهي وترجيح القسريات اجمع
وللارادات الحادثة والطبايع الملكوتية اسباب اذا توافقت اوجبتها
ولا تحدث ارادة بارادة والا لادى الى القول بالتسلسل المحال ولا طبيعة
للمريد والا لما انفكت الارادة عنها فلا محة تستند الارادات الى
الموجبات والدواعي الخارجة عن ارادة المريد وطبيعته كما مرت
الاشارة اليه وتلك الدواعي تستند الى امور سماوية تنبعث اولا
عنها ثم عن اسباب ارضية منبعثة عن هناك ومن هذا السبيل يحصل
الجزم بان الملكوت العمالة والنفوس السماوية وما فوقها عالمة بالجزئيات
قبل وقوعها بعدما بين كيفية كون التصورات الروحانية سببا لحدوث
الصور المادية ولا محة لما كان وجود الاسباب العظيمة على اتم وجه
واشرفه وجوهر السماويات في غاية الخلوص والصفاء واللطافة
والنورانية خالية عن الشرور والآفات لم يكن تصوراتها خرافية

والاشيطانية

والاشيطانية من باب السفاهة والشر فان النفس المتصورة متى
لم يكن ناقصة مؤوفة لم يتصور العبث والآفة بل انما يتصور الاشياء
على الوجه الاصوب المؤدي الى المنافع والخيرات كيف وتصورات
الملائكة العملية تابعة لتعقلات الانوار العقلية والملائكة المهيمين
الخالين عن النقايص الهيولانية والشرور الجسمانية فما يترتب على اهل
القدس وزمرة المقربين يكون اجود الانحاء واشرف ما يكون وتتصور
من الامور فاذا تصورت نفوس السماويات ما هو الاولى بان يكون
فان لم يكن معه مانع الاعدام علة طبيعية ارضية كوجد صورة مسخنة
وطبيعة نارية عند تصورها او ارادتها وجود السخونة لوجه الخير فيها
فتلك السخونة تحدث في الاجسام العنصرية بمجرد التصور السماوي للخير
في ذلك ايضا تقشعر المبرد ويفنى مادته كما يحلل تصور الامر المغضب المواد
البلغمية في بدن الرجل الغضبان ومن ههنا يعلم انه ليس من
شرط المسخن والمبرد ان يكون سخينا او باردا فان صفات الاجسام

118 جلها بل كلها كانت من الامور المعنوية الروحانية بل بعينها هذه انما تنزلت
وتجسمت وتنقصت عند نزولها من موطن الصفا والتجرد الى عالم
التجرم والتنقص فصارت محسوسا بعد ما كانت معقولا ثم متخيلا
ولنسبة التضرع الى استدعاء المطالب واستجلاب المرادات كنسبة التفكر
الى استدعاء البيان والنطق وكل يفيض من فوق ويبتدي من الاعلى
فالاعلى الى الادنى فالادنى كتحريك سلسلة واحدة يؤدي بعضها الى بعض
فلاجل هذا ينتفع بالدعوات والقرابين عند الهياكل والمواضع المناسبة
للكيفية الخاصة وخصوصا في الامور الاجتماعية والمصالح الجمهورية كما في
في الاستسقاء وغيره ولهذا يجب ان يخاف دعوة المظلوم ويتقى المكافاة
على الشر ويرجى المكافاة على الخير فان قيم العالم ذو عناية ورحمة
على خلقه لا يهمل كثيرا على كسر والله عزيز ذو انتقام وهذه الامور اللائقة
لما كانت معقولة عند العالم الاعلى فيجب ان يكون لها وجود لان علومها
كما مر غير جزافية ولا ظنية بل فعلية كما عقلت له تعالى فوجدت

عنه تعالى اما تاملت يا عارف حال منافع الاعضاء في الاحياء الحيوان
والنبات وفوائد امزجتها وكيفياتها وكمياتها واشكالها التي
قد عقلت اولا في عالم الابداع على الوجه الذي ادت الى المصالح
ثم اوجدت في مادة الكون وموضع الخلقة على النحو من الايجاد اللائق
بالمبدء الاعلى الذي وقع منه على سبيل الفيض على العقل والنفس و
الطبيعة فترشحت منها على موضعها ومادة تصرفاتها كل ذلك خدمة
لبارئها وطاعة لمصورها ومعطيها فقد علم مما ذكر ان جميع الحوادث
الكونية في عالمنا هذا ينبعث عن تصورات فلكية وتعقلات ملكية
وعلوم سبحانية فالمؤثر بالحقيقة في وجود الاشياء ليس الا علم المبادي
بمصالح ولا يتعجب من عناية الباري سبحانه ولطفه باصلاح حال الخلائق
واعلم من ذلك حقية الامور الخارقة للعادات النازلة من الحق الاول
بالوجه الخاص الذي ينكره المتفلسفون الجاهلون بالاسباب الخفية المسخرة
للطبايع وصدق ما سمعت من العقوبات الالهية النازلة بسبب دعوة

الانبياء عم على اعداء اقوام يأسوا من روح الله فحل بها غضب الجبار وطردوا
الى عالم البوار فتحريك الدعاء عند قوة الاخلاص وشدة التوسل
من النفوس العالية الى الباب الاكبر اقوى سبب في تحريك الركن العظيم
الى اصلاح طائفة وفساد اخرى فلم يرد قولها ولم يدفع دعاؤها بل
يسمع قولها في الملكوت ويستجاب دعاؤها في السماء وعند ذلك
يستحق ذلك الشخص الانتصاب في الشرائع لصيرورة نفسه احد منفعلات
البارى الى تتأثر عنها المواد وهو كما يستخذ منها باذن الله المبدء الفياض
على العباد والبلاد فيحتاج صاحب الدعوة الى اصلاح نفسه من دنس
الجسمانيات والاغراض النفسانية والتحرز عن سورة الغضب والشهوة
والمجانبة عن الثقة بغير الله وملكوته والنظر في طبيعة ما يدعو له او عليه
حتى تكون قد اقام نفسه حيثما اقام غيره من بني نوعه فعاد على الناس فضله
وبجهه فان اصاب الغرض الكلي على ما ذكرناه لم ترد دعوته وشهدت
القلوب باجابته وان غادر شيئا من ذلك وخلط في دعائه البارى

بغيره

بغيره من الاغراض النفسية كان في ادعيته شركة من الشيطان فلم يسمع
دعائه وزالت عن الاصابة مقاصده اذ السبب الذي يظهر به استجابة
الدعوات واستنجاح المقاصد والآثار العجيبة من الشخص القائم بالدعاء
المتدين بالشريعة ان يكون خالص النية سهل السجية متعلق بالاعلى
من عوالمه متجنبا عن السوافل وما يطرح عليها انظار القوى الجزئية
وينتهي اليها ادراك المشاعر الهيولانية ليتفضل بطبيعة البسيط على المركب
والعلة على المعلول والعالي على السافل والشريف على الخسيس الخبيث فيكون
مبدء مآربه ومرعى اغراضه ومسهل صعابه ومنهج ومنجح مهماته ويزال عن نفره
الحيوة الجسمانية والدواعي الحيوانية مبعدة له عن محله وانما يسهل
فيشتغل بخدمة مستقره الذى يكون البعد عنه موجب الاخلاد الى الارض
ومكاثرة الداثرين ويكون متورعا متصفا ذا امانة وعدل بعيدا
عن الجور والكذب بحسب الجبلة مفطورا على الصدق فان الكذب لاعتياده
بايراد معتقدات مموهة واختراع صور مخالفة للحق يصير بعيد المناسبة

الى عالم الصدق والحق وهو عالم الملكوت العالي باذن ربها وموضع
نزول البركات والخيرات شديد المجاورة لعالم الوهم والتلبيس واقطاع
ابليس ومنبع الظلام والشرور ومعدن الخلاف والغرور والزور فلا يسمع
هناك كلامه ولا يجاب دعوته ولم يكن صوته معروفا عند سكان ذلك
الاقليم وقد ذكر افلاطون الشريف الالهي في كتاب النواميس حكاية
في هذا الباب يدل على حقيقة ما ذكرنا وان استغنى هذا عن التمسك والاحتجاج
واقامة البرهان لكنا نذكرها لتنبيه الراقدين وايقاظ النائمين قال انا
نذكر خبرا شاهدناه لشدة كانت في اليونانيين جرت احتيج فيها الى اخراج
ارامس الحكيم وكان حسن التمكن من علوم النفس وقد ضرب ضربتين بالسيف
احدهما ابانت يده اليسرى والاخرى في خاصرته قد خلت عليه وانا اتوهم
انه لا تبقى معرفة فالفيت تمييزه صحيحا وكان تحقق ساعة فيكون بمنزلة
المستغرق في نومه ثم يفتح عينه فيتكلم ببعض ادعية الصحف ثم شخص الى جهة
السماء فكلمته فاجابني وقال ما ترى فقلت ما الذي ترى انت فقال

ارى

ارى قوة النفس في خلاصها من الجسد واجد راحة لم اكن اجدها في الحياة فقلت
له زدني في شرحك ان اطقت ذلك قال انه ارى كاني من حيث ولدت
على كتفي شيء يثقلني وكانه يكبر بالزيادة في طول سني حتى اذا كان هذا الوقت
القيته ووجدت لالقائه خفة شديدة وراحة عظيمة وصرت اتاذى الا شياء
بانفصالها عني الجسد واني ارى عمودا من نور متصلا بالاثير وارى
نفوس اهل الزيغ لا تستطيعه وتنصرف من نوره الى ما حوله كما يفعل الخفافيش
من نور ثم قال لي يا افلاطون طوبى لذوي الامانة والصدق والعدل
فانهم في امن ونور ثم زفر زفرة فقلت له ما لك فقال قد اشرفت
على الخلاص والراحة والفرج من كرب الجسد الا ان حرارة في قلبي تحبسني
وتجذبني الى الحيوة بالجسم الذي فيها عقلة النفس عن فضيلتها وانتم تعيقونه
بطيب الارايح الشايعة في هذا الموضع وانا بينكم كرجل مطلق بين قوم
متصعدين يريدون مقامه معهم في حبسه وقد يرى له الخلاص ثم عاد
الى دعاء الصحف فما زال يتلوه حتى ثقل لسانه وخفي كلامه بالضعف

وقضى نحبه والغرض من ذكر هذه الحكاية ان نعلم ان مقدار الرجل عند الله
وملكوته الاعلى بمقدار تقدسه عن الاوصاف الذميمة من الكذب
والمكر والخديعة والبخل والسفاهة والحمق والرعونة والظلم والجور
والفسوق والعصيان وغيرها من النقايص التي هي نتايج التعلق
بالدنيا وقرية التي الظالم اهلها وتخلقه بالاخلاق الكريمة والنعوت
المرضية من صدق اللسان ومطابقة الظاهر للباطن والاعراض
عن استجلاء نظر الخلق والجود والعدالة والتقوى وحسن المباشرة
والانصاف والمروة و~~الفتوة~~ الفتوة والحياء والسماحة وكظم الغيظ
والاغماض عن عيوب الخلق والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والورع
عن محارم الله والاشتغال بطاعة الله وعبادته متفرغا متخشعا الى
غير ذلك من الخيرات والفضايل التي هي نتايج الاعتلاق بالعروة
الوثقى والاتصال بالملكوت الاعلى والتوجه الى السماء ومجانبة اغراض
النفس والهوى ورفض مشتهيات البدن والقوى التي ما خلقت

الالاصرفها

الالاصرفها واستخدامها في سلوك طريق الحق وكونها مطية للارواح
المسافرة من الخلق الى الحق فاذا دعى مثل هذا الانسان في امر من
الامور التي هي فيه صلاح دينه او دنياه او صلاح الخلق او دنياهم
فلا محالة يستجاب دعاؤه ولا يدفع حاجته ولا يرد مطلوبه لكونه موافقا
لما في القضاء السابق وملايما للنظام ومصالح الانام بل المقتضى
والموجب لدعائه وتضرعه وتخشعه التي هي بعض اسباب الكون
وروابط الفيض انما تنبعث من هناك فان مبادي جميع الامور
تنتهي الى الاسباب السماوية والتحريكات الفلكية فان كل حادث
يتكون اما من طبيعة او ارادة او قسر او اتفاق والطبيعة مبدئها من
السماء والقسر ينتهي الى الطبيعة كما حقق في موضعه والارادة اذا
حدثت فلها علة وعلة كل ارادة لو كانت ارادة اخرى لتسلسلت
الارادات من غير الانتهاء الى شيء اصلا فلا محالة تنتهي الى امر عارض
من خارج وارد على صاحب الارادة الحادثة وهو اما ارضي او سماوي

والامور الارضية منتهية الى الاسباب السماوية والملائكة
الفعالة فان الله تعالى جعل بعض مقدوراته ومخلوقاته اسبابا لبعض
آخر على ما جرت به سنته في القضاء السابق والقدر اللاحق
واما الاتفاق وهو حادث من مصادمات تلك الاسباب وهو في الواقع
وعند العالم بسلسلة الموجودات لا تكون مستندة الا الى الاسباب المقتضية
البينة التي تنتهي بالآخرة الى قضاء الله الذي هو الوضع الاول البسيط و
ينزل من عند الله العظيم تعالى شانه وتمجد سلطانه وبهر برهانه ثم اعلم
ان للصالحين والخواص من اهل العزيمة مطالبات ذوقية من بواطنهم
ومحركات شوقية من مكامنهم تحكم عليهم بالتضرع والدعاء وتجيبهم الى
سلوك طريق المبدأ الاعلى فينبغي لمن اراد الدعاء ان يتطهر وان يخلص
الدعاء لله تعالى وان يصدره عن صدر نقي وخاطر صفي وقلب فارغ
عن الهموم والامور الدنياوية ونفس زكية طاهرة من الاخلاق الردية
وصدر سليم من الاعتقادات الفاسدة وفطرة صحيحة ولهجة صادقة

وقريحة

وقريحة عن نقوش اقاويل المبتدعين خالية ليستقبله من كل صوب اشخاص
الرحمة والاجابة في اجمل لباس يتلقونه بالترحيب والانبساط ويكون
ذلك له قرة اعين اخفيت عن الناس وينبغي ان لا يترك الدعاء في وقت
من الاوقات سواء كان قبل الحاجة او لا ولا يخلو عن خوف نزول البلاء او
زوال النعمة التي فيها فينبغي ان يكون دائم الطلب من معبوده متواترا
الاستغاثة به روي عن الامام الناطق بالحق جعفر الصادق ع من تقدم
في الدعاء استجيب له اذا نزل به البلاء وقالت الملائكة ان ذا الصوت
لا نعرفه وقال ع من تخوف بلاء يصيبه فتقدم فيه بالدعاء فلم يره
الله عز وجل ذلك البلاء ابدا وقال امام الساجدين زين العابدين ع
الدعاء بعد ما نزل البلاء لا ينتفع به وينبغي لمن تأخرت الاجابة له
ان لا يقنط فقد قال الصادق ع كان بين قول الله عز وجل قد اجيبت
دعوتكما وبين اخذ فرعون اربعون عاما وينبغي ايضا الالحاح في الدعاء
استجيبت له او لا قال رسول الله ص رحم الله عبدا طلب من الله حاجة

فالح في الدعاء استجيب او لم يستجب وينبغي الاسرار في الدعاء لقوله تعالى
ادعوا ربكم تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول
بالغدو والآصال وقال الشيخ الجليل ابن فهد في كتاب عدة
الداعي اعلم ان الاسرار كما ندب اليه في الابتداء كذا ندب اليه في آخر
الدعاء فعليك ببقائه على اخفائه ولا تمحقه باعلانه وتوخ الخلوة
عن الناس بانقطاعك عن عظيم على ذلك وان كنت مع الناس فطب نفسك البتة
مخلصا لا تشوبك شائبة قط فذلك اعلى درجة المخلصين ان يستوي
غيبة الخلق وحضورهم عنده ووجودهم وعدمهم ولعل الى هذا
اشارة بقوله يا اباذر لا يفقه الرجل كل الفقه
حتى يرى الناس امثال الاباعر فلا يحفل بوجودهم ولا يغيره
ذلك كما لا يغيره وجود بعير عنده ثم تمام الخبر يدل على معنى آخر وهو ان المراد
وضع النفس لان تمام الخبر ثم هو يرجع الى نفسه فيكون اعظم حاقر لها
وذكر صاحب كتاب اطواق الذهب في الحث على الاسرار في الدعاء

وترك

وترك الاعلان في الاوراد والاذكار كلا بهذه العبارة اشرف الالقاب
احوالها وافضل الاذكار اسرارها ترك الذكر لشبهة الكبرياء والرياء واعلانه يوجب (الرياء صح)
واخفائه سنة زكريا فاذا دعوت الله فهم ولا تجهر فانك لا تنادي
الصم فانه لا يسمع بالعفروف ولا يحتاج منك الى الاصوات والحروف
يا رافع اليد بالدعاء ويا داعي الحق بالنداء انه لا يسمع بالصياح فاقصر
من الصراخ اتنادي باعلام توقظ راقدا تعالى الله لا تأخذه السنة
ولا تغالطه الالسنة فما هذه الشهقة والنداء وما هذه الصيحة الشنعاء بين
الضرب تتالم او من الرب تتظلم او مع الكفاف تتكلم الجنبة قبالها
لمن فسمك ام ترى اجهل اسمك انام من خلق الانام معاشرا ذا الضعفة
تظنون ان لا تأكلوا اقواتكم دون ان ترفعوا اصواتكم لا تدعوا اليوم
ثبورا وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا ان لسان الحال افصح ورواق
الرحمة ابسط وافسح فسبح بتسبيح الحيتان في النهر واذكر ربك تضرعا وخيفة
ودون الجهر انتهت عبارته وبالجملة لا شبهة في ان الادعية والاذكار

١٢١ من جملة العبادات التي تحتاج جمعها الى اخلاص القلب والاحتراز عن
مقاصد النفس واغراضها وكلما كانت العبادة اسر واخفى فهي ابعد
عن شائبة الرعونة والريا اللهم الا ان يكون في الجهر والاعلان مصلحة
دينية وحكمة شرعية ترجع الى ذات الانسان او الى مدينة فاضلة كالجمعة
والجماعات ولهذا ورد في تفضيل صلوة الجماعة على صلوة الفذ في طريق
الخاصة والعامة وروايات صحيحة واحاديث متظافرة شايعة واردة عن
ائمتنا الهاشميين اصحاب العصمة والحكمة والهداية والدراية صلوات
الله عليهم اجمعين وعليه يحمل قول بعض الحكماء ان ارتفاع الاصوات
في بيوت العبادات بحسن النيات وصفاء الطويات تحل ما عقدته الافلاك
الدائرات والكواكب السائرات فان في ارتفاع الصوت الحسن تهيجا
بليغا للنفس وتقوية شديدة لعزمها على مجاهدة قوا الدواهي جنود
الشيطان وتسخيرهم اعداء الله تعالى من اولياء الطاغوت المردة
عن طاعتها بحسب اصل طينتها لكون النفس من سنخ الملكوت وهذه
من عالم

من عالم الشقاوة والبعد عن رحمة الله تعالى فصدر من الشريعة الالهية
الامر بتطويع النفس الامارة وقواها للنفس المطمئنة ليستسلم معها
ولا ينازعها في سيرها الى باريها ومعبودها كما قال عليه وآله افضل
التحيات والتسليمات اسلم شيطاني على يدي فينخرط معها في سلك التوجه
الى جناب الحق ومنبع السرور من عالم الزور ومعدن الغرور ولا تعاندها
بل يشايعها في مطالبها ويرافقها في مآربها ومما يؤيد ما ذكرناه
قول الشيخ الالهي صاحب الدعوات القدسية والتسبيحات والاوراد
الملكوتية في بعض رسائله مخاطبا للنفس اذكري ايتها المدينة الفاضلة ربك
لحسن باصواتك المبتهجة معه والصياح والتفخيم والتعظيم ما ابهاك يا مدينة
بذكر الله اسواقها وشوارعها وسككها وبيوتها وسطوحها عند بلوغ
رأس النيرات الى مراسم التسبيح وكبري تكبيرا جهريا يهزم جنود الشيطان
ويقهر عبدة الطاغوت ويرعد جنبات النفوس ويهز النفوس ويحرك
الاشباح الصيحة الجهورية فرائضه في كتاب المسطور بالبيان وبما

١٢٢ ذكرناه يندفع التدافع الذي يتصوره الانسان من جهة الحكمة الشرعية والمصلحة
الدينية فيما بين الامر بالسر والاخفات وجوبا او استحبابا في بعض
المواضع من الادعية والصلوات والاثنية والطاعات وبين الامر
بالجهر والاعلام كذلك في بعض آخر منها وبالجملة فملاك الامر النية الخالصة
والتوجه التام الى مسبب الاسباب والاقبال كلية بالكلية الى مسهل
الامور الصعاب ومن لم يخلص لله في اعماله وعباداته فليس من العمل
والعبادة في شيء لان الله تعالى كما امرنا بالعمل امرنا بالاخلاص فقال
عز من قائل وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
وروي عن النبي ص اذا كان يوم القيمة يجيء الاخلاص
والشرك يجثوان بين يدي الرب تعالى فيقول الرب
للاخلاص انطلق انت واهلك الى الجنة ويقول للشرك
انطلق انت واهلك الى النار فاذا كان تمام العمل وملاك
العبودية بالاخلاص فالاسرار في الدعاء احوط وعن آفات اغراض

النفس

النفس وشهواتها احفظ وان كان الداعي متصفا بالورع والتقوى لان
النفس ما دامت في هذه النشأة الناقصة لا تأمن عما يشوبها
ويبعدها عن حاق النية الالهية كما وقع لكثير من الموصوفين بالزهد
حيث استولى عليهم الشيطان لما راوا من محبة الخلق اياهم وانقيادهم
لهم حتى صار ذلك سببا لمزيد بعدهم عن رحمة الله تعالى والاستطالة
على الناس والازدراء بالخلق ولا يزال بهم حتى يخلع ربقة الاسلام عن
عنقهم نعوذ بالله من الغباوة والغواية في البداية والنهاية وينبغي
للداعي ايضا ان يجلس في موضع خال لا يصل اليه اصوات الخلق بعد
تنظيف البدن والثوب وتطهيرهما وتخلية المعدة والطعام قال
سهل بن عبد الله التستري من علامات الانس بالله الاستيحاش من صحبة
العامة والسرور بكثرة ذكر الله والتلذذ بالخلوة في طاعة الله و
قال وهب اوحى الله الى بعض انبياء بني اسرائيل ان احببت ان
تلقاني في حظيرة القدس فكن في الدنيا مهموما محزونا فريدا وحيدا

مستوحشاً بمنزلة الطير الوحداني الذي يطير في ارض قفر اقول والحكم في ذلك
ان الخلوة من الناس والبعد عن مخالطتهم ومؤانستهم يوجب المناسبة التامة
الى المبدء الاعلى لتفرد ذاته وتوحده وتجرده والمناسبة بين المفيض والمفاض
اليه شرط في قابليته للافاضة واستعداده لقبول الرحمة فان ذات المبدء
الاعلى ذات فياضة على الاشياء بلا منع وتقتير وبخل وتقصير وانما المانع
للافاضة والرحمة من جانب الخلق لقصور القابلية في بعض الافراد عن
قبولها فكلما كانت المناسبة في المستفيض اشد كان نصيبه من فيض
الوجه اكثر وحظه من الرحمة اوفر وقد تحقق ان بحسب سنخه وجوهره من
عالم الملكوت واقليم الوحدة والتجرد والصفاء والنقاء وانما صارت
نفسه ملطخة بالكدورات الدنياوية لاجل التعلقات البدنية والاشتغال
بالكثائف الجسمانية والخبائث الهيولانية وذلك مما لم يكن بد منه له
في اول تكونه ومبدء خلقته بحسب ضعف وجهه وقلة قوامه ونقص جوهره
واحتياجه الى القوى والالات والحواس والادوات لان يستبصر
بالمعارف

بالمعارف الالهية ويتحلى بالحقايق الربانية بانتزاعه الكليات
المعقولات من الجزئيات المحسوسة وتفطنه للحقايق الربوبية من
المواد الكونية فوجود هذه الاشياء له ليس لاجل ان يركن اليها و
يطمئن بها بل لان يستعملها في سبيل التقرب الى الحق ويصرفها عن تحصيل
اغراضها ودواعيها من الامور الشهوية والغضبية بل يجاهد معها و
يروضها بفنون الرياضات الدينية والسياسات الحكمية حتى يستعملها
فيما خلقت لاجله ثم ينزه ذاته عما يشغل سره عن الحق فيجب عليه ترك
الالتفات الى ماسوى الله حتى يحصل له التوجه التام والمناسبة التامة والاستعداد
الكامل فيسمع دعائه في الملكوت وتنجح مقاصده في المعاش والمعاد
من عالم الرحموت وذلك مما يعين عليه الخلوة عن الحق وقد ورد ان
الاستيناس بالناس علامة الافلاس ولهذا استاثر اكابر العرفاء
واولياء التقوى والزهد بحقيق الخلوة والبعد عن الناس والمداومة
على التوحش عنهم وملازمة الاربعينات والانقطاع بالكلية عن الخلق

الى الحق حتى وصلوا الى ما وصلوا واتصلوا بالحق لما انفصلوا ونقل صاحب
الاحياء عن بعض الحكماء انه انما يستوحش الانسان عن نفسه لخلو ذاته
عن الفضيلة فيأنس بملاقات الناس ليطرد الوحشة عن نفسه فاذا
كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة ويستخرج
العلم والحكمة انتهى واما تعيين عدد معين من الايام والليالي للخلوة
فلعل ذلك للحديث المشهور المنقول عن رسول الله صلعم من اخلص لله
اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه
وقد خص الله تعالى الاربعين بالذكر في قصة موسى على نبينا و
عليه السلام وامره بتخصيص الاربعين بمزيد التبتل قال الله تعالى
وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر فتم
ميقات ربه اربعين ليلة وذكر القاضي البيضاوي ان التعبير
بالليلة لانها غرة الشهور قال المفسرون ان موسى عم وعد بني اسرائيل
وهم بمصر ان الله تعالى اذا اهلك عدوهم فرعون وقومهم واستنقذهم

من ايديهم

من ايديهم يأتيهم بكتاب من عند الله فيه تبيان الحلال والحرام والحدود
والاحكام فلما فعل ذلك واهلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فامر الله
تعالى ان يصوم ثلثين يوما وهو ذو القعدة فلما تمت ثلثون ليلة انكر خلوف
فمه فتسوك بعود خرنوب فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك
فافسدته بالسواك فامر الله تعالى ان يصوم عشرة ايام من ذي الحجة وقال له
اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك ولم يكن صوم
موسى عم ترك الطعام في النهار واكله بالليل بل طوى الاربعين من غير
اكل فدل على ان خلو المعدة من الطعام اصل كبير في هذا الباب حتى احتاج
موسى عم الى ذلك لاستعداد المكالمة له تعالى واعلم ان العلوم اللدنية والمعارف
الكشفية الربانية ضرب من المكالمة لان حقيقة التكلم اظهار ما يدل على المعاني
سواء كانت بخلق الالفاظ في الخارج او بافاضة صور الحقائق على النفس فتخلية
المدارك والحواس عن مشاهدة اوضاع الخلق وتخلية الجوف عن الطعام
ومنع اللسان عن الكلام لغير الحق وعدم اشتغال القلب بالاغيار لها مدخل

عظيم في المكالمة الحقيقية مع الرب وافاضة الحقايق وانالت في الاسرار واستجابة
الدعوات وانجاح المهمات لا يختص بوقت دون آخر وبمدة دون أخرى غير ان
تعيين الاربعين والحكمة فيه لا يطلع على حقيقة ذلك الا الانبياء او من خصصه
الله تعالى له بتعريف ذلك من غير الانبياء وذكر بعض العرفاء نكتة شريفة
في بيان ذلك فقال ان الله وتعالى لما امر بتكوين آدم عم من تبارك تراب
قدر التخمير بهذا القدر من العدد كما خمر ورد طينة آدم بيده اربعين صباحا
فكان آدم لما كان مستعلى لعمارة الدارين لكونه مركبا من جوهرين احدهما
ملكوتي اخروي والاخر ملكي دنيوي وهو قالبه فاراد منه عمارة الدنيا كما اراد وهو نفخة ح
منه عمارة جنته فكونه من التراب تركيبا يناسب عالم الحكمة والشهادة وما كانت
عمارة الدنيا تتاتى منه الا ويكون خلقته من اجزاء ارضية وقوى سفلية
بحسب قانون الحكمة فمن التراب كونه واربعين صباحا خمر طينته واودع فيه
بحسب كل تخمير مرتبة من القوى والآلات وطبقة من التجسيم والاعضاء والادوات
التي هي توجب نوعا من البعد والتحجب عن عالم القدس والوحدة والتوجه

الى عمارة وزينة التركيب ليبعد بالتخمير اربعين صباحا باربعين حجابا من الحضرة
الالهية كل حجاب هو معنى مودع فيه يصلح به لعمارة الدنيا وزينتها ويتعوق به
عن الحضرة الالهية وموطن القرب ولم يتعوق الانسان بهذه الحجب عن عالم القدس
والوحدة ما اعمرت الدنيا فتاصل البعد عن مقام القرب فيه لعمارة الدنيا و
خلافة الله في الارض فبالتبتل الى طاعة الله والاقبال والانتزاع عن التوجه
الى امر المعاش وما يتعلق بالدنيا كل يوم يخرج عن حجاب بمعنى مودع فيه وعلى قدر
زوال كل حجاب يتجذب بمنزلة في القرب من الحضرة الالهية التي هي مجمع العلوم
ومصدر المعارف فاذا تمت الاربعون زالت الحجب وانصبت الى قلبه العلوم
والمعارف انصبابا فمن كل يوم باخلاصه في العمل لله ينكشف له طبقة من الاطباق
الترابية الجبلية وتزول عنه طور من الاطوار الكونية الخلقية المبعدة له
عن الله وظهور سلطان النشاة الاخراوية عليه الى ان ينكشف باستعمال
الاربعين اربعين طبقة من اطباق حجابه واطوار بعده عن الله واشتغاله
بغيره فاية صحة هذا العدد وتاثيره بالاربعين ووفاته بشروط الاخلاص ان

ان يزهد بعد الاربعين في الدنيا وليستأنس بالله ويتجافى عن دار الغرور ويُنيب
الى دار الخلود لان الزهد من الدنيا من ضرورة الحكمة ومن لم يزهد في الدنيا
ما ظفر بالحكمة انتهى كلامه بمزيد تتميم وتوضيح اقول وربما يختلج بالبال ان
الحكمة في ايجاد الانسان وتعلقه النفس تعلق نفسه الشريفة النورانية بهذا
القالب الكثيف الظلماني لو كانت لمصلحة تعود الى الكائنات الارضية
من النبات والحيوان يلزم استخدام الشريف للخسيس وايجاد العالي للسافل و
هذا لا يليق بالحكيم وايضا اذا كان تخمير الانسان بحسب اطوار خلقته وتقلبات نشأته
على هذا الوجه موجبا لبعده عن رحمة ربه ومقتضيا لعدم مناسبته لعالم القدس
والطهارة الذي هو موطن الملائكة والمقربين واتصاله بعالم الاجسام والظلمات
ومعدن الشرور والآفات فيكون تعذيبا لهذا النوع الشريف من الحيوان مدة
متمادية وتبعيده عما يقتضيه بحسب فطرته وليبعد عنه بموجب نشأته من اتصاله
بعالم الرحمة والبركة والنور والسرور والتنزه عن المعاصي والقبائح والآثام
الصادرة عنه لاجل التعلق بالبدن وقواه الشهوية والغضبية التي هي

بالحقيقة

بالحقيقة اسباب شقاوته وبعده عن الله تعالى وملكوته الاعلى فان فائدة
في تعذيب اشرف الموجودات الكونية لاجل صلاح بواقي المركبات الحيوانية
والنباتية او غيرهما الجواب اما عن الاول فلان المراد بكون الانسان عامرا
لهذه النشأة الدنيوية له ولغيره من الكائنات والمركبات هو تعميره لها
على وجه يعود فائدته اليه بان يدوم ويبقى نوعه وليس الغرض من خلافته
في الارض وتعميره للدنيا الا بقية شخص الانسان ونوعه لا غيره من الكائنات
اللهم الا على سبيل التبعية والعرض فان الغرض من خلقه غير الانسان انتفاعه
بها واستخدامه لها كما في قوله تعالى في انتفاع الانسان من الحيوان اولم يروا
انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون و
ذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون وقوله والانعام
خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال
حين تريحون وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد
لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤوف رحيم

في كون وجود النبات لاجل الانسان وانتفاعه هو الذي انزل من
السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون وينبت
لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل
الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون وقوله وجعل
لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون وقال تعالى
والله جعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم
الحر وسرابيل تقيكم باسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم
تسلمون الى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على ان وجود غير الانسان
من الكائنات لاجل خدمة الانسان وانتفاعه وظهر وتبين ان المقصود
من عمارة الدنيا وايجاد الاكوان وتبقيتها مصلحة تعود الى الانسان والامر
الثاني ما اشار اليه الشيخ الرئيس في كتاب المبدء والمعاد بقوله كمال العالم
الكوني ان يحدث منه انسان وساير الحيوانات والنباتات تحدث اما لاجله
واما لئلا يضيع المادة كما ان البناء يستعمل الخشب في غرضه فما فضل لا يضيعه بل

يتخذه

يتخذه قسيا وخلالا وغير ذلك وغاية كمال الانسان ان يحصل لقوته النظرية
العقل المستفاد ولقوته العملية العدالة وهيهنا يختم الشرف في عالم المعاد
انتهى كلامه ومحصوله ان الغاية القصوى في ايجاد هذا العالم وتمامه وكماله
خلقة الانسان وغاية وجود الانسان ان يحصل ~~لقوته النظرية~~ له بالعلم مرتبة العقل
المستفاد اي مشاهدة المعقولات والاتصال بالمفارقات وبالعمل درجة العدالة
اي التوسط بين الاخلاق المتضادة الحاصلة في التعلق بالبدن والتخلي عن اطراف
الصفات الناشئة من ضرورة كونها في عالم الاجسام اذ بهذا التوسط يسهل له
الافتراق عن هذه التعلقات لان التوسط بين الاضداد من الكيفيات
بمنزلة الخلو عنها كما في الماء الفاتر لا حار ولا بارد واما خلقة ساير المكونات
فمع كونها لانتفاع الانسان كما مر فلئلا يهمل فضالة المواد التي قد صرف
صفوتها وزبدتها في تكون الانسان فان الحكمة الالهية والرحمة الرحمانية تقتضي
ان لا يفوت حق من الحقوق بل ان يصيب كل مخلوق من السعادة قدرا يليق
به ويستعد له فالغرض الاصلي خلقة الانسان وقد خلق من فضالته ساير

الاكوان وعن الايراد الثاني فهو ان الانسان وان كان بحسب جوهره وذاته
من عالم الملكوت واقليم التجرد عن الاوساخ الكونية والمعاصي التعلقية
وعلى فطرة الصفاء والنقاء وعلى جبلة الانقياد والتدين بالملة البيضاء
والشريعة الالهية وانما عرض له الاقتراف بالسيئات والاتصاف بالمعصية
والكفر والطغيان والملكات الردية والهيئات الظلمانية بسبب تعلقه بعالم
الجسم والهيولى والصورة ولكونه في البدن ودواعيه من الشهوة والغضب كما
اشير اليه بقوله عم عليه وآله السلام كل مولود يولد على الفطرة
فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه لكنه مع كونه على فطرة
التجرد والصفاء والتقدس فهو في غاية ضعف الوجود ونقصان الجوهر في اول
تكونه كالهيولى الخالية عن الصور والهيئات فهو في مرتبة العقل الهيولاني
خال عن الكمالات والشعور بشيء من المعقولات والمحسوسات الا شعورا ضعيفا بذاته
لكونها في غاية ضعف الوجود والقوام ولكون علمه بذاته لتجرد ذاته عين ذاته
فاذا كان علمه بذاته عين ذاته وكان ذاته في اول الخلقة في غاية الضعف

يكون

يكون شعوره بذاته شعورا ناقصا في غاية النقص والقصور حتى ذهب بعض الحكماء
كالاسكندر الافروديسي الى ان الانسان في اوائل نشاته ومبادي كونه قبل
ان يبلغ الى مرتبة العقل بالفعل لا قوام له بدون البدن بل يفسد بفساد البدن
وجوهره وذاته وهذا الراي وان لم يكن حقا لعدم امكان الفساد في المجردات
بقواطع البراهين لكن الانسان الذي لم يبلغ الى مراتبه تحصيل الملكات
والاخلاص فهو في غاية القصور والضعف ولهذا يفهم من كثير من الروايات
ان الصبيان ليس لهم درجة الابتهاج بالسعادات الاخروية وحصول
الاستقلال بمنزلة من منازل الآخرة من الجنة والحور والقصور وانما شانهم
خدمة اهل الجنة وهكذا احال صبيان الكفار مع عدم عصيانهم وشقاوتهم
الحاصلة لهم بحسب البقاء في الدنيا لعدم كونهم مكلفين بعد فيعلم من ذلك ان
الناس حين مبدء الفطرة خال عن القوام التام بذاته فاقد لمراتب الكمالات
الانسانية والخيرات الاخروية فلم يكن صلاحه في تجرده من البدن وعدم
بعثته الى عمارة نشاته الدنياوية ليحصل سعادته الاخروية تاييد

وممّا يؤيد تأثيرها ما ذكرنا من كون تأثير الدعاء في انجاح المقاصد والمآرب وسببيته
لحصول المهمّات والمطالب مشروطاً بنقاء الجوف عن فضول الطعام وخلو
البيت عن الحطام ما نقل عن رسول الله ص انه قال قال موسى ع
في مناجاته يا الهي ما علامة احبّائك واوليائك فقال الله
تبارك وتعالى يا موسى قلوبهم معلقة بالعرش وبطونهم
طاهرة عن الحرام والشبهات وبيوتهم خالية عن حطام
الدنيا وزينتها ويطلبون الخيرات والطاعات ارشاد
الادعية المأثورة عن ائمتنا وسادتنا الهاشميين الاكابر المعصومين عن
الذنوب الصغاير فضلاً عن الكباير صلوات الله عليهم اجمعين كثيرة شايعة
بين جميع الامم ذايعة بين طوائف العالم من المؤالف والمخالف ولم يوجد
مثلها في غير من الملل والاديان ولم يدع من الاعيان نظيرها من احد
من ائمة القرون والازمان يعرف صحة هذا الكلام المستغني عن البيان
ويشهد بصدق هذه الدعوى الغانية عن البرهان من تتبع آثارهم واقتفى
منارهم

منارهم واهتدى بهداهم واقتدى بانوارهم هداية اتفقت العصابة
من الاسلاميين وجمهور اهل الملل والاديان على ان افضل الاذكار
واشرف الاوراد كلمة لا اله الا الله التي من اقرّ بها لساناً دخل في
المليين ومن صدّق بها جناناً كان من الموحدين ومن عمل بمقتضاها
صار من المقربين ولهذا اختار جمع كثير من المشايخ في تلقين مرادهم
هذه الكلمة اذ لها خاصية عجيبة في تنوير الباطن وجمع الهمم وهي من مواهب
الله تعالى لهذه الامة المرحومة ونقل الشيخ الجليل ثقة الاسلام محمد بن
علي بن بابويه القمي ره في كتاب التوحيد عدة احاديث في باب ثواب
الموحدين منها ما نقله عن اسمعيل بن مسلم السكوني عن ابي عبد الله جعفر بن
محمد عن ابيه عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله ص
خير العبادة قول لا اله الا الله ومنها عن ابي عبد الله عن جده
عليهم السلام قال قال رسول الله ص من مات ولا يشرك به شيئاً
احسن او اساء دخل الجنة ومنها عن ابي بصير قال قال ابو عبد الله ع

ان الله حرم اجساد الموحدين على النار ومنها عن ابي جعفر ع قال قال جاء
جبرئيل الى رسول الله ص فقال يا محمد طوبى لمن قال من امتك
لا اله الا الله وحده وحده ومنها عن علي ع قال ما من عبد مسلم
يقول لا اله الا الله الا صعدت تخرق كل سقف لا تمر بشيء من سيئاته
الا طلستها حتى تنتهي الى مثلها من الحسنات الى غير ذلك من الاحاديث
المتظافرة مع اسنادها المتصلة الى الائمة الاطهار والرسول المختار صلوات
الله عليهم اجمعين التي نقل جميعها يؤدي الى التطويل والاكثار فاقتصرنا
على ما ذكر لحصول الغرض بهذا القدر وبالجملة لهذه الكلمة خاصية عجيبة
في تمهيد النفوس الانسانية وحصول التقرب الى الملكوت الاعلى ومشاهدة
الانوار وترتب غرايب الاثار والتخلص عن الصفات الذميمة والنقاوة عن الاخلاق
الرديه كما تعرفها اهل الذكر قال بعض العرفاء بنية العبد ووجهه يحكي بدنية جامعة
واعضاؤه وجوارحه وقواه بمنزلة سكان المدينة وقطان سكان البلد والعبد
في استعماله على الذكر كموذن صعد منارة على باب المدينة بقصد اسماع اهل
المدينه

المدينه بالاذان فهكذا الذاكر المتحقق يقصد بالذكر ايقاظ قلبه وجميع اجزائه
والباطنه فيذكر اللسانيه ويعي بقلبه متفرقات جوارحه فيكون منادا والذكر
باللسان وصداه في فم القلب القالب يستحضر بالذكر سكان مدينة النفس ويستجمع
به عساكر الفهم والحس يقول بعضه ويستمع بكله الى ان ينتقل الكلمة من اللسان
الى القلب فيتنور بها ويتطهر كدور الاحوال ثم ينعكس نور القلب على القالب
فيتزين بمحاسن الاعمال فيكون الاحوال ح حليته باطنه والاعمال لبيس ظاهره
وقال الشيخ محي الدين الاعرابي لا يعلم قدر هذه النشاة الانسانية الا من ذكر
الله الذكر المطلوب فانه تع جليس من ذكره والجليس مشهود الذاكر ومتى لم يشاهد
الذاكر الحق الذي هو جليسه فليس بذاكر فان ذكر الله سار في جميع العبد لا من ذكره
بلسانه خاصة فان الحق لا يكون في ذلك الوقت الا جليس اللسان خاصة فيراه
اللسان من حيث لا يراه الانسان بما هو راء فافهم هذا السر في ذكر الغافلين
انتهى كلامه والسر المامور بفهمه انما يستفاد من تحقيق كون جميع الموجودات
عرفاء شاعرين بالله مسبحين لربهم ذاكرين له كما ذهب اليه ارباب الكشف

والشهود سواء كان ذكراً مقروناً بالتلفظ او مجرداً عنه وما من شيء الا وله
لسان ملكوتي يذكر الله ويسبحه كما دل عليه القرآن من قوله تعالى
وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم
وسيجيء القول في ذلك ان شاء الله تعالى وقد يقع للنفوس الكاملة المشرفة
من الانبياء والاولياء بل لغيرهم اذا استضاء مشكوة مشاعرهم بانوار صحبة
النبي صلعم ان يتفق لهم مشاهدة النطق الظاهري من الموجودات بناء على تطابق
العوالم وتحاذي النشآت فيسمعون ذكر الحق من كل شيء حتى الحجر والمدر كما
ورد من سماع النبي صلعم حجر تسبيح الحصاة في كفه الشريفه بل الغفلة عن ذكر الحق وعرفانه
لا يوجد في غير الانسان وذلك لخروجه عن الفطرة الاصلية التي فطر الناس عليها
لاجل تصرفاته وتدبيراته الشاغلة له عند الله تعالى وملكوته واليه اشير في كلام
بعض الحكماء لولا ازاغة المبطلين لطفت الفطرة بتوليد الايات واعلم ان عقول
الجماهير من الناس وان كانت محجوبة عن هذا الطور من الشهود والعرفان في حق
الموجودات لكن العاقل الذكي اذا تنور عقله بالنور الالهي وعرف سريان

الوجه

الوجه الفائض عنه تعالى في جميع الموجودات يعلم ان لكل منها نفساً ناطقة شاعرة
هي نصيبه من العالم الملكوتي كما قال الله تعالى بيده ملكوت كل شيء
وبحسب كثرة وجوه الامكانات يبعد عن الحق الاول ويغفله عن عالمه النوري
فيحجب ويحصل له الليس لها الدين وبحسب قلتها يقرب منه ويستفيض منه الكمالات
ويتنور بانواره وقال بعض اسرع الاذكار الى افضاء الى مشاهدة الانوار
هو كلمة لا اله الا الله ومثل كلمة طيبة الاية اشارة الى كلمة لا اله الا الله
قال ورايت هذه الكلمة على صورة شجرة عجيبة ثابتة من الارض الى السماء
واغصانها الوان مختلفة عجيبة وعلى كل غصن انواع الطيور والوان الجواري
والغلمان لا يوصف جمالهم وحسنهم كلهم يقولون بالسنتهم لا اله الا الله
وكان في كل لحظة يخرج من هذه الشجرة مثل تلك الاغصان ومثل تلك الاشخاص
ويصعد الى السماوات ثم يخرج مكانها اغصان آخر كذلك ويرتقي الى السموات
وكان ذلك في بداية امره ارحيث بدأت بذكر هذه الكلمة ثم تلك الشجرة
هي الكذا وعلى حالها بعد سنين واعوام ثم اعلم ايضاً ان لهذا الذكر اثراً

بيننا في تطهير القلب عن الاوصاف الخبيثة وهذا ايضا مجرب جدا وقد شاهدنا الاوصاف
الخبيثة عند امحاقها وانفصالها عن النفس تخرج على صورة الاشخاص والحيوانات
الخبيثة نحو الكلب والخنزير والسنور والبقر والحمار والفارة والحية والعقرب والسارق
والطرار والمزور والغماز واشباهها ومن كل صورة تمثلت صورة الانسان بشكلنا
عنه قالوا هذا غماز وذاك سارق وهذا فلان ومن جرب ذلك صدقنا
ويدل على صحة هذا الكلام قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائفة
من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقوله تعالى ومن يعش
عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فقد علم ان
الذكر نور ينفيه الشيطان كاتقاء الحيوان النار وقد ورد ايضا في الخبر ان الشيطان جاثم
على قلب ابن آدم فاذا ذكر تولى وخنس واذا غفل التقم قلبه فحدثه ومناه فذكر الله
الله تعالى بمنزلة تصقيل القلب والغفلة عن الله بمنزلة تكدره فاذا تكدر القلب طمع
الشيطان لمناسبة الكدورة والظلمة وقد قرن منه وصفاء القلب مخوف بالذكر
وبالذكر يتنقى القلب ويتنور كاتقاد الكواكب في كبد السماء فيصير القلب سماء محفوظا

تزيينه

تزيينه كواكب الذكر عن شياطين وساوس النفس واحاديثها فيندرج في حقه
الخواطر الشيطانية وملاتها وهذا حال من استقام قلبه واطمأنت نفسه اعلم ان
من جملة الاذكار الشريفة يا هو يا من هو يا من لا هو الا هو يا ازل
يا ابد يا دهر يا ديهور يا من الحي الذي لا يموت قال بعض الفضلاء
ولقد لقني بعض المشايخ من الذكر يا هو يا من هو يا من لا هو الا هو فالاول فناء
عما سوى الله والثاني فناء في الله والثالث فناء عما سوى الذات والرابع فناء
عن الفناء عما سوى الذات بتصرفة المقصود من الذكر المطلوب من العبد
في اصطلاح السلاك من العرفاء ان يذكر الله باللسان ويكون حاضرا بقلبه
وروحه وجميع قواه الادراكية بحيث يكون العبد بالكلية كونه انسانا وعبدا متوجها
الى باريه وربه فينتفي الخواطر وينقطع احاديث النفس عنه ثم اذا داوم على هذا
الوجه مع الشرائط المقررة المذكورة من تخلية البيت عن الطعام وتنقية الجوف عن
الحرام وتنظيف الثوب والبدن عن الانجاس والارجاس وتهذيب النفس والروح
عن الخبائث والادناس وتنزيه العقل والسر عن الوسواس والتوجه الى المبدء الاعلى

بالمنطق والقياس ينتقل الذكر من لسانه الى قلبه ولا يزال يذكر بذلك ويردد هذه 133
الكلمة على لسانه على مواطاة القلب حتى يصير الكلمة متاصلة في القلب بحيث تكون
النفس ثبوت مرضاها في القلب عن كل حديث النفس فاذا استولت الكلمة من
اللسان وتجوهر ليسكن نور اليقين في قلب السالك الذاكر حتى يتجلى له الحق من
وراء استار غيوبه فيتنور باطن العبد بحكم **واشرقت الارض بنور ربها**
وهذا هو التجلي الافعالي في عرفهم ثم لا يزال هكذا حتى ينكشف عنه الحجب ويتدرج
ويتقلب في حقه الاستار شيئا فشيئا الى ان يرتقي الى التجليات الصفاتية
والاسمائية ثم الذاتية فيستغرق العبد في الحق فيذكر الله الحق نفسه بما يليق بجماله
وجلاله فيكون الحق ذاكرا ومذكورا بلسان العبد ولسان العبد كشجرة الايمن
كما نقل عن الامام الهمام قدوة الانام جعفر الصادق عليه وآله السلام انه قال
حين سئل عن صيرورته مغشيا عليه عند تلاوة القرآن ما زلت اكرر هذه الآية
حتى سمعتها من المتكلم بها وقال الشيخ السهروردي صاحب العوارف والمعارف
كان لسان الامام في ذلك الوقت كشجرة موسى عم في الطور حين ندائها

اني

اني انا الله **خاتمة** في بيان سريان الذكر والتسبيح في جميع الموجودات حتى
الجمادات والنباتات على طريقتي الحكمة النظرية والحكمة المتعالية اما الاول فدلالة
كل موجود من الممكنات على وجود صانعه ومبدعه دلالة عقلية واضحة وحقيقة التهليل
والتسبيح الشهادة على وحدة الصانع وتنزيهه عن النقايص واظهارهما والدلالة عليهما
سواء كانت بالالفاظ او بالذات فكل موجود بمنزلة كلام صادر عنه تعالى دال على
توحيده وتمجيده كما اشير اليه بقوله تعالى **وان من شيء الا يسبح بحمده و
لكن لا تفقهون تسبيحهم** بل كل وجود من الموجودات ذكره لتسبيح
له تعالى اذ يفهم منه وحدانيته واتصافه بصفة الكمال وتقدسه عن صفات النقص
والزوال واعلى المراتب في الشهادة والدلالة عليه تعالى ذاته بذاته كيف لا لان
واما الثاني فهو ان الدال على وجود كل موجود اذ العلم بذي السبب كما بين في مقامه
لا يحصل الا من جهة العلم بالسبب كما في قوله تعالى **انه على كل شيء
شهيد** فشهادة كل مفهوم وموجود عليه تعالى يتوقف على شهادته تعالى
على ذلك الشيء فكل شهادة وثناء على ذاته يرجع الى شهادته وثنائه

بذاته على ذاته فسبحان من لم يثن عليه ثناء سوى نفسه واليه يرجع ايضا عواقب الثناء
فهو المبدء والغاية في ذلك وهو المثني والمثنى عليه وحقيقة الثناء في كل
ثناء واحمال ذلك مقيا سالك في تحقيق كل صفة ومحمدة من الصفات والنعوت
الكمالية والمحامد والفضائل الافعالية كالوجود وكمالاته واثاره ليظهر لك اسرار
غامضة جدا واسرار علما من يحرم كشفها له واما الطريقة الثانية فقد قالوا
في بيانه ان حقيقة الذكر عبارة عن تجليه تعالى لذاته بذاته اظهارا للصفات
الكمالية ووصفا لذاته بالنعوت الجمالية والجلالية في مقام جمعه وتفصيله كما
شهد لذاته بذاته في قوله شهد الله انه لا اله الا هو وهذه الحقيقة
لها مراتب اعلاها واولاها في مقام الجمع من ذكر الحق نفسه باسم المتكلم بالحمد
والثناء على نفسه وهو يرجع الى علمه بذاته الذي هو عين ذاته المتصفة بالصفات
الكمالية والنعوت الجمالية والجلالية في حد ذاته الاحدية ومرتبة وجوده
الفردانية وتاليها ذكر الملائكة السماوية والنفوس الناطقة المجردة وبعدها
ذكر الملائكة الارضية والنفوس المنطبعة مع طبقاتها وخاصتها ذكرا ان ابدا.

وما فيها

وما فيها من الاعضاء والابعاض وكل ذاكر لربه بلسان يختص به بل لكل واحد
لسان الذكر الحق كما ذكره صاحب فصوص الحكم فالفلك السنة الحق ناطقة بالثناء
عليه بل ان شئت قلت لكل واحد ذكر لربه فالعالم من جهة كثرته وتفصيله
تسبيحات وتحميدات واذكار للحق تعالى والكل من جهة الوحدة تسبيح واحد وذكر
مفرد يليق بوصف كماله ونعت ربوبيته وجلاله تمثيل واشارة كما ان
ظاهر الانسان يثني على نفسه الناطقة التي تربيته وتدبره ويسبحها ويحمدها
بلسان صورته وقواها الجسمانية والروحانية وذلك بامداد من النفس الناطقة
لها وفيض منها عليها لانها مبدء وجود البدن وقواها البدنية ومنشاء لها
الجسمانية والروحانية المسخرة التي هي جنودها باذن ربها كذلك ظاهر العالم
من الافلاك والعناصر من المركبات كالانسان والحيوان والنبات والجماد
وغيرها يثني بالسنتهم والسنة قواهم الروحانية والجسمانية على مقومه و
مبدعه وموجده ومدبره الذي هو الحي القيوم بذاته ويسبحه ويحمده وينزهه
عن النقائص اللازمة لهم اللاحقة بهم ولكن لا تفقه ذلك التسبيح والتنزيه

الا من تنور باطنه بنور الايمان اولا ثم الايقان ثانيا ثم العيان ثالثا ثم
بوجدان نفسه وروحه سايرا في علي كل مرتبة ظاهرا متصرفا في كل
موجود حالا لا علما وشهودا فقط بل بطريق الاتصال اتصالا روحانيا
ملكوتيا بنور الحق المشرق على كل مرتبة من مراتب الموجودات فيدرك
تسبيح الموجودات بذلك النور ويسمعه كما نقل عن رسول الله صلعم سماعه
واسماعه اصحابه رضي الله عنهم تسبيح الحصاة في كفه المقدسة وكما روي
عن ابن مسعود انه قال لقد كنا نسمع تسبيح الخبز وهو يؤكل وورد ان المؤذن
يشهد له مدى صوته من رطب ويابس وروي عن امير المؤمنين انه قال
كنت مع رسول الله صلعم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله حجر و
لا شجر الا ويقول السلام عليك يا رسول الله وامثاله كثيرة
في الاحاديث فالانسان الكامل وصفات مقام الرابع يسبح لربه بلسان
تلك الحقايق ويحمده تعالى في تلك المراتب فهو العبد التام لله يعبده في كل
موطن ومقام بعبادة جميع العالم ويحمده بحمدهم فمواطن العالم ومراتبه

معابد

معابد عبادته لمعبوده ومنازل طاعته لربه ومسجوده وعند تحقق الانسان
بهذا المقام تطوى له الزمان والمكان ويتصرف في جميع الاكوان تصرف
النفوس في الابدان ويظهر في الحالة الواحدة في جميع مراتب الانوار الارواح
النورانية والنفوس القدسية الروحانية والاجسام الكثيفة الظلمانية
ومن هذا القبيل معراج النبي صلعم اكمال واعلم ان اثبات الشعور و
الادراك لجميع الموجودات حتى الجمادات على ما يلزم من القران والاحاديث
مما دلت عليه المباحث البرهانية وشهدت العلوم الذوقية وايدته المعاينات
الكشفية وهو مذهب كثير من المحققين كصاحب الاشراق والمحقق الطوسي
والعلامة الرازي صاحب المحاكمات وابن كمونة وابي البركات البغدادي
وذوق جم غفير من المكاشفين منهم الشيخ العارف والمحقق الكاشف محي
الدين الاعرابي ومتابعوه قال الشيخ قدس سره في اخر الباب الثاني عشر
من الفتوحات المكية ان المسمى بالجماد والنبات لهم ارواح بطنت عن
ادراك غير اهل الكشف اياها في العادة فلا يحس بها مثل ما يحسها من الحيوان

فالكل عند أهل الكشف حيوان ناطق بل حي ناطق غير أن هذا المزاج الخاص
يسمى إنسانا لا غير ونحن زدنا مع الإيمان بالأخبار الكشف فقد سمعنا
الأحجار تذكر الله رؤية عين بلسان نسمعه آذاننا وتخاطبنا مخاطبة العارفين
بجلال الله مما ليس يدركه كل إنسان وقال في موضع آخر وليس هذا التسبيح
بلسان الحال كما يقوله أهل النظر ممن لا كشف له وقال أيضا في الباب الثامن
والسبعين والمائة منها خلق الله سبحانه الخلق ليسبحوه فنطقهم بالتسبيح له
والثناء عليه والسجود له فقال ألم تر أن الله يسبح له ما في السموات
والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه
وقال أيضا ألم تر أن الله يسجد له من في السموات و
من في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال و
الشجر والدواب وكثير من الناس وخاطب بهاتين الآيتين
نبيه صلعم الذي أشهده ذلك ورآه فقال ألم تر ولم يقل ألم تروا فإنا ما
رأيناه فهو لنا إيمان ولمحمد صلعم عيان فأشهده سجود كل شيء وتواضعه
لله

لله وكل من أشهده الله تعالى ذلك ورآه دخل تحت هذا الخطاب وهذا التسبيح
فطري وسجود ذاتي عن تجل لهم فأحبوه فانبعثوا إلى الثناء عليه من غير
تكليف بل اقتضاء ذاتي وهذه هي العبادة الذاتية التي أقامهم الله فيها
بحكم الاستحقاق الذي يستحقه وقال في أهل الكشف وعامة الأنس وكل عاقل
أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن
اليمين وعن الشمائل سجدا لله وهم داخرون أخبر أن
ذلك التفيؤ يمينا وشمالا سجود لله عبودية وصغار وذلة لجلاله فقال
سجدا لله وهم داخرون فوصفهم بعقيبة تهم أنفسهم حتى سجدوا لله داخرين ثم
أخبر فقال تعالى ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض
من دابة أي من يدب عليها ثم قال وهم يعني أهل السموات والملائكة
يعني التي ليست في سماء والأرض لا يستكبرون يعني عن عبادتهم ربهم ثم وصفهم
بالخوف ليعلمنا أنهم عالمون بمن سجدوا له ثم وصف المأمورين منهم
أنهم يفعلون ما يؤمرون ثم قال في الذين عند ربهم يسبحون

له بالليل والنهار وهم لا يسأمون او لا يملون ولا يفترون
وكل ذلك يدل على ان العالم كله فى مقام الشهود والعبادة الا كل
مخلوق له قوة التفكر وليس الا النفوس الناطقة الانسانية والحيوانية
خاصة من حيث اعيان انفسهم لا من حيث هيا كلهم فان هيا كلهم كسائر
العالم فى التسبيح له والسجود فاعضاء البدن كلها مسبحة ناطقة الا ترى انها
تشهد على النفوس المسخرة لها يوم القيمة من الجلود
والايدى والالسنة والارجل
والسمع والبصر وجميع
القوى فالحكم لله
العلى
تمت هذه الرسالة الشريفة بعون الله الملك الوهاب على يد محمد كريم
تمت

[illegible]
[illegible]
[illegible]